النشاط التجاري في مصر

في العصر الفاطمي

دكتور

بدر عبد الرحمن محمد

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

بكلية آداب بنها

إهداء

إلى روح الأستاذ الجليل

الدكتور

محمد جمال الدين سرور

المقدمة

كان لانتقال الخلافة الفاطمية من بلاد المغرب إلى مصر أثره الواضح فيها فبعد أن كانت مصر دار إمارة تابعة للخلافة العباسية، أصبحت دار خلافة كبيرة تناوئ الخلافة العباسية لاختلافها عنها من الناحية المذهبية فالخلافة الفاطمية شيعية المذهب بينما الخلافة العباسية تدين بالمذهب السني.

وكان انتقال الفاطميين من بلاد المغرب إلى مصر دليلاً على رغبتهم في الاستقرار نهائيًا في هذه البلاد لذا كان من الطبيعي أن يعملوا على النهوض بمصر في المجال الاقتصادي. حيث كان النشاط التجاري هو الصورة الحية التي تعكس ازدهار اقتصاديات البلاد، ولم يكن من المكن النهوض بنشاط تجاري ناجح دون أن يرتكز هذا النشاط على قاعدة قوية ومتينة من الإنتاج الزراعي والصناعي. ولذا فقد عمل الفاطميون على النهوض بالزراعة والصناعة، حتى تستطيع أن تفي بحاجات الناس في الداخل، ومن الفائض تستطيع أن تسهم به في مجال التجارة الخارجية.

وكان لأهمية النشاط التجاري في مصر في العصر الفاطمي، ما دفعني لبحث هذا الموضوع كدراسة حضارية لبعض النظم الاقتصادية التي سادت الدولة الفاطمية في مصر.

وقد بدأت بحثي بمقدمة وأربعة فصول.

ففي الفصل الأول " **الإنتاج الزراعي والصناعي** " تناولت الحديث عن أنواع المحاصيل التي تنتجها البلاد المصرية، كما تناولت الأحداث التي أثرت على الإنتاج الزراعي. وأشرت في ذلك إلى أثر فيضان النيل

وانخفاضه إلى جانب الأحداث السياسية والفتن العنصرية، التي كان لـها أثرها على الزراعة وخاصة خلال الشدة العظمى فـي عـهد الخليفـة المستنصر بالله والتي استمرت سبع سنوات من سنة ٤٥٧-٤٦٤هـ / ١٠٦٥-١٠٧٢م، ثم تكلمت عن الإنتاج الصناعي وأهم الصناعات التـي ازدهرت في مصر.

وفي الفصل الثاني "**التجارة الداخلية**" تحدثت عن أشهر مراكـز التجارة الداخلية في مصر، والتي كان لها دور في تبادل السلع ونقلـها من مكان إلى آخر، ثم عرضت للأسواق الداخلية وأهميتـها بالقـاهرة والفسطاط، فضلاً عن أسواق المدن والقرى، والسلع التي حفلت بها هذه الأسواق، والأسعار في ذلك العصـر ودور الحكومـة فـي التسـعير والاحتكار التجاري وموقف الحكومة من التجار المسـتغلين، واحتكـار الحكومة لبعض موارد الثروة الزراعية والمعدنية. كمـا تكلمنـا عـن الحسبة ودورها في ازدهار النشاط التجاري وتطور هذه الوظيفة مـن وظيفة دينية إلى سلطة للرقابة على الأسواق، ووضحت مهام المحتسـب والعقوبات التي كان يوقعها، مع الإشارة إلى اهتمـام الحكومـة بـأمن التجار ومتاجرهم. وارتباط ذلك بازدهار حركة التجـارة. ثـم ختمـت الفصل الثاني بالحديث عن أثر المواصلات الداخلية في تسـهيل سـبل التجارة. فتحدثت عن طرق الملاحة النهرية التي ربطت بين الوجـهين والتي كانت تبدو أهميتها زمن الفيضان، ثم تحدثت عن الطرق البرية.

وفي الفصل الثالث "**التجارة الخارجية**" تحدثت عن أشهر مراكز التجارة الخارجية وفي ذلك العصر. فعرضت لأهمية الثغور والموانـي التي كانت تصلها السفن التجارية من مختلف الدول، ومنها تنقل البضائع لواردة إلى داخلية البلاد، كما بينت أهمية هذه المراكز في تصدير سلع

ومنتجات مصر إلى الخارج، ثم تناولت طرق التجارة الخارجية البرية والبحرية. التي ربطت مصر بدول العالم الإسلامي وغرب أوربا والشرق الأقصى.

وفي مجال العلاقات التجارية تحدثت عن العلاقات التجارية بين مصر وبلاد أوربا كما شرحت كيف تطورت العلاقات التجارية بين الخلافة الفاطمية في مصر وبين المدن الإيطالية وجزر البحر المتوسط وبخاصة جزيرة صقلية وكريت وقبرص، وتناولت فضلاً عن ذلك العلاقات بين مصر وبلاد المغرب والأندلس، والعلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشرق الإسلامي والشرق الأقصى (الهند والصين).

وختمت الفصل الثالث بالحديث عن المنشآت والمرافق التجارية، التي أقامتها الدولة لخدمة التجار وخلصة الأجانب الذين يفدون من الخارج. ومن هذه المنشآت والقياسر والفنادق والخانات والوكالات.

وفي الفصل الرابع " **المكوس والضرائب والمعاملات المالية** " تحدثت عن المكوس والضرائب التي فرضها الفاطميون على السلع الزراعية والصادرات والواردات والأسواق. كما تكلمت عن الموازين والمكاييل واختلافها بالنسبة للسلع التي توزن بها أو المناطق التي يتم التعامل بها، وأشرت إلى المقاييس التي سادت في ذلك العصر.

وفي مجال الحديث عن العملة المتبادلة تناولت الدنانير التي كانت موجودة في العصر الفاطمي وأشرت إلى الأموال التي حملها جوهر الصقلي معه من بلاد المغرب إلى مصر وأثرها في حل الأزمة المالية في مصر في أواخر العصر الإخشيدي، وبينت كيف تحولت مصر إلى نظام المعدنين عندما ضربت الدراهم الفضية في عهد الحاكم بأمر الله، كما تحدثت عن الفلوس التي ضربت في أيام الدولة الفاطمية لتبسيط

التعامل التجاري بين الناس في المعاملات التي تحتـــاج إلـــى كســـور الدراهم والدنانير.

وتكلمت عن دور الضرب التي كانت موجودة في مصـــــر قبـــل العصر الفاطمي. والتي استمرت على أهميتها حتى أنشئت دار الضرب الأمرية في القاهرة في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله. وختمت الفصـــل الرابع بالحديث عن السفاتج والصكوك وأهميتها فـــي تبســـيط التعـــامل التجاري وحفظ الأموال.

ونرجو أن يجد القارئ لهذا الكاتب[1] ما يسد حاجة المكتبة العربية من نقص فى التاريخ والحضارة الإسلامية .

دكتور

بدر عبد الرحمن محمد

---

(١) كان هذا البحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الآداب من قسم التاريخ (فرع إسلامي) في كلية الآداب جامعة القاهرة وإشراف أ.د. محمد جمال الدين سرور أستاذ كرســـي التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب – جامعة القاهرة رحمــــة ا لله عليـــه وقـــد نوقشت الرسالة فـــي ٣٠ مـــارس ١٩٧٧م بعضويـــة المرحـــوم أ.د. علـــي حســـنى الخربوطلي أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية البنات – جامعة عين شـــمس، أ.د. إبراهيـــم أحمد العدوي أمد الله في عمره.

الفصل الأول

الإنتاج الزراعي والصناعي

١ – المحاصيل الزراعية.

٢ – الأحداث التي أثرت على الإنتاج الزراعي.

٣ – السلع الصناعية.

الفصل الأول

الإنتاج الزراعي والصناعي

١ – المحاصيل الزراعية

للزراعة المصرية سمات مميزة خلعت عليها طابعا خاصا، هو ثمرة تفاعل عوامل متعددة، ومتداخلة، تتصل أسبابها بالظروف الطبيعية لمصر، كسطح الأرض، والمناخ والتربة، ونظام جريان مياه النيل من جانب، ويتصل بنشاط الناس من تنظيم للري، واستقرار لأداة الحكم، وتوفر الأيدي العاملة في الميدان الزراعي.

ومما يسترعى الانتباه في تطور الزراعة في مصر، أنها لم تتعرض لتغيرات بعيدة الأثر، إلا لاعتبارات تتطلبها الظروف السياسية. فقد اهتم الفاطميون بتنمية الثروة الزراعية للبلاد، مما ساعد على انتشار الرخاء في مصر[١].

ظل القمح في مقدمة الإنتاج الزراعي في مصر طوال العصر الفاطمي. فقد تميزت البلاد المصرية بزراعة أنواع مختلفة منه، أشهرها اليوسفي[٢] ويزرع بمنفلوط[٣] كما أختصت سخا بزراعة أنواع أخرى من القمح. وكان متحصل الديوان (ديوان الخراج) من الغلال نحو مليون أردب في السنة[٤] وقد أسهمت مصر في تجهيز ميرة الحجاز من

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص٦ دار الفكر العربي ١٩٦٦م.

(٢) الكندي : فضائل مصر ص٦٩ تحقيق إبراهيم العدوي القاهرة ١٩٧١م.

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص٣١ تحقيق / حسين نصار مكتبة مصر ١٩٥٥م.

(٤) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ١ ص٤٦٥ بولاق ١٢٧٠هـ.

الدقيق والقمح، الذي كان ينقل من مشتول السوق إلى القلزم ليحمل منها إلى الحجازي[1] وكان القمح يزرع وكذلك الشعير في جميع أنحاء البلاد المصرية، من أسوان جنوبا، حتى ساحل البحر المتوسط شمالا وتتراوح غلة الفدان من القمح والشعير بين أردبين وعشرين أردبا[2].

وزرعت مصر أيضا الفول، الذي كان يلي القمح والشعير في الأهمية. فقد كانا (أي الشعير والفول) يشغلان ثلث المساحة المزروعة في الفيوم[3]. ويغل الفدان من أردبين إلى عشرين أردبا[4].

كذلك زرعت مصر الحمص والجلبان والعدس. ويغل فدان الحمص من أربعة إلى عشرة أرادب، والجلبان عشرة أرادب، والعدس من خمسة أرادب إلى عشرين أردبا[5].

أما الأرز فكان يزرع خاصة في الفيوم ومصر العليا[6]. وذكر ابن حوقل أن أكثر الغلات في الواحات بعد القمح والشعير الأرز[7]. وقد أفاض ابن دقماق في حصر القرى التي تزرع الأرز في الواحات، فذكر أن هناك واحدا وعشرين بلدا يزرع فيها الأرز من مجموع بلدان الواحات[8] وقد ذكر ابن شاهين الظاهري " أن من جملة خواص إقليم الدقهلية والمرتاحية الذي فيه بحر المنزلة أن غالب أهل بلاده يزرعون

---

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٩٥ ليدن ١٩٠٦م.

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٥٩ طبعة عزيز سوريال عطية.

(٣) علي شافعي : وادي النيل كما وصفه النابلس ص٤٧ مطبعة مصر ١٩٤٠م.

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٦٠.

(٥) ابن مماتي : نفس المصدر ص٢٦٠ – ٢٦١.

(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ص٢٠٣ ليدن ١٩٠٦م.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٥٤ ليدن ١٩٧٦م.

(٨) ابن دقماق: الأمصار لواسطة عقد الأمصار جـ٤ ص١١، ص١٢ بولاق ١٣٠٩هـ.

الأرز لكثرة مائه "[١].

ومن المحصولات الزراعية التي اشتهرت مصر بإنتاجها الكتـان. وكانت له أهمية كبيرة في صناعة المنسوجات، وانتشرت زراعته فـي أسيوط، والمنيا، والفيوم والدلتا. واختصت بلدة بوصير بزراعة النـوع الرفيع منه، كما كان بالفيوم الكثير من الكتان[٢]. وينتج الفدان ثلاثيـن حملاً، ومن البذور من ثلاثة أرادب إلى ستة[٣].

وإلى جانب الكتان زرع القطن في الصعيد، واشتهرت به البـهنا، كما زرع في ا لواحات. غير أن إنتاجه لم يتعد الاحتياجات المحليـة[٤]. وينتج الفدان من قنطارين إلى ثمانية قناطير[٥].

وكان قصب السكر من الحاصلات الزراعية التي كثر إنتاجها في بعض البلاد المصرية في العصر الفاطمي. لأنه عماد صناعة السـكر والعسل. وقد توسع المصريون في زراعته لشدة الطلب علـى السـكر والحلوى بسبب بعض المظاهر الاجتماعية التي سادت هذا العصر. فقد كان يستخدم فيما يعمل بدار الفطرة سبعمائة قنطـار سـكر[٦] ويقـول القلقشندي " أن القصب بمصر في غاية الكثرة "[٧] وكانت أصلح الجهات

---

(١) ابن شاهين الظاهري : زيدة كشف الممالك ص٣٤، باريس ١٨٩٤م.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص٢٠٣، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصـر والقاهرة ص٦١-٦٢ القاهرة ١٩٦٩م.

(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٦٢، المقريزي : خطط جـ١ ص١٠١-١٠٢.

(٤) راشد البراوي : حالة مصر لاقتصادية في عهد الفاطميين ص١٣٧ القاهرة ١٩٤٨م.

(٥) ابن مماتي قوانين الدواوين ص٢٦٥ ، ٢٦٦.

(٦) المقريزي : خطط جـ١ ص٤٢٦ ودار الفطرة التي أنشأها الخليفة الفـاطمي المعـز لدين الله. نفس المصدر السابق ٤٢٧.

(٧) القلقشندي : صبح الأعش في صناعة الإنشاء جـ٣ ص٣١١.

لزراعته تقع بين فرعي دمياط ورشيد[١] كما انتشرت زراعتـــه أيضـًــا بصعيد مصر[٢] ويغل الفدان من أربعين إلى ثمـــانين أبلوجــة[٣] (أي حزمة كبيرة من عيدان القصب) : كما يغل ما قمته من عشرين إلـــى مائة دينار من عسل وقند[٤].

وكان النخيل يزرع في كثير من أنحاء البلاد المصرية. وكـــانت أسوان واسنا أكثر نخيلاً من غيرها، فبلغ محصول اسنا في سنة واحــدة أربعين ألف أردب، أما أسوان فبلغ محصولها ستة وثلاثين ألف أردب[٥] وليس هناك نوع من أنواع التمر بالعراق إلا وفي صعيد مصر مثله[٦]. ويروي الخليفة هارون الرشيد طلب أن يحمل إليه من أنواع التمور من أسوان من كل صنف ثمرة واحدة، فجمعت له ويبة[٧]. وكـــانت أخميــم أيضـًا كثيرة النخيل[٨].

كذلك اشتهرت بعض جهات مصر بزراعة الكروم. ومن بينها مريوط والجيزة والفيوم وقليوب[٩]. واشتهرت أسوان أيضـًا بزراعة

---

(١) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٧٠.

(٢) المقريزي : خطط جـ١ ص٢٠٣.

(٣) نفس المصدر : جـ١ ص١٠٢ – ١٠٣.

(٤) القند : عسل السكر إذا جمد، وفي دوزي قند نبات = هامش ص٢٦٧ ابن ممـــاتي : قوانين الدواوين.

(٥) الأدفوي : الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ص١٠، ١١ القاهرة ١٩١٤م.

(٦) نفس المصدر : ص١١.

(٧) المقريزي : خطط جـ١ ص١٩٩، ياقوت الحموى. معجم البلدان جـ١ ص٢٤٩.

(٨) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص٢٠١ ليدن ١٩٦٧م.

(٩) نفس المصدر : ص١٩٧، محمد جمال الدين سرور / تاريخ الحضارة الإسلامية فـــي الشرق ص١٣٢ دار الفكر العربي ١٩٦٧م.

العنب. فيقول الأدفوي عن قطف عنب رآه بأسوان " جاءت زنته ثمانية أرطال بالليثي، ووزنت حبة عنب جاءت وزنها عشرة دراهم "[١].

ولما كانت زراعة السمسم مجهدة للأرض[٢] وتحتاج إلى عناية خاصة، ونفقات وجهد كبير[٣] فقد قل إنتاجه[٤]. وقل الزيت المستخرج منه[٥] ولذلك فقد عنى المصريون بزراعة الزيتون في منطقة الفيوم والإسكندرية[٦].

---

(١) الأدفوي : الطالع السعيد ص٢٨.

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٦٥، المقريزي : خطط جـ١ ص١٠٢.

(٣) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص٧١.

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٦٥، المقريزي : خطط جـ١ ص١٠٢.

(٥) ناصر خسرو : سفر نامة ص٦١ ترجمة : يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٤٥م.

(٦) المقدس : أحسن التقاسيم ص١٩٧ ليدن ١٩٠٦، محمد جمال الدين سرور. تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٣٢.

(يقول التميمي في مقالة له عن: النظم والطرق التجارية بين الشرق والغرب قبل الحروب الصليبية ص٤٠٢ مجلة المقتطف ابريل ١٩٤١م. ' أنه لما كان القطر المصري فقير في النباتات الزيتية ولا يزرع إلا السمسم. جئ بالزيتون إليه من سوريا ومن البلاد الأوربية ').

٢- الأحداث التي أثرت على الإنتاج الزراعي

لا شك أن الإنتاج الزراعي تعرض لعوامل في نواحي البلاد المصرية ، كان لها تأثير بالغ في كمية إنتاجه. فتأثر إنتاج الكروم في مصر من جراء موقف الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله من زراعته. فأمر بقطع أشجاره من جميع أعمال مصر خشية من صنعه نبيذًا سنة ٤٠٢هـ[١].

وكان نقص فيضان نهر النيل من أهم العوامل المؤثرة في إضعاف الإنتاج الزراعي بل في ندرة المحاصيل الزراعية. وكان هذا طبيعيًا في بلد تعتمد زراعته في المقام الأول على الري من ماء النيل. فمساحة الرقعة الزراعية وكمية المحصول تتوقف على مدى ما يغمره ماء الفيضان من الأرض. ويروي الكندي عن محفوظ بن سليمان – عامل خراج مصر في عهد هارون الرشيد – " إذا تم الماء ست عشرة ذراعًا فقد وفي خراج مصر. فإذا زاد بعد ذلك ذراعًا واحدًا زاد في الخراج مائة ألف دينار لما يروي من الأعالي من الأعمال. فإن زاد بعد ذلك ذراعًا نقص مائة ألف من الخراج لما تستبحر من البطون"[٢].

---

(١) القضاعي (القاضي أبو عبدالله محمد بن سلامة) : عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف ص١٨٠ مخطوط بدار الكتب برقم ١٧٧٩ تاريخ، ابن الزيات : الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة للقرافتين الكبرى والصغرى ص١٧٦ القاهرة ١٩٠٧م. السيوطي (جلال الدين) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة جـ٢ ص٢٠٠-٢٠١ القاهرة ١٢٩٩هـ، محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص٩٣. واتفق هؤلاء جميعًا أنه أمر بحرق الكروم، ومنع الناس من بيع الزبيب، ونهى التجار عن حمله إلى مصر.

(٢) الكندي : فضائل مصر ص٦٠ تحقيق : إبراهيم العدوي. والمستبحر : كل أرض وطيئة نفذ إليها الماء، ولم يجد مصرفًا حتى فات أوان الزرع والماء باق على الأرض : المقريزي : خطط جـ١ ص١٠١.

وقد أجمع أهل العلم أنه ليس بالدنيا نهر أطول مدا من نهر النيل فيسير شهرًا في بلاد المسلمين، وشهرين في بلاد النوبة، وأربعة في الخراب، إلى أن يخرج من جبل القمر خلف خط الاستواء(١). وتبدأ زيادته في الخامس من بئونة وفي السابع والعشرين منه ينادى عليه بالزيادة، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا، إلى أن يكمل أثنى عشر ذراعًا، فيحسب كل ذراع أربعة وعشرين أصبعًا. فإذا وفى ستة عشر ذراعًا وهو المعبر عنه بماء السلطان كسر خليج القاهرة(٢). ونهاية ما تدعو إليه الحاجة من الزيادة ثمانية عشر ذراعًا(٣).

وأحيانًا كان النيل يصل إلى حد الوفاء، ثم يعقب ذلك هبوط سريع مفاجئ قبل أن يتم ري جميع الأراضي(٤).

يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٣٥٨هـ " أنه لما مات كافور الأخشيدي صاحب مصر، وقع بمصر غلاء شديد حتى بلغ الخبز كل رطلين بدرهم، والحنطة كل ويبة بدينار وسدس. فلما بلغ الخبر بهذه الأحوال المعز وهو بأفريقية، سير جوهر إليها(٥). وحينما دخل القائد جوهر مصر في هذه السنة، كان مما نظر إليه أمر الأسعار. فضرب جماعة من الطحانين. وجمع سماسرة الغلال بمكان واحد. وتقدم الاتباع

---

(١) أبو صالح الأرمني : تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني ص٣٥ اكسفورد ١٨٩٤م. المسعودي : التنبيه والإشراف ص٥٧ ليدن ١٩٦٧م.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشر جـ٣ ص٢٩٣.

(٣) عبداللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ص٤٤.

(٤) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص٧٩.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ٧ ص٣١ القاهرة ١٣٥٣هـ، ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب ص٢٠١ تحقيق : زكي محمد حسن القاهرة ١٩٥٣م.

إلا هناك، ولم يجعل لمكان البيع غير طريق واحدة، فكان لا يخرج قدح قمح إلا ويقف عليه سليمان بن عزة المحتسب. واستمر الغلاء إلى سنة ٣٦٠هـ[١].

ولما نخفض منسوب مياه النيل سنة ٣٨٧هـ في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، قل إنتاج القمح تبعًا لذلك. وفي سنة ٣٩٥هـ بلغ فيضان النيل خمسة عشر ذراعًا وسبعة أصابع، وانتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعًا وأصابع فارتفعت الأسعار[٢].

وفي سنة ٣٩٧هـ غلت الأسعار لنقص النيل إلى ثلاثة عشر ذراعًا وأصابع، مما ساعد على اشتداد موجة الغلاء، حتى بلغ سعر الحملة من القمح (الدقيق) إلى ست دنانير، والتليس من القمح أربعة دنانير، والويبة من الأرز بدينار[٣].

ومما يجدر ذكره أن المصريين لم يعرفوا في ذلك العصر كيف يتحكمون في مياه النيل عن طريق السدود والقناطر. وإنما كانت الأرض تروى مرة واحدة في العام وقت الفيضان، فإذا جاء الفيضان دون معدلة تعذر ري الأرض وزراعتها، وتعرضت البلاد للقحط

---

(١) المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص١٣-١٤ تحقيق : محمد مصطفي زيادة وجمال الدين الشيال القاهرة ١٩٤٠م.

يحيى بن سعيد : تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ص١١٤ نشر كراتشوفسكي وفاسيليف باريس ١٩٢٤م. حيث يقول " وكان تزايد أثمان الحبوب والأقوات ابتداء من سنة ٣٥٣هـ وإفراط الشدة سنة ٣٥٧هـ - ٣٥٨هـ واستمر الأمر كذلك سنة ٣٦١هـ وكان سبب ذلك نقص النيل من سنة ٣٥٢ - ٣٥٧هـ.

(٢) المقريزي : إغاثة الأمة بكشفة الغمة ص١٤.

(٣) المقريزي : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفاء ص٣٠٥ تحقيق : زيادة والشيال، Stanley Lane Poole, A History of Egypt in the middle Ages P128 (London 1901)

والمجاعات وكان يكفي أن ينتشر خبر قصور النيل، حتى يسود الخوف وترتفع الأسعار ويختفي الخبز والغلال[1].

وكان الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي قد فكر في تلافي الأخطار التي تتعرض لها مصر من جراء فيضان النيل وانخفاضه، فاستدعى الحسن بن الهيثم البصري لما بلغه ما قاله " لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة أو نقص " ثم طالبه بتنفيذ ما وعد به من أمر النيل، وأرسل معه جماعة من الصناع إلى الموضع المعروف بالجنادل، قبلي مدينة أسوان، وخبر النيل هناك، فلم يجده كما بلغه من قبل، كما لم يجد لأمر متفقًا مع فكرته التي خطرت له. فأعتذر للحاكم بأمر الله[2].

وفي سنة ٣٩٨هـ بلغت زيادة النيل أربعة عشر ذراعًا وأصابع، وامتد ذلك إلى سنة ٣٩٩هـ والماء على خمسة عشر ذراعًا[3]. ونقص ماء النيل حتى انقطع سير المراكب في البحر الشرقي من تنيس ومن المحلة وصار مخائض، وحدثت مجاعات اقترنت بوباء أتلف خلقًا كثيرًا[4].

---

(١) سعيد عاشور وعبدالرحمن الرافعي : مصر في العصور الوسطى ص٢٦٠، مكتبة النهضة ١٩٧٠م.

(٢) انظر ابن العبري (جريجوريوس) : تاريخ مختصر الدول ص٣١٦ وما بعدها تحقيق صالحاني، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص٥٥١. بيروت ١٩٦٥م، محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص٢٤٣.

(٣) المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص١٧.

(٤) يحيى بن سعيد الانطاكي : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص١٩٤-١٩٥ بيروت ١٩٠٩م.

وفي عهد الخليفة الظاهر الفاطمي نقص النيل بمصر سنة ٤١٥هـ وندرت الأقوات واشتد الغلاء[١]. مما أضطر رجال الدولة إلى استيراد القمح من الدول المجاورة، لمواجهة نقص الغلال، وقد تجلت هذه الظاهرة أيضا في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي فأرسل إثر المجاعة التي حلت بمصر سنة ٤٤٦هـ إلى قسطنطين التاسع إمبراطور الدولة البيزنطية، يطلب منه أن يمده بأربعمائة ألف أردب من القمح، فأظهر الإمبراطور استعداده لإجابة هذا الطلب، غير أن الإمبراطورة ثيودورا التي خلفته، اشترطت لإرسال هذه المعونة أن يمدها المستنصر بالجنود إذا اعتدى عليها أي معتد[٢]. فرفض الموافقة على هذا الشرط فعاقت عنه الغلال[٣].

وكان للشدة العظمى التي حلت بمصر في زمن الخليفة المستنصر بالله، واستمرت سبع سنوات من سنة ٤٥٧ – ٤٦٤هـ أثر سيئ على أهالي البلاد المصرية. فقد وقع الغلاء، وسببه قصور النيل، وأعقبه الوباء حتى تعطلت الأراضي عن الزراعة[٤].

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفاء ص٢٧٢ – ٢٧٣.

(٢) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٤٦ دار الفكر العربي ٦٧.

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ص٦، ص٧ز، المقريزي : خطط جـ١ ص٣٣٥.

(٤) المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص٢٠، الخطط جـ١ ص٣٣٥ ، ٣٣٨، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص٣ طبعة ١٩٣٥م. ويقول ستانلي لين بول " أن أردب القمح وصل مائة دينار ".

Stanley Lane Poole, A History of Egypt in the middle Ages P146.

بينما يقول ابن ميسر : أخبار مصر ص٣٤ " أن الرغيف بيع في زقاق القناديل بأربعة عشر دينار، وقيل أربعة عشر درهما (وهو الأقرب) وبيع أردب القمح بمائتي دينار ".

ومما يجدر ذكره أن اختفاء القمح وارتفاع الأسعار أديا إلى أن الأموال والجواهر لم تعد لها أهمية في سبيل الحصول على القوت الضروري[1]. كما عانى بعض كبار رجال الدولة في عهد المستنصر بالله الفاطمي من المجاعة التي حلت بمصر[2]، وأضطر بعض أصحاب النفوذ، والأعيان إلى الرحيل إلى بلاد الشام والعراق[3].

وفي سنة ٤٦٢هـ كان معظم الغلاء بالديار المصرية، وأعقب الغلاء واشتداد الجوع فناء عدد كبير من أهل مصر[4]، حتى أنه كان يموت الواحد من أهل البيت فلا يمضي يوم وليلة من موته حتى يموت سائر من في ذلك البيت، ولا يوجد من يستولي عليه[5].

لم يكن ارتفاع النيل وانخفاضه هو العامل الوحيد الذي كان له تأثر الإنتاج الزراعي في مصر، بل أن استغلال التجار واحتكارهم الحاصلات الزراعية، كان له أثر بالغ في تفاقم الأزمات الاقتصادية، إذ يعمد التجار إلى إخفاء الغلال إذا ما شعروا بانخفاض ماء النيل[6]. وقد قاوم الوزير اليازوري استغلال التجار للفلاحين بشرائهم المحصول الجديد منهم قبل إدراكه، وقطع عليهم السبيل بأن اشترى من التجار ما

---

(١) يذكر المقريزي : إغاثة الأمة ص٢٥ – ٢٦ قصة امرأة من مصر (القسطاط) عرضت عقدا لها بألف دينار، واشترت به تليس قمح فهجم الناس عليها، فخرجت بملء يديها دقيق، فعجنته رغيفا كلفها ألف دينار.

(٢) أبو الحسن بن تغرى بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ٥ ص١٦، Stanley Lane Pole, A History of Egypt in the middle Ages P146.

(3) Ibid : P. 149.

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥ ص٦٤.

(٥) المقريزي : خطط جـ١ ص٣٣٧.

(٦) المقريزي : خطط جـ١ ص٦١، ص٤٧٦.

اشتروه من الفلاحين، بالسعر الذي حدده هو. مع تحديد ربح عادل لهم[١].

كذلك قاوم خلفاء الفاطميين ووزرائهم التجار الذين يعمدون إلى إخفاء الغلال بغرض بيعها بأسعار عالية. وهو ما قاومه جوهر الصقلي عقب دخوله مصر سنة ٣٥٨هـ[٢]. وكذلك الخليفة الحاكم بأمر الله الذي هدد بإيقاع العقاب الشديد على كل من يخفي قمحا عنده[٣]. وكان يطلب من المستهلكين ألا يستهلكوا الكثير من حاجتهم أو يعمدوا إلى تخزين الغلال[٤].

وكان للحروب العنصرية تأثير بالغ على أحوال البلاد الاقتصادية. فقد ترتب على النزاع بين الجند الأتراك – الذين قويت شوكتهم سنة ٤٥٩هـ، وجند السودان الذين بلغوا خمسين ألفا[٥]. أن خرج الأتراك بقيادة ناصر الدولة بن حمدان، وألحقوا الهزيمة بالسودان في الصعيد[٦]. ثم قطع ناصر الدولة بن حمدان الميرة عن مصر، فغلت الأسعار بها، وعدم ما كان بخزائن المستنصر[٧] كما قطع ابن حمدان الميرة عن القاهرة ومصر، ونهب أكثر الوجه البحري[٨].

---

(١) المقريزي : إغاثة الأمة ص ٢٠ – ٢١ – ٣٢.

(٢) نفس المصدر ص١٣ – ١٤.

(٣) نفس المصدر : ص١٧، علي مبارك " الخطط التوفيقية جـ٢٠ ص١٣٣.

(٤) المقريزي : إغاثة ص١٦.

(٥) ابن ميسر : أخبار مصر ص١٦ – ١٧.

(٦) ابن ميسر : نفس المصدر ص١٧، ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ٨ ص١١٦ ويذكر ص١١٥ أن الأتراك سبق أن هزموا السودان في واقعة كوم الريش.

(٧) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر جـ٢ ص١٨٩ المطبعة الحسينية الطبعة الأولى.

(٨) ابن ميسر : أخبار مصر ص٢٠.

على أن تلك الأزمة ما لبثت أن أخذت في الزوال. بعد أن تخلص زعماء الأتراك من ناصر الدولة بن حمدان[١].

استطاع بدر الجمالي[٢]. بعد أسند إليه الخليفة المستنصر بالله الوزارة سنة ٤٦٥هـ أن يعيد للبلاد أمنها وللخلافة هيبتها[٣] فقضى على قواد الأتراك، وقاتل عرب لواته وهزمهم، وطهر الوجه البحري من المفسدين، كما قضى على ثورة كنز الدولة بأسوان، التي كانت آخر الوقائع التي أنصلح بها حال الديار المصرية[٤]. ووجه بدر الجمالي عنايته إلى إصلاح أحوال البلاد الاقتصادية، لينتشلها مما أصابها من بوار وانهيار. وتكللت جهوده بالنجاح حتى زاد دخل الدولة بفضل سياسته الحكيمة فوصل في سنة ١٠٩٠م إلى ثلاثة ملايين ومائة ألف دينار، على حين كان في عام ١٠٦٠م أي قبل الشدة العظمى يتراوح بين المليونين، ومليونين وثمانمائة ألف دينار[٥].

وإذا كانت تلك الشدة قد انتهت، فإن مصر بحكم أنها بلد زراعي يتحكم فيضان النيل في إنتاجها الزراعي. فقد تعرضت لأزمات عدة خلال العصر الفاطمي. فقد زادت الأسعار في خلافة الآمر بأحكام الله

---

(١) نفس المصدر : ص٢٢،
Lane pools (stanley), A History of Egypt in the middle age P. 150.

(٢) بدر الجمالي : مملوك أرمني للأمير جمال الدولة بن عمار، ولي حكم دمشق مرتين، وقد اشترط على الخليفة المستنصر أن يحضر قواته معه : ابن ميسر : أخبار مصر ص٢٢ ،
S tanley Lane poole A History of Egypt. P. 151.

(٣) الأزدي : أخبار الدولة المنقطعة ص٧١. مخطوط بدار الكتب رقم ٨٩٠ تاريخ.

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ص٢٣، ٢٤، ٢٥.

(٥) نفس المصدر : ص٣٠ ، Lane poole : ept cit. P. 151، محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ١٠٩.

الفاطمي، بسبب انخفاض منسوب مياه النيل، كما تجلى الغلاء أيضا فــي عهد الخليفة الفاطمي الحافظ سنة ٥٣٦هـــ فبلغ أردب القمــــح تســـعين درهما، والويبة من الشعير سبعة دراهم[1].

كذلك حدث الغلاء أيام الخليفة الفائز الفاطمي، فبلـــغ ثمـــن أردب القمح خمسة دنانير بسبب قصور النيل عن الوفاء سنة ٥٥٤هـــ[2].

---

(١) ابن ميسر : أخبار مصر ص٨٥.

(٢) المقريزي : إغاثة الأمة ص٢٨.

٣ – السلع الصناعية

اهتم الفاطميون في مصر بالعمل على تقدم الصناعة، كما عنوا بتنمية الثورة الزراعية وزاد نشاط مصر الاقتصادي في العصر الفاطمي. وكان مما ساعد على تقدم الصناعة في هذا العصر استقرار الأمور في البلاد، فضلاً عن حياة الترف والبذخ التي سادت المجتمع في بعض المدن المصرية وبخاصة القاهرة والفسطاط[١].

ومن الصناعات التي ازدهرت في العصر الفاطمي صناعة النسيج. فقد انتشرت دور الطراز[٢] في أنحاء البلاد المصرية.

وبلغ نظام الطراز في العصر الفاطمي من الجودة والدقة درجة زادت كثيراً في كمية إنتاجه، وفي نفاسة نوعها[٣] وكانت الدولة تعين

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص١٥٥.

(٢) ذكر الثعالبي أن " الطراز هو المكان الذي تنسج فيه الثياب الجياد ".
: فقه اللغة وسر العربية ص٢٧٣، تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي.
وطراز : كلمة معربة من الفارسية معناها في الأصل " التطريز " ومن ثم دلت على الرداء المحلي بأشغال التطريز المتشابكة وخاصة الرداء المزين بالأشرطة المطرزة عليها كتابات يرتديه الحاكم أو أي شخص من الأعيان. وأصبح الطراز لا يطلق على الكتابات المنسوجة أو المطرزة أو المخيطة فحسب بل يطلق أيضاً على الكتابات المنقوشة على شريط من أي نوع سواء منحوتة في الصخر أو الفسيفساء أو الزجاج أو الخشب. ثم تدل الكلمة على المصنع الذي يصنع هذه الأشياء أو الأردية، ومن ثم استخدام الطراز بعد ذلك للدلالة على المصانع نفسها. دائرة المعارف الإسلامية : مادة طراز.

(٣) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص١١١.

لدور الطراز مشرفا يسمى صاحب الطراز، يعاونه متوكل للطراز، فضلا عن مشارف وعامل وشاهد(١).

وكان هناك طراز الخاصة، وطراز العامة، وكلاهما من المصانع الحكومية، وإن اختصت الأولى بما يلزم الخليفة ورجال بلاطه وخاصته، في حين كانت الثانية تعمل لحساب بلاط الخليفة وأفراد الشعب ولكنها تتبع أيضا بيت مال الحكومة. وهناك أيضا مصانع أهليه عليها رقابة حكومية وضرائب فادحة(٢).

وكان لمصانع النسيج في مصر أهمية كبيرة، فقد بلغ دخل الحكومة الفاطمية من الضرائب التي جمعت في يوم واحد من تنيس والأشمونين ودمياط في عهد الوزير يعقوب بن كلس مائتي ألف دينار.

---

(١) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٣٠ – ٣٣١.

وتشير دائرة المعارف الإسلامية : مادة طراز، إلى عمل صاحب الطراز، أنه ينظر في أمور الصباغة والآلة والحاكة فيها، وإجراء أرزاقهم، وتسهيل آلاتهم ومشارفة أعمالهم. وكان لا يتولى هذا المنصب إلا الأعيان والمستخدمين من أرباب العمائم والسيوف : زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص١١٢.

(٢) زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ص٨٧-٨٨ القاهرة ١٩٣٥م. وفنون الإسلام ص٣٤٦ القاهرة ١٩٤٨م.

وتشير دائرة المعارف الإسلامية : مادة طراز، أنه كان بتنيس دار طراز عامة علاوة على دار الطراز التي كانت تعمل للخليفة، وكان بتونة دار عامة للطراز. ويبدو ذلك على قطعة كتان في عهد الخلفة الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٨هـ. وكان بدمياط دار طراز خاصة، وكان بالبهنسا طراز للعامة وطراز الخاصة. علاوة على ما كان بمصر والقاهرة، فقد كان بمصر دار طراز خاصة وبالقاهرة دارة طراز خاصة وأخرى للعامة.

ويعلق المقريزي على هذه الرواية بقوله " وهذا شيء لم يسمع قط بمثله في بلد "[١].

وكان الكتان والقطن ينسجان في أنحاء عديدة من الديار المصرية[٢]. ومما يجدر ذكره أنه بينما كانت خراسان تشتهر بزراعة القطن ونسجه، كانت تنتج أجود أنواع الأقمشة من الكتان. وفي ذلك قول الثعالبي " وقد علم الناس أن القطن لخراسان وأن الكتان لمصر "[٣].

وكان يوجد بفارس بعض أنواع من الأقمشة، كالأنواع المصرية من الدبيقي[٤]، والشرب[٥] مما يدل على وجود صلة قوية بين صناعة الكتان بمصر وفارس[٦].

وكانت القاهرة في عهد الفاطميين من أهم مراكز صناعة المنسوجات الحريرية. فقد أنشأ الخليفة الفاطمي المعز لدين الله فيها دار

---

(١) المقريزي : خطط جـ٣ ص٦، زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص١١٩.

(٢) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص١١٦. ويشير إلى أن أكثر ما تقوم صناعة النسيج في الجهات التي يكثر فيها الأقباط، وينسب إليهم نوع في العصر الإسلامي يقال له القباطي.

(٣) الثعالبي : لطائف المعارف ص١٦٠.

(٤) الدبيقي : ثياب تنسب إلى دبيق التي تقع بنواحي بحيرة تنيس. وكان يعمل بها الرفيع من الثياب : الثعالبي : لطائف المعارف هامش (٤) ص٢٢٧. ومكانها اليوم يعرف بتل دبقو أو دبجو على مقربة من شاطئ بحيرة المنزلة في الشمال الشرقي لناحية صان الحجر، بمركز فاقوس بمديرية الشرقية : محمد رمزي : القاموس الجغرافي جـ ١ ص٢٤٣ الخاص بالبلاد المندرسة القاهرة ١٩٥٣م.

(٥) الشرب : ما رق من الثياب من نسيج الكتان : الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ص٢٢٦.

(٦) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٣٨.

الكسوة، حيث كانت تفصل بها الثياب لموظفي الدولة على اختلاف درجاتهم. وكان يصنع بهذه الدار أيضا كسوة الكعبة، والخلع التي يمنحها الخلفاء للوزراء والأمراء والأشراف وكبار رجال الدولة في عيد الفطر، حتى سمى هذا العيد بعيد الحلل. كما عمل الفاطميون على النهوض بصناعة النسيج، فأنشئوا عدة مصانع لإنتاج الأنواع الفاخرة. وكانت دار الديباج[١]، منذ عهد الأفضل بن بدر الجمالي تنتج نوعا من الحرير يعرف بالحرير الديباج[٢]، كما أن خزانة البنود التي بناها الخليفة الظاهر الفاطمي كان بها ثلاثة آلاف صانع لصنع أفخر أنواع الثياب[٣]. وكانت دمياط تصنع أيضا الثياب الحريرية المذهبة، والثياب المعروفة باسم الثياب البلخية. وكذلك كانت الثياب الحريرية والديباج والابريسم تصنع بصفة خاصة في الإسكندرية[٤].

وأنتجت دمياط وتنيس المقصب الأبيض والملون، وهو قماش مطرز، وكذلك الشرب وهو نوع من القماش الشفاف تدخله خيوط حريرية أو مذهبة[٥]. ويقول ابن حوقل أنه كان يحمل من إنتاج تنيس

---

(١) أنشأ هذه الدار الوزير يعقوب بن كلس، ثم سكنها الوزير اليازوري، وما زالت سكن الوزراء إلى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالي فأنشأ داره بحارة برجوان وسكنها. وصارت هذه الدار تعرف بدار الديباج، ويتولاها الأماثل والأعيان : المقريزي خطط جـ١ ص٤٦٤.

(٢) المقريزي : نفس المصدر ج١ ص٤٦٤، محمد جمال الدين سرور : تاج الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٣٧.

(٣) المقريزي : نفس المصدر جـ١ ص٤٣٣.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية : مادة طراز.

(٥) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص١١٣، ١٩٦٣م ولم تكن دمياط تنتج هذه الثياب الكتانية مثل تنيس فحسب، بل كانت تصنع أيضا الثياب الكتانية البيضاء اللون، وكذلك الثياب الحريرية الملونة : دائرة المعارف الإسلامية : مادة طراز.

على عهده إلى العراق ما كان ثمنه من عشرين ألف إلى ثلاثين ألـــف دينار[١]، وكانت شيلان العمائم المصنوعة في تنيس تصدر إلى إيـــران، وبغداد[٢].

كذلك اشتهرت تنيس بصناعة البوقلمون[٣]، أو الأبوقلمون، وهـــو قماش لونه يتغير لونه بتغير ساعات النهار[٤]. ويقول ناصر خســـرو " وينسج بتنيس القصب الملون من عمامات ودفايات، ومما يلبس النســاء، ولا ينسج القصب في غير تنيس، وما ينسج فـــي مصـــانع الســلطان (الخليفة) لا يعطي لأحد، حتى أن رسل ملك فارس ظلوا عـــدة ســنين ليشتروا حلة من كسوة السلطان بعشرين ألف دينـــار فلـم يســتطيعوا شرائها، وسمعت أن سلطان الروم عرض على سلطان مصر أن يعطيه مائة مدينة على أن يأخذ تنيس فلم يقبل السلطان، وما يصل من تنيـــس لخزانة السلطان ألف دينار مغربي يوميا[٥].

وكان يصنع بدمياط الكتان الدبيقي، والمقصور الشفاف والأرديـة، وأصناف المناديل الفاخرة، والفرش المقلم والمطـــرز، ويبلـــغ الثـوب المقصور خمسمائة دينار[٦] وبلغت منسوجات دمياط شهرة عظيمة فـــي

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٥٢ – ١٥٣ ليدن ١٩٦٧م.

(٢) أرشيبا لد لويس : القوى البحرية والتجارية في حـــوض البحـــر المتوســـط ص٣٢٨ ترجمة : أحمد عيسى.

(٣) البوقلمون : نوع من القماش كان يصنع في بلاد اليونان، ثم نقلت صناعته إلى مصر، ومن خواصه أنه يظهر بعدة ألوان حسب تعرضه للشـــمس؛ محمـــد جمـــال الديـــن سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٣٦ هامش (٥).

(٤) نفس المصدر : ص١٣٦.

(٥) ناصر خسرو:سفر نامة ص٣٨، محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية ص١٥٥.

(٦) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص١٦٠ فصلة من مجلـــة كلية الآداب – جامعة القاهرة، المجلد ٢١ العدد الأول ١٩٥٩م.

بلاد فارس. حتى أن أكبر مدينة في فارس لصناعة النسيج وهي - كازرون - كانت تسمى دمياط الأعاجم[١]. وكان ما ينسج في تنيس ودمياط ودبيق يباع بأسعار مرتفعة. فالثوب المطرز بالذهب بألف دينار، والثوب غير المطرز بين مائة ومائتي دينار[٢].

وكان الدبيقي وهو نوع من القماش المزركش ينسج في دبيق ودمياط ودنيس[٣]. واشتهرت دبيق أيضا بثيابها الكتانية، ونسيج العمائم، وكانت تصنع الستائر لتغطية عرش الخلفاء الفاطميين إبان الاحتفالات[٤] وكانت شطا تصنع أيضا الكساوي والأقمشة المعروفة باسم الثياب الشطوية[٥]، كما كانت تعمل بها كسوة الكعبة[٦].

واشتهرت مدينة الأشمونين بالصعيد إلى جانب الفيوم بصناعة المنسوجات[٧] فكان يعمل بها المقاطع السلطانية[٨]. أما البهنسا فكان بها طرز ينسج للخاصة الستور البهنسية وبها طرز كثيرة للعامة، يقيم بها التجار الستور الثمينة طول الستر منها ٣٠ ذراعا مما قيمة الزوج منها

---

(١) جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص٧٣، دائرة المعارف الإسلامية مادة طراز.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : مادة طراز.

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي جـ٤ ص٣٩٣ القاهرة ١٩٦٧م.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى جـ٣ ص٤٩٩.

(٥) المقريزي : خطط جـ١ ص٢٢٦.

(٦) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٧) يقول ابن حوقل " أنه كان يجهز من الأشمونين من الكتان إلى مصر وغيرها، كما كان بالفيوم طراز مشهورة، وفيها ما يجلب من الأمتعة " صورة الأرض ص١٥٨-١٥٩ ليدن ١٩٦٧م.

(٨) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٣٨٣.

مائتا متقال[١]. وقد اشتهر نسيجها بدقة الصنعة وثبات الصباغة والألوان[٢].

وتفوقت بعض البلاد المصرية في صناعة المنسوجات الصوفية نذكر منها أسيوط والقيس التي تميزت بعمل المنسوجات الصوفية التي لم يكن لها مثيل إلا في مصر. وذكر ناصر خسرو أنه رأى بأسيوط فوطة مصنوعة من صوف الغنم لم ير مثلهما في لهاور أو ملتان، وهي من الرقة بحيث يحسبها الناظر حريرا[٣].

واشتهرت طحا (إحدى قرى الصعيد) بصناعة الثياب من الصوف الدقيق، وكان بعضها يصدر إلى بلاد الفرس، حيث عرفت هناك باسم المصري[٤].

وكان يعمل بإخميم الفرش المقطوع[٥]، كما اشتهرت بالأنطاع[٦]. واشتهرت سمالوط بالثياب الصوفية والأكسية

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ص٥٠-٥١ ليدن ١٨٦٦م، المقريزي : خطط جـ١ ص٣٣٧.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٥٩ ليدن ١٩٦٧م.

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص٧٠ – ٧١.

(٤) نفس المصدر : ونفس الصفحات، محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص١٥٥.

(٥) اليعقوبي : كتاب البلدان ص٣٣٢ ليدن ١٨٩٢م. والمقطوع : ضرب من الوشي (النقش) في الثياب.

(٦) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص٩٠. فصلة في مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة، المجلد ٢١ العدد الأول ١٩٥٩م.

المرعــــز[١]. كما ارتقت صناعة السجاد في أسيوط، التـــي أنتجــت سجاداً يشبه سجاجيد أرمينية[٢].

ومن الصناعات التي ازدهرت في مصر في العصـــر الفـــاطمي صناعة السكر والعسل حيث انتشرت معاصره ومطابخه في كثير مـــن أرجاء البلاد المصرية، مثل الفسطاط والمنيا والفيوم وترنوط وأســيوط وقفط وسمهود[٣] كما تقدمت في إقليم الفيوم صناعة السكر. وبلغ مـــن كثرة معاصر القصب المنزرع في قراها، أنها كانت تستخدم في عصــر قصب القرى المجاورة[٤] وكان بأسيوط مطابخ السكر (الأبيض) وســائر أنواع السكر[٥]. أما مطابخ السكر في الفسطاط فقد انفــردت بــها دون القاهرة[٦]، وكان بها مطابخ سلطانية وأخرى أهلية يمتلكها الأفراد[٧].

---

(١) ذكر أبو صالح الأرمني في تاريخه ص٢٦ " ســمالوط بقولــه " الأكســية المرعــز السمالوسيات اكسفورد ١٨٩٤م.

والأكسية المرعز (كالصوف يخلص من بين شعر العنز) وذكر بعض أهل مصـــر أن معاوية لما كبر كان لا يدفأ، فأجمعوا أنه لا يدفئه إلا أكسية تعمل بمصـــر مــن صوفها المرعز العسلي غير مصبوغ، فعمل له عدد منها فما احتاج إلا إلى واحدة. الكندي : فضائل مصر ص٦٨. تحقيق : إبراهيم العدوي.

(٢) سعيد عاشور، عبدالرحمن الرافعي : مصر في العصور الوسطى ص٢٧٨.

وتوجد فيمتحف المتروبوليتان قطعة من السجاد بخط كوفي، دخلته الزخرفة ويرجح العلماء أنها من العصر الفاطمي : زكي محمد حسن، فنون الإسلام ص٣٩٧.

(٣) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٤ ص٤١-٤٢ القاهرة ١٣٠٩هـ.

(٤) النابلس : تاريخ الفيوم وبــلاده : ص٢٩، ٣٢، ٤٠، ٤٦، ٦٤، ٦٩، ٧٢، ٩٤، ١٠٣، ١٠٧، ١١٦، ١٣٣. القاهرة المطبعة الأهلية ١٨٩٨م.

(٥) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص٤٧. دار صادر بيروت ١٩٦٩م.

(٦) ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ٢٩.

(٧) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٤ ص٤٠.

وكان بالفسطاط من مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخاً : المقريـــزي خطــط جـ١ ص٣٤١ - ٣٤٣.

وكانت الحكومة الفاطمية تهتم بهذه الصناعة اهتمامـــا عظيمـــا. فأنشأت المعاصر السلطانية، وحملت الفلاحين على أن يحملوا قصبـــهم إليها ليعصر، ثم يصنع منه العسل والســكر وكـــانت تفــرض عليـــها الضرائب، حتى بلغت حصيلة هذه الضريبة في مصر والقـاهرة ٣١٠٨ دينارا على دار القند، ٣٢ دينارا على مربعة العسل، ١٣٥ دينارا علـــى مطابخ السكر(١).

كذلك انتشرت في مصر صناعة الزيت، لأهميته في حياةأهل هذه البلاد، فكانوا يستخدمونه في طعامهم ووقودهم(٢). ويشير الإدريسي في حديثه عن مدينة قفط إلى أن أهلهما كانوا " يجمعـــون بـــذور الفجـــل والسلجم والخس ويطبخونها ويستخرجون أدهانها، ويصنعون منه أنواعا من الصابون يتصرفون به في جميع أرجاء البلاد(٣). كما يذكـــر ابـــن دقماق أنه كان بمدينة الفسطاط مطابخ الصابون(٤).

وعني المصريون بزراعـــة أشجـار الزيتون ، التي انتشـــرت في منطقة الفيوم والإسكندرية واستخرجوا منـــه زيـــت الزيتـــون(٥) وكذلك استخرجوا زيت (الشيرج) من السمســـــم(٦). وكـــانت أهـــم

---

(١) المقريزي : خطط جــ١ ص١٠٤، ١٠٥.

(٢) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص٥٩٤.

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص٤٨-٤٩ ليدن ١٨٦٦م.

(٤) ابن دقاق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار جــ٤ ص١٠٨.

(٥) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص٥٩٤.

(٦) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي جــ٤ ص٣٩٥-٣٩٦.

وقد عدد ابن دقماق مراكز هذه الصناعة، كما ذكر أن بكل من شبرا الخيمة وقليـوب معاصر شيرج : الانتصار جــ٥ ص٤٧-٤٨.

مصادر الزيت في مدن صندفا بكورة البهنسا[١] وفي الفيوم والفسطاط[٢].

كذلك تقدمت صناعة الزجاج والخزف في بعض البلاد المصرية[٣]. وكان يصنع من الخزف في العصر الفاطمي القدور والصحون والمواعين. ومما يدل على انتشار استعماله في مصر أن البقالين كانوا يضعون ما يبيعونه في أوان من الخزف[٤].

ويصنعون بمصر الفخار من كل نوع، وهو لطيف وشفاف بحيث إذا وضعت يدك عليه من الخارج ظهرت من الداخل، وهم يلونونها بحيث تشبه البوقلمون، فتظهر بلون مختلف من كل جهة تكون بها، ويصنعون بمصر قوارير كالزبرجد فى الصفاء والنظافة ويبيعونها بالوزن[٥].

وبلغت صناعة الزجاج درجة كبيرة من الرقي في العصر الفاطمي. وكان صناع الزجاج والبللور يجندون آلاف العمال في سبيل تزويد المساجد والقصور والمدارس بالزجاج والشمسيات وغيرها[٦] وقد اشتهرت مدينة الفسطاط بهذه الصناعة وكذلك الفيوم والأشمونين والشيخ عبادة بكورة

---

(١) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص٥٩٤ (صندفا : مركز بني مزار محافظة المنيا).

(٢) المقريزي : خطط جـ١ ص٤٦٢.

(٣) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٣٤.

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص٦١، زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص١٤٩-١٥٠.

(٥) ناصر خسرو : سفر نامه ص٦٠.

(٦) زكي محمد حسن كنوز الفاطميين ص١٨١.

البهنسا[١]، كما أن الإسكندرية لم تفقد شهرتها في هذه الصناعة على الرغم من تفوق الفسطاط[٢].

وكان ورق البردي[٣] يجهز للكتابة بمصر منذ عهد بعيد. وظلت الدولة الإسلامية تستورده منها حتى حل محله في أوائل القرن الرابع الهجري نوع من الورق يصنع من الكتان يسمى الكاغد[٤] نقلت صناعته من الصين إلى البلاد الإسلامية[٥] واشتهرت سمرقند بصناعته حتى قيل " أن كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر "[٦] ويقول بعض الكتاب أن صناعة إعداد ورق البردي للكتابة انتهت حوالي منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، حيث نجد أن ورق البردي المؤرخ ينتهي في عام ٣٢٣هـ (٩٣٥م)، على حين أن الوثائق المكتوبة على الكاغد يبدأ تاريخها منذ عام ٣٠٠هـ (٩١٢م) [٧].

وكانت الفسطاط تختص بالورق المنصوري، دون القاهرة[٨] وكان الورق الذي يصنع في الفسطاط من أجود أنواع الورق الذي يصنع في مصر[٩].

---

(١) المقريزي : خطط جـ١ ص٣٤٢، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي جـ٤ ص٣٩٧.

(٢) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص١٨١.

(٣) كان يصنع من ورق البردي القراطيس أو الطوامير، ويبلغ طول الواحد منها ثلاثين ذراعاً وعرضه شبر:السيوطي:حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة جـ٣ ص١٩٤، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق هامش (٣) ص١٣٤.

(٤) الكاغد : القرطاس : الثعالبي : لطائف المعارف هامش (١) ص٢١٨.

(5) Hitti (ph.k). History of the Arabs P.414.

محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٣٤.

(٦) الثعالبي : لطائف المعارف ص٢١٨ تحقيق: إبراهيم الإبياري، حسن كامل الصيرفي.

(٧) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٣٥.

(٨) ابن سعيد :النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ص٢٩، المقريزي:خطط جـ٢ ص١٨٩.

(٩) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٤ ص١٠٨.



الفصل الثانى

التجارة الداخلية

١ - مراكز التجارة الداخلية.

٢ - الأسواق وتزويدها بالسلع التجارية.

(أ) السلع والأسعار.

(ب) دور الحكومة في تسعير السلع والاحتكـــار التجاري.

(ج) دور الحسبة في شئون التجارة في العصر الفاطمي.

(د) اهتمام الدولة بأمن التجار ومتاجرهم.

٣ - المواصلات الداخلية وأثرها في تسهيل ســـبل التجارة :

(أ) طرق الملاحة النهرية.

(ب) الطرق البريـــــــــة.



الفصل الثاني
التجارة الداخلية

١ – مراكز التجارة الداخلية

اكتسبت بعض المدن في مصر أهمية عظمى بعد أن غدت مراكز للتجارة الداخلية في العصر الفاطمي. ومن العوامل التي جعلتها تتخذ هذه الصفة : شغلها موقعا متوسطا بين المناطق التي تتبادل فيها التجارة[١]. فإما أن تكون قريبة من نهر بحيث تصل إليها البضائع لتصرف في أسواقها، أو أن تكون هي ذاتها مركزا لإنتاج أنواع معينة من السلع.

ومن أشهر هذه المراكز :

الفسطاط :

تتميز هذه المدينة بموقعها على النيل، مما يسر على الأهلين سبيل الحصول على الماء[٢] ويقول عنها المقدسى أنها مفخر الإسلام، ومتجر الآنام وأجل من مدينة السلام (بغداد) [٣] ولكون الفسطاط على حافة النيل، وهو محط وإقلاع المراكب[٤]، صار الفسطاط أكثر رزقا وأرخص أسعارا من القاهرة[٥].

---

(١) شيشولم (ج.ح) : الجغرافيا التجارية جـ١ ص٩٥ (مترجم).

(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ص١٠١.

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ص١٩٧.

(٤) أبو الفدا : تقويم البلدان ص١٠٨.

(٥) نفس المصدر : ونفس الصفحة، ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص٢٧ نقلا عن تاريخ القرطي، المقريزي : خطط جـ١ ص٣٦٧.

وكانت تزدحم بالسكان والتجار الوافدين عليها من كل قطر، حتى أن الحسن بن أحمد القرمطي لما سار إليها خرج الناس إليه فرآهم كالجراد[(١)].

وكانت أسواق الفسطاط تتميز بالنظافة، وتصطف فيها القياسر والدكاكين العامرة بمختلف أنواع السلع، وبلغ من ازدحام أسواقها أن شبهت بالجوامع[(٢)]. وكانت تضاء فيها القناديل ليلا ونهارا[(٣)]. ومن أشهر أسواقها سوق القناديل.

وكانت الفسطاط مدينة كبرى تمتد بطول ثلاثة أميال، وقد قدر الأصطخرى[(٤)]، وابن حوقل[(٥)] مساحتها بنحو ثلث بغداد.

ومما يجدر ذكره أن إنشاء القاهرة لم يؤثر كثيرا على مركز الفسطاط التجاري، إذ أن المدينة الجديدة ظلت مدة طويلة أشبه بمعسكر يقيم فيه الجنود والموظفون وغيرهم من الأهالي، والذين كانوا يعتمدون على أسواق الفسطاط في الحصول على المواد الغذائية والمصنوعات والسلع، كما أن موقع القاهرة بالنسبة للنيل كان دون الفسطاط، مما جعل الأسعار في الفسطاط أقل منها في حاضرة الفاطميين[(٦)].

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص١٩٨.

(٢) نفس المصدر : ص١٩٩.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٣٧.

(٤) الاصطخري : المسالك والممالك ص٣٩ تحقيق : محمد جابر عبدالعال الحسيني ١٩٦١م.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٣٧.

(٦) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٤٥ (كان الثلاثون رطلا من الخبز تباع بدرهم، والبيض الثمانية بدانق أي ما يساوي سدس درهم.
المقدسى : أحسن التقاسيم ص١٩٩م.

وترد إلى الفسطاط جميع أصناف التجارة، من الجنوب والشـــمال والشرق والغرب بحكم موقعها الممتاز على رأس الدلتا، إذا ينتهي إليـها النيل منحدرا من الصعيد، ثم يتفرع من شماليها ليتصل بشـــرق الدلتـــا وغربها ثم ينتهي إلى البحر المتوسط[١]. فكان يرد إلى الفســـطاط مـــن الصعيد الأرز والصوف والتمور والخل والزبيب، ومن تنيـــس الثيـــاب الملونة، ومن دمياط القصب، ومن الفيوم الأرز والكتان، ومن الفرمـــا السمك، كما كان يرد إليها الجلبان ودهن الفجل والزئبق[٢].

كذلك تعد الفسطاط من أكبر المراكز الصناعية في مصـــر فـــي العصر الفاطمي، فكان بها مطابخ السكر ومطابخ الورق المنصـــوري[٣] وبها أسواق لبيع الصناعات المختلفة، كما أن بعـــض أســـواقها نســـبت أسماؤها إلى حرف أصحابـــها، مثـــل ســـوق الوراقيـــن والســـراجين والاساكفة، والخبازين والقفاصين والرزازين[٤]، كما أن بعض الأســـواق كان يسمى بأسماء العناصر التي استقرت بالمدينة للتجارة، مثل ســـوق المغاربة، وسويقة العراقيين وسوق البربر[٥].

وقد ضعف شأن هذه المدينة في أواخر العصر الفـــاطمي نتيجـــة الحريق الذي تعرضت له في عهد الخليفة العاضد إذ أمر الوزير شـــاور بإحراقها خشية أن يمتلكها الفرنج فتحول الناس منها إلى القاهرة، بعد ان استمرت النار مشتعلة فيها أربعة وخمسين يوما[٦].

---

(١) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ص١٠١.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص٢٠٣.

(٣) المقريزي : الخطط جـ١ ص٣٦٧.

(٤) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقدة الأمصار جـ٤ ص٢٠، ٣٧.

(٥) نفس المصدر جـ٤ ص٣٢، ٤٩، ٥٠.

(٦) المقريزي : الخطط جـ١ ص٣٣٩، وقد استخدم في حرق المدينـــة عشـــرين ألـــف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل.

القـــــاهرة :

كان القصد من إنشاء هذه المدينة أن تكون معسكرا يقيم فيه الجنود الفاطميون[١]، فضلا عن اتخاذها مقرا للخليفة الفاطمي وموظفي الدولة ودواوين الحكومة[٢].

ولما استقرت الخلافة الفاطمية وزالت عنها الأخطار التي كانت تتهددها، تحولت القاهرة إلى مركز هام من مراكز التجارة، فكان بها ما لا يقل عن عشرين ألف دكان، يبلغ أجرة معظمها عشرة دنانير مغربية في الشهر، وليس فيها ما تقل أجرته عن دينارين[٣]. ويشيد ابن سعيد بعظمة القاهرة وعمارتها وما بها من الطراز والأسواق الضخمة والخانات[٤].

وكانت معظم أسواق القاهرة مبلطة[٥]، وفي جانبيها أفريزان يمشي عليهما الناس في زمن الشتاء، كما أن أغلبها مغطى بالسقائف، وبعضها يضاء ليلا ونهارا لأن الضوء لا يصل إلى داخلها[٦]. والزحام لا يكاد ينقطع بشوارعها، وهي ضيقة لكثرة الناس والدواب حتى الليل، ولا تشق إلا بالكتف، ومن لم يكن متيقظا يداس بسرعة، إذ أن في كل شارع وخطة محلة فيها بيوت ودروب وأسواق[٧].

---

(١) نفس المصدر : جـ١ ص٣٦١، محمد عبدالله عنان : مصر الإسلامية ص٢١.

(٢) كريسويل : تأسيس القاهرة ص٣٠٥ – ٣٠٦ مجلة المقتطف نوفمبر ١٩٣٤م.

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص٤٨.

(٤) ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ص٢٧ تحقيق : حسين نصار.

(٥) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١١ تحقيق:السيد الباز العريني القاهرة١٩٤٦م.

(٦) ناصر خسرو : سفر نامه ص٥٨.

(٧) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ص١٨٨م.

وحوت القاهرة من أهل الفضائل والصناعات والتجارة والمترددين للتجارة ما جعلها أحق بقول أبي اسحق الزجاج في بغداد " هي حاضرة الدنيا وما سواها بادية "[١].

وكانت دكاكين البزازين (تجار الأقمشة) والصرافين وغيرهم مملؤة بالذهب والجوهر والفضة والأمتعة المختلفة، ويجتمع في أسواقها كل ما هو متصور من خريفي وربيعي وصيفي وشتوي[٢]. وكانت الحمر المسرجة توجد على نواصي أسواقها، عليها براذع مزينة، لتكون في خدمة من يريد الركوب[٣].

الإسكندرية :

وكانت من أعظم مراكز التجارة الداخلية في مصر. وترجع شهرتها التجارية إلى ما يباع فيها من السلع المستوردة، فضلا عن التعامل التجاري بين تجارها وتجار الفرنج[٤]. كما كانت مراكزها لإنتاج المنسوجات في طرازها، حيث اشتهرت بصناعة المنسوجات الحريرية، كما كانت من أهم مراكز صناعة الزيت والصابون[٥]. ونظرا لوجود التجار الأجانب بها فقد كان القمح يجلب لها من المناطق المجاورة[٦].

كما عمرت الإسكندرية بالبساتين والأشجار، وكان كثير من فاكهتها، يصدر بالسفن إلى مصر[٧].

---

(١) نفس المصدر : ص١٨٥.

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص٤٠

(٣) نفس المصدر : ص٦١-٦٢.

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٥٩٤.

(٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٥٩٥.

(٦) أبو الفدا : تقويم البلدان ص١١٢-١١٣ ولذلك كانت أسعاره بها مرتفعة.

(٧) ناصر خسرو : سفر نامه ص٤٧.

المحلة الكبيرة[١]:

كانت هذه المدينة مركز لزراعة الكتان وعصر الزيـــت، وبلــغ شهرتها أن شبهها المقدسى بمدينة واسط ببلاد العراق[٢]. وكان لموقعها بين القاهرة ودمياط ومرور التجارة الداخلية البرية بها أهمية كبرى. فقد عمرت بالأسواق والقياسر والبزازين والفنادق[٣].

رشــــيد :

من الثغور المصرية القديمة[٤] وتقع على النيل إلى جهة الغـــرب قرب مصبه في البحر المتوسط[٥]. وقد اشتهرت بإنتاجـــها الزراعـــي. خاصة الفاكهة من الموز والرمان[٦] والبلح[٧] كما قـــام أهلـــها بصيـــد

---

(١) من المدن المصرية القديمة أسمها القبطي دقلا، ولما فتحها العرب أسموها محلة دقلا، وعرفت بمحلة شرقيون، وسميت المحلة الكبرى لأنها أكبر البــــلاد المســـماه باســـم المحلة في مصر حيث يوجد مائة قرية يقال لها المحلة وهي قصبة كـــورة الغربيـــة (محمد رمزي : القاموس الجغرافي جـــ٢ ص٨)، أبـــو الفـــدا : تقويـــم البلـــدان : ص١١٦-١١٧.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص١٩٦.

(٣) الإدريسى : نزهة المشتاق ص١٧٥، سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصـــر الإسلامي ص١٤-١٥. فصله من مجلة كلية الآداب – جامعة القـــاهرة المجلـــد ٢١ العدد الأول ١٩٥٩م.

(٤) رشيد : اسمها القبطي Raschit ومنها اسمها العربي، وكانت تقع إلـــى الشـــمال مـــن موقعها الحالي الذي نقلت إليه في عهد أحمد بن طولون سنة ٢٥٦هـــ/٨٧٠م، ســـعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص١٣٦ فصله من مجلة كليـــة الآداب – جامعة القاهرة المجلد ٢١ العدد الأول ١٩٥٩م.

(٥) أبو الفدا: تقويم البلدان ص١١٦-١١٧، ياقوت الحموي:معجم البلدان جـــ٤ ص٢٥٢.

(٦) ابن محشرة : الاستبصار في عجائب الأمصار ص٨٩.

(٧) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ص١٣٦.

الأسماك من البحر وخاصة الدلينس الذي كان يملح وينقل من رشيد إلى سائر جهات مصر[١].

دبيـــــق :

قرية من قرى دمياط[٢]. وتنسب إليها العمائم الشرب[٣]، والدبيقـي من الثياب[٤] المعلمة والمذهبة حيث كانت تجارة الدبيقي رائجــة فـي القطر المصري. ويبدو أن دبيق كانت تمتاز على دمياط وتنيس بجـودة نسيجها ومتانته، ولهذا أطلق العراقيـون علـى إحـدى قـرى بغـداد (دبقية)[٥]. وكانوا يبيعون منسوجاتها على أنها دبيقية لتروج في السـوق رواج منسوجات دبيق المشهورة بالجودة والمتانة[٦].

تنيـــــس :

وهي جزيرة ومدينة جميلة بعيدة عن الساحل[٧]. وقد أمدنـا ابـن بسام التنيسى بمعلومات هامة عما كان بتنيس مـن منشـآت تجاريـة وصناعية فقال " كان بها حتى عهد الخليفة الحـاكم بـأمر الله ٢٥٠٠ حانوت، ١٠٠ معصرة، ١٥٠ دكان تبيع البز والثياب، ١٦٠ طاحونـة،

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ص١٩، ١٦٢.

(٢) دبيق : من البلاد المندرسة ويعرف مكانها اليوم بتل دبقو أو دبجو بالقرب من شـاطئ بحيرة المنزلة في الشمال الشرقي لصان الحجر بمديرية الشرقية : محمد رمـزي : القاموس الجغرافي جـ١ ص٢٤٣، وتشير دائرة المعارف الإسلامية : مادة أسـيوط إلى أن مكانها الأصلي " دبيق في صعيد مصر ".

(٣) الأزدي : أخبار الدولة المنقطعة ص٥٢ مخطوط بدار الكتب برقم ٨٩٠ تاريخ.

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٣ ص٣٦٢.

(٥) الدبقية : قرية من قرى بغداد : ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٤ ص٣٤

(٦) جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص٧٣، ١٩٤٩م.

(٧) ناصر خسرو : سفر نامه ص٣٨.

٥٠٠٠ منسج يبلغ عدد عمالها عشرة آلاف عامل "(١).

وقد اشتهرت تنيس بصناعة الحلل التنيسية من الكتان، وكان يبلغ ثمن الحلة منها مائتي دينار. ومما يجدر ذكره أنها تفوقت في إنتاجها من المنسوجات الكتانية على إنتاج دمياط وشطا(٢). وكان يحمل من إنتاج تنيس إلى العراق حتى سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م ما كان ثمنه من عشرين ألف إلى ثلاثين ألف دينار(٣). كذلك قامت بتنيس الصناعات الحديدية فصنعت المقاريض والسكاكين والمقصات. وقد رأى ناصر خسرو واحدا منها ثمنه خمسة دنانير مغربية(٤).

وكان بجزيرة تنيس ومدينتها صهاريج عظيمة تحت الأرض تسمى المصانع، تملأ من ماء النيل وقت زيادته، ويستعمل السكان هذا الماء حتى السنة التالية، وكل من لدية فائض ماء فوق حاجته يبيع الفائض لغيره. ويبلغ عدد سكانها خمسين ألفا، ويرسو بها ألف سفينة يخص بعضها التجار(٥). كما كان بها القياسر التي أنشأها الفاطميون لإقامة التجار القادمين إليها، وقد بلغ عددها ستا وخمسين سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م(٦).

---

(١) ابن بسام التنيسي : الأنيس الجليس في أخبار تنيس ورقة ٧١ ب، ٧٢ أ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٨٥٢ أدب، ٤١١٤٥ عمومية.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٥٣، المقريزي : الخطط جـ١، ص١٧٧.

(٣) ابن حوقل : نفس المصدر والصفحة.

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص٤٠. وكانت تنيس تعتمد في مؤنتها على ما يؤتى به من الفاكهة والأغذية من قرى مصر.

(٥) ناصر خسرو : سفر نامه ص٣٩.

(٦) ابن بسام التنيسى : الأنيس الجليس في أخبار تنيس ورقة ٧١ب، ٧١ أ (مخطوط).

ولا شك أن عوامل مختلفة تضافرت حتى جعلت تنيس في ذلك المركز السامي. من ذلك مهارة أهلها، وقربها من المناطق الشهيرة بزراعة أجود أنواع الكتان وسهولة اتصالها بداخلية البلاد عن طريق بحيرة المنزلة. إلا أنها تعرضت لهجوم الفرنج سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م إذ هجموا في خمسين مركبا وأخذوا جميع ما كان فيها وغنموا من الأموال ما لا يحصى[١].

دمياط : [٢].

تقع دمياط على الشاطئ الشرقي لفرع النيل المعروف بفرع دمياط[٣]. وتعد من مراكز التجارة الداخلية الهامة. حيث أخذت تبرز في ميدان التجارة والصناعة[٤] وقد تفوقت في شهرتها على كل من تنيس والغرماء، ومما زاد من أهمية دمياط في العصر الفاطمي أنها أضحت مركزا هاما لصناعة النسيج، وتحيط به وتتبعه كثير من المدن والقرى،

---

(١) الدواداري (ابن أيبك): كنز الدرر وجامع الغرر جـ٦ ص٥٦٣ (ولم تزل تنيس مدينة عامرة إلى سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م حيث حاصرها الفرنجة وعاثوا فيها نهبا وسلبا ثم أحرقوها، وظلت على هذه الحال حتى عهد الكامل محمد بن أيوب فأمر سنة ٦٢٤هـ /١٢٢٦م بهدم ما بقى من سورها وبيوتها : ابن إياس : بدائع الزهور جـ١ ص٤٩-٥٠، جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٣٦ هامش (٤)).

(٢) دمياط : مدينة قديمة عرفها اليونان باسم تامياتس وفي العصر القبطي باسم تاميات، ويقال أن معنى هذا اللفظ في اللغة المصرية القديمة : الأرض الشمالية أو الأرض التي تنبت الكتان : جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص٨.

(٣) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص١٥٧ (ودمياط القديمة إلى الشمال من دمياط الحالية التي نقلت إليه منذ سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م).

(٤) جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص٦٦-٦٧.

التي تعد أيضا من مراكز صناعة النسيج[١]، وقد ساعد على رواج هـذه الصناعة وفرة الكتان بمنطقة دمياط وشرق الدلتا[٢].

واختصت دمياط بإنتاج المنسوجات البيضاء وحدها، ويبلغ الثـوب الأبيض بدمياط وليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار[٣]، ونسب إليـها الثيـاب الدمياطية، وقد بيعت حلتان دمياطيتان سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م بثلاثـة آلاف دينار[٤]، كما كان يعمل بها القصب البلخي[٥].

وكان يقيم بها كثير من الحاكة لعمل الثياب الشـرب[٦]. وبلغـت منسوجاتها شهرة عظيمة في بلاد فارس، حتى أن أكبر مدينة فارسـية لصناعة النسيج وهي – كازرون – كانت تسمى دمياط الأعاجم[٧]. وقـد زارها الرحالة المقدسي فوصفها قائلا " أطيب وأرحب وأكـثر فواكـه، وأحسن بناء وأوسع ماء وأحذق صناعا، وأرفع بـزا، وأنظـف عمـلا وأجود حمامات "[٨].

الفيـوم :

اشتهرت الفيوم بإنتاج القمح الذي زرع فيها بكثرة، فقد كان يشغل نصف مساحة الأراضي الزراعية فيها[٩]، وكذلك الشعير والفول، حيث

---

(١) نفس المصدر : ص١٣.
(٢) نفس المصدر : ص٧٠.
(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٤ ص٨٦.
(٤) نفس المصدر السابقة ونفس الصفحة.
(٥) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٤، ص٨٦.
(٧) جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص٧٣.
(٨) أحسن التقاسيم ص٢٠٢.
(٩) على شافعي : وادي النيل كما وصفه النابلسي ص٤٧ مطبعة مصر ١٩٤٠م.

زرعت بهما مساحات ضخمة من أراضيه بلغت ثلث المساحة المنزرعة بها[١]. كما اشتهرت بإنتاج القطن[٢] إلا أن شهرتها في إنتـاج قصـب السكر غطت على شهرتها في إنتاج القطن[٣]، كما أشار ابن حوقـل[٤] إلى شهرة الفيوم في زراعة الأرز حيث ذكر أنه اكثر غلاتها، وقد أشـد المقدسي[٥]. به حيث يقول " وبالفيوم مزارع الأرز الفائق ومنها يرفـع إلى غيرها من البلاد " بل علل كون ماء الفيوم حار بسبب جريه علـى مزارع الأرز. كما كان بها أيضا الكتان إلا أنه لم يكـن مـن النـوع الجيد[٦].

كذلك اشتهرت الفيوم بإنتـاج السكر. فقد أحصـى النابلسـي[٧] المعاصر الموجودة في أكثر من عشـرة قـرى، لم يقتصر استخدام معاصرها على المنزرع من قصب السكر في قراهـا، بـل كـانت تعصر قصب القرى المجاورة. كذلك قامت صناعة زيت الورد بـالفيوم حيث كانت مركزا لتلـك الصناعـة[٨]، كمـا كـان بـها الحمامـات والأسواق[٩].

---

(١) على شافعي : وادي النيل كما وصفه النابلسي ص٤٧ مطبقة مصر ١٩٤٠م.

(٢) النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده ص٢٣، ص٢٥، المطبعة الأهلية ١٨٩٨م.

(٣) نفس المصدر : ص١٠١.

(٤) صورة الأرض ص١٤٤ ليدن ١٩٦٧م.

(٥) أحسن التقاسيم ص٢٠١، ص٢٠٣، ص٢٠٨، ليدن ١٩٦٧م.

(٦) نفس المصدر : ص٣٠١.

(٧) النابلسي : تاريخ الفيوم وبـلاده ص٢٩، ص٣٢، ص٤٠، ص٤٦، ص٦٤، ص٦٩، ص٧٢، ص٩٤، ص١٠٣، ص١٠٧، ص١١٦، ص١٣٣.

(٨) جروهمان : أوراق البردي العربية جـ٦ ص١٨١.

(٩) أبو الفدا : تقويم البلدان ص١١٤-١١٥.

الفرما :

من أشهر مراكز التجارة الداخلية. وتقـع علـى سـاحل البحـر المتوسط. عامرة أهله. ولها أسواق حسنه، وحولها مصايد السـلوى[١]، معدن الأسماك الجيد[٢]، وكان ما يصاد منها يرسل إلـى الفسـطاط[٣] وكان يربطها بميناء القلزم طريق قوافل صحراوي[٤]، وكانت تعد مفتاح الديار المصرية، وقال عنها المقدسى[٥] أنها " مجمع الطرق ".

بلبيس :

كانت قصبة الحوف الشرقي. اشتهرت بكثرة القـرى والمـزارع وطواحين الغلال، وكانت تمير أهل الحجاز بالدقيق والكعك. وقد أحصى المقدس[٦] ما حمل منها في أسبوع واحد فبلغ ثلاثة آلاف حمل جمل من الحبوب والدقيق، كما كان بها الأسواق والفنادق[٧].

القلزم :

وتقع عند الطرف الشمالي للبحر الأحمر، وهي بلد " ليست بذات كـلأ ولا ضرع ولا حطب ولا شجر " ولكنها تعيش على تجارة البحر الأحمـر،

---

(١) السلوى : السمان وهو من الطيور المهاجرة من أوربا ويظهر في الفرما بكثرة فـي الخريف.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص١٩٥.

(٣) نفس المصدر : ص٢٠٣.

(٤) جمال الدين الشيا : مجمل تاريخ دمياط ص٨.

(٥) أحسن التقاسيم ص١٩٥.

(٦) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٧) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٢، ص٢٦٢، أبو الفدا : تقويم البلـدان ص١١٨-١١٩.

ولا ضرع ولا حطب ولا شجر " ولكنها تعيش على تجارة البحر الأحمر، حتى أصبحت خزانة مصر وفرضة الحجاز ومعونة الحاج[١]. وكانت تعتمد فى ميرة أهلها على ما ينقل إليها من بلبيس من الدقيق والقمح[٢] وتنقل المياه إليها من السويس[٣].

الجيزة :

كانت عامرة بالأسواق والوكالات والخانات، وبها حوانيت تزخر بالسلع التجارية من جميع الأصناف كما يوجد بها كثير من أرباب الحرف، فضلا عن تجار البز والحرير والنحاس[٤] وكان يربطها بمدينة مصر جسران. الأول من مصر إلى الروضة، والثاني من الروضة إلى الجيزة[٥].

أسيوط :

ترجع أهميتها التجارية إلى وقوعها على رأس عدة طرق للقوافل[٦]. فضلا عن الصناعات التي اشتهرت بها. مثل غزل الصوف والقطن والكتان[٧]. وقد ذكر ناصر خسرو " أنهم ينسجون بها من

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص١٩٦.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص١٩٦.

(٣) نفس المصدر : ونفس الصفحة ويقول أنه جاء في الأمثال " ميرة أهل القلزم من بلبيس وشربهم من سويس ".

(٤) علي مبارك : الخطط التوفيقية جـ١٠، ص٥٨، سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص١٠٧ فصله من مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة.

(٥) المقريزي : خطط جـ٢، ص١٧٠.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية : مادة أسيوط.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية : مادة أسيوط.

في لاهور أو ملتان، وهي من الرقة بحيث يحسبها الناظر حريـــرا[١]. ومنها تحمل المنسوجات الكتانية[٢]. وكان فيها سائر أنواع السكر ومنـها يحمل إلى كثير من البلاد[٣].

أخميم :

وتعد من أشهر مدن الصعيد في صناعة المنسوجات، وكان بـــها مصانع حكومية لصناعة النسيج تعرف بالطراز، وكان ثمن الثوب مـــن الطراز الصوف الرقيق والمطرف من الكتان يبلغ عشرين دينارا، كذلك اشتهرت أخميم بالأنطاع، وكانت منتجاتها تصـــدر إلـــى كثـير مـــن الأقطار[٤].

أســـنا[٥] :

كان بهذه المدينة كثير من المتاجر والحوانيت والخانـــات، وتــرد إليها البضائع من القاهرة والأقاليم القبليـــة وأهمـــها الأقمشـــة كـــالبرد والأردية المسماة الشقق الخاصة بالرجال والنساء. وبـــها كثـير مـــن الحرف كصناعة المنسوجات الصوفية السميكة، وصناعــــة المقـــاطف ونحوها، مما يصنع من سعف النخيل[٦]. وكان يرد إلى هـــذه المدينـــة القوافل الآتية من سنار. تحمل إليها الحاصلات السودانية. كمـــا كـــانت

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص٧٠-٧١.

(٢) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ص٥٦.

(٣) القزويني(زكريا بن محمد): آثار البلاد وأخبار العباد ص٤٧ دار صادر بيروت ١٩٦٩م.

(٤) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص٩٠ فصله من مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة.

(٥) اسنا : بالمصرية " ت – سنت " وبالقبطية " سنة " وباليونانية " لاتوبوليس " نسبة إلى لاتو سروهو نوع من السمك يصاد فيها : دائرة المعارف الإسلامية : مادة اسنا.

(٦) علي مبارك : الخطط التوفيقية جـ٨ ص٦٠.

تشتهر بأبراج الحمام[١].

قوص :

كانت قاعدة إقليم الصعيد منذ العصر الفاطمي[٢]. وليس بأرض مصر بعد الفسطاط والإسكندرية أعمر ولا أعظم منها[٣]. ويقول ابن جبير " إنها مدينة حافلة بالأسواق، متسعة المرافق، كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج اليمنيين والهنود وتجار الحبشة، لأنها محط الرحال، ومجتمع الرجال، وملتقى الحجاج المغاربة، والقاهريين والإسكندريين، ومنها يفوزون بصحراء عيذاب وإليها انقلابهم "[٤]. ولذا حفلت بالكثير من الفنادق والبيوت الفاخرة والحمامات ومزارع الخضو والبساتين[٥]. وكان بهذه المدينة معدن الزمرد[٦]. كما يوجد بها سائر أصناف التمر الممتازة. فقد ذكر الأدفوي عن ابن زولاق أنه ليس هناك نوع من أنواع التمر بالعراق إلى وفي صعيد قوص مثله[٧]، وكان بها

---

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٢) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص٨٦-٨٧ وكلمة قوص معناها الدفن. لتخصص أناس من أهلها في دفن ملوك الفراعنة، كما كان بها قوم لهم معرفة بصيد الثعابين والحيات بواسطة أقسام وعزائم سحرية يقرأونها عليها.

(٣) ياقوت الحموي : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص٣٦٢ نشر فردیناند وستنفلد ١٤٦ وأعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد، أبو الفدا تقويم البلدان ص١١٠-١١١.

(٤) ابن جبير : رحلته ص٣٥.

(٥) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ص٨٦.

(٦) ابن محشرة : الاستبصار في عجائب الأمصار ص٨٦.

(٧) الأدفوي : الطالع السعيد ص١١.

بها الحطب الكارمي الذي لا رماد له، والفحم الجاف والكروم[١]. كمـــا كان بها دار للضرب[٢].

أســــوان :

اكتسبت أسوان اسمها من شهرتها التجارية. بوصفها مركز هـــام للتجــــارة[٣]. وتشتهر بكثرة نخيلها ووفرة غلاتـــها مـــن التمـــور[٤]. وظلت هــــذه المدينة منذ الفتح العربي وحتى القرن الســـادس الـــهجري (الحادي عشر الميلادي) طريقا إلى عيذاب، حيث تبحـــر الســـفن إلـــى الحجاز والهند، واشتغل أهلها بالتجارة وخاصة العطارة وســـن الفيـــل وريش النعام[٥].

ومما زاد أهمية أسوان التجارية أنها كانت بحكم موقعـــها ملتقـــى طرق القوافل، حيث كان يجلب لها مختلف السلع وبخاصــــة الرقيـــق. وتعتبر أسوان أقدم محطة تجارية اتصلت بميناء عيذاب اتصالاً وثيقـــا، ولكن ظهور النشاط التجاري لقوص في القرن الحادي عشر الميـــلادي (السادس الهجري) كان له أثر على ما كانت تتمتع به أسوان من شـــهرة

ماجستير/جامعة القاهرة

(١) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية ص٨٦.

(2) Miles (George) : Fatimid coins P. 51 (New York 1951).

(٣) كان يطلق على اسم أسوان " سونو " بمعنى السوق في العصر الفرعوني.

سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص٨١ فصلة مـــن مجلـــة كلية الآداب – جامعة القاهرة.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٥٩، أبو الفدا : تقويم البلدان ص١١٢-١١٣.

(٥) سعاد ماهر : نفس المصدر السابق ص٨٢، دائرة المعارف الإسلامية : مادة أسوان.

تجارية[١].

عيـــذاب :

ومن مراكز التجارة الداخلية في مصر في العصر الفاطمي، مدينة عيذاب، حيث يقول عنها ابن جبير " أنها مدينة على ساحل بحر جـــدة (البحر الأحمر)، أكثر بيوتها من الأخصاص "[٢].

وترجع نشأت عيذاب في الغالب إلى أواخر القرن العاشر الملادي (الخامس الهجري) [٣].

وقد بدأت صغيرة أول الأمر، وكان أهلها يعيشون علـــى صيـد السمك واللؤلؤ، ورعي الأغنام، وأخذت تنو تدريجيا وصـــادر تنـافس ميناء القصير (على ساحل البحر الأحمر) [٤].

زادت أهمية عيذاب في العصر الفاطمي، وازدهرت، فقـد أقـام حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتي عام (٤٥٠-٦٦٠هـ / ١٠٥٨-١٢٦٢م) لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب حيث يركبـون من ساحل مدينة مصر (الفسطاط) إلى قوص، ثم يركبون الإبـل مـن قوص ويعبرون الصحراء إلى عيذاب[٥].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : مادة أسوان.

(٢) رحلة ابن جبير ص٤٢ تحقيق / حسين نصار.

والأخصاص : جمع خص وهو البيت المبني من عيدان الـذرة الرفيعـة والطـوب اللبن.

(٣) أحمد دراج : عيذاب ص٥٥ مجلة نهضة أفريقية العدد التاسع أغسطس ١٩٥٨م.

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦٠٢.

(٥) المقريزي : خطط جـ١ ص٢٠٢ (ويرجع ازدهار عيذاب في هذا العصر إلى تحـول طريق التجارة الفاطمية صوب الجنوب بسبب النزاع بين الفـاطميين والسـلاجقة).

وصحراء عيذاب لا نبات فيها، ولا يؤكل فيها شيء إلا مجلـوب، لكن أهلها أفادوا من الحجاج والتجـار فوائـد لا تحصـى، إذ كـانوا يفرضون ضريبة معلومة على كل حمل يحملونـه للحجـاج[١]، كـانوا يؤجرون لهم المراكب التي تحملهم في البحر إلى جدة ومن جـدة إلـى عيذاب، فيجتمع لهم بذلك مال عظيم، ولم يكن من أهل عيذاب إلا مـن يمتلك مركب أو أكثر على حساب يساره. حتى أنهم جمعوا مـن ذلـك ثروة عظيمة[٢].

وأهل عيذاب من البجاة، وقد اختلطت بهم بعض القبائل العربيـة، وهم قوم مسالمون ليس من طباعهم السرقة أو التعدي على أحد، عملهم التجارة ونقل الحجاج والعمل على راحتـهم[٣].، وصيـد اللؤلـؤ مـن المغاص القريبة من جزائر البحر[٤].

وكان الحجاج يجدون في ركـوب المراكـب أهـوالاً عظيمـة، ويقاسون متاعب جمة، لأن الرياح كانت تلقيهم فـي الغـالب علـى مراسي بعيدة في صحاري مقفره، فينزل إليهم التجـار مـن جبالـهم ويؤجرون لهم الإبل، ويسلكون بهم طريقًا يبعـد عـن المـاء، فيـهلك معظمهم عطشًا. [٥].

ولاستيلاء الصليبيين على ايلة (إيلات حاليًا) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطميـة ص٦٠٢.

(١) ابن جبير : رحلته ص٤٢، المقريزي : خطط جـ١، ص٢٠٣.

(٢) المقريزي : خطط جـ١، ص٢٠٣.

(٣) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص٦٠٢.

(٤) المقريزي : خطط جـ١، ص٢٠٣.

(٥) المقريزي : نفس المصدر والصفحة.

٢- الأسواق وتزويدها بالسلع التجارية

ساعدت الأسواق التي كانت تقام في أنحاء البلاد المصرية على نشاط حركة التجارة الداخلية في تلك البلاد، حيث كانت تتم في هذه الأسواق عمليات البيع والشراء في السلع العادية التي يحتاج إليها الناس. وكانت الأسواق إما أن يبنيها الناس أو الدولة[١] إذ كانت الحياة الاقتصادية في جميع مدن العالم العربي تدور حول الأسواق والمصانع، وتقع غالبًا بالقرب من منطقة الجامع الكبير للمدينة[٢].

وقد اعتاد المسلمون أن يتخذوا مساكنهم على مقربة من أماكن عملهم[٣]. ومما يجدر ذكره أن أول من نظر في ترتيب أسواق التجارة والصناعة في المدن الإسلامية الكبرى وأمر بترتيبها الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك[٤].

وكانت معظم الأسواق مبلطة وإذا لم تكن على هذه الحال ينشأ لها أفريزان على جانبيها يخصصان لمسير الناس[٥]. كما أن أغلبها كان

---

(١) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص٩٩، ١٩٦٣م. (وكلمة بازار : معناها السوق وهي في الفهلوية " فاجار " وفي الفارسية " أباجاري"، والبازار : مجموعة من الدكاكين في شارع مسقوف من الخشب أو الحجر، وله بابان يقفلانه من طرفيه : دائرة المعارف الإسلامية : مادة بازار. ويقول بارتولد "أن ميدان التجارة لم يكن داخل المدينة، بل خارجها بجانب الباب، وتدل على ذلك كلمة بازار ومعناها : عمل بجانب الباب : تاريخ الحضارة الإسلامية ص٣٤ ترجمة حمزة طاهر).

(٢) حسن حسنى عبدالوهاب : ورقات في الحضارة العربية القسم الثاني ص٦٨.

(٣) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص١٠٠.

(٤) حسن حسنى عبدالوهاب : نفس المصدر ص٦٩.

(٥) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١١ تحقيق : السيد الباز العريني.

مسقفًا، ويضاء بعضها ليلاً ونهارًا بالقناديل بسبب تعذر وصول الضوء إلى داخلها[١].

وكانت الحكومة الفاطمية تصدر المراسيم التي تتضمن تعليق المصابيح على جميع الحوانيت وأبواب الدور والأسواق في جميع طرقات القاهرة والفسطاط، فأمر الخليفة العزيز بالله سنة ٣٨٣هـ (٩٩٣م) بمراعاة ذلك[٢]، وأحدث الخليفة الحاكم بأمر الله في أوائل عهده تغييرًا على نظم الحياة المصرية فصارت جميع الأعمال والمعاملات التجارية تؤدي ليلاً[٣].

ولقد ضاقت أسواق المدينة المصرية بالدكاكين واكتظت بالوافدين إليها، مما اضطر القائمين عليها إلى العمل على توسيع مساحتها[٤]، وازداد نشاط الحركة التجارية فيها تبعًا لذلك.

شهدت البلاد المصرية ظهور طبقة من مشاهير التجار. منهم باعة السلع الثمينة كالمجوهرات والمصوغات والرياش والثياب الفاخرة والآنية، ولقيت سلعهم رواجا كبيرا عند كبار رجال الدولة وأعيانها والمختصين بهم[٥].

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص٥٨.

(٢) المقريزي : الخطط جـ٢، ص١٠٨، وكان من رسم أرباب الحوانيب أن يعدوا عند كل حانوت زيرا مملوءا بالماء مخافة أن يحرق مكان فيطفأ بسرعة : القلقشندي : صبح الأعشى : جـ٣، ص٥٢٢، المقريزي : الخطط جـ٢، ص٢١٩.

(٣) جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص٩١،٩٢.

(٤) سليمان مصطفى زبيس : المامة عن أحوال القاهرة الاقتصادية وعلاقاتها مع الخارج ص٥٩١ من أبحاث الندوة الدولة لتاريخ القاهرة الجزء الثاني مارس إبريل ١٩٦٩م.

(٥) جورجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي جـ٥، ص٤٥ دار الهلال.

وكانت السلطات الفاطمية ترقب حركة التجارة في البلاد المصرية، وتتدخل كلما وقعت أزمة من جانب التجار، بسبب قلة الإنتاج، ويبدو لنا هذا واضحا بعد أن تمكن جوهر الصقلي من توطيد سلطة الفاطميين في مصر. فقد أمر بجمع التجار وسلعهم من الغلال وبيعها في مكان محدد لهم. كما ضرب جماعة من الطحانين وشهر بهم[١]. وأمرهم بعدم التصرف ببيع القمح إلا بحضور المحتسب[٢]، كذلك وقف الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٧هـ/٩٩٦م موقفا متشددا مع التجار والسماسرة بسبب حبسهم الغلال، فهدد بتوقيع العقاب على كل من يخزن القمح ولا يظهره[٣]. وأمر الخليفة المستنصر بالله بمعاقبة التجار والسماسرة المستغلين، فأخرجوا الغلال وأداروا الطواحين، وغمر الخبز الأسواق، ورخصت ولم يخفف من وطأته على التجار إلا بعد أن تعهدوا ببيع الخبز رطلين بدرهم[٤].

ولما كانت التجارة الداخلية مركزها الأسواق، لذلك كثرت إقامتها في المدن التجارية الهامة. وكان بالقاهرة في العصر الفاطمي عدة أسواق، تركزت أغلبها حول أبوابها الرئيسية ومن أشهرها :

سوق الشرايحيين : وهو أول سوق أنشئ في القاهرة سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م، ويمتد من باب حارة الروم إلى سوق الحلاويين[٥]، وأقام بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، سوق أمير الجيوش، على رأس حارة برجوان، وقد عرف فيما بعد بسوق

---

(١) التشهير : نوع من العقاب استحدثه الفاطميون، حتى يكون الشخص المعاقب عبرة لغيره.

(٢) المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص١٣/١٤.

(٣) نفس المصدر : ص١٧.

(٤) المقريزي : إغاثة الأمة ص٢٠.

(٥) المقريزي : الخطط جـ٢، ص١٠٠.

برجوان[١]، وكذلك سوق القماحين، ويقع على مقربة من الجامع الأقمر الذي بناه الوزير المأمون البطائحي للخليفة الآمر بأحكام الله[٢]، وقد تغير اسم هذا السوق، وأصبح يعرف بسوق الشماعين، وكان يتوافد عليه عدد كبير من أهالي القاهرة في شهر رمضان لكثرة ما يشترى منه من الشموع الكبيرة والتي تزن الواحدة منها القنطار[٣].

كذلك كانت هناك سويقة الوزير : وتنسب للوزير يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله، وكانت على باب داره، ثم صارت تعرف بسويقة دار الديباج، وقد عرفت في أواخر الدولة الفاطمية بالسوق الكبير[٤] وكذلك سويقة أمير الجيوش : وتنسب أيضًا لبدر الجمالي، وكانت شارعًا من شوارع القاهرة، يسلك فيه من بين القصرين وباب الفتوح وباب النصر[٥].

هذا فضلاً عن سوق الخشابين والحدادين والحجارين والسراجين والطيوريين والوراقين، والجوخيين، والقشاشين، والسيوفيين وسوق الصاغة القديم[٦].

وكانت أسواق القاهرة عامرة بالمنسوجات النفيسة، التي كانت الحكومة تشرف على إنتاجها كالديباج والدمقس المنسوج بخيوط الذهب والفضة[٧].

---

(١) نفس المصدر : جـ٢، ص٩٥، ص١٠١.

(٢) نفس المصدر : جـ٢، ص٩٥.

(٣) نفس المصدر :جـ٢،ص٩٦ويقول المقريزي أنه أدرك سوق الشماعين معمور الحوانيت.

(٤) المقريزي / خطط جـ٢، ص١٠٤.

(٥) نفس المصدر : جـ٢، ص١٠٠.

(٦) نفس المصدر : جـ١، ص٣٧٣.

(٧) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص٨٩.

أسواق الفسطاط :

أما أسواق الفسطاط فإنها ظلت على نشاطها التجاري مع قيام أسواق القاهرة بل إن الرحالين يؤكدون احتفاظ الفسطاط بمكانتها التجارية بسبب وقوعها على شاطئ النيل، أما القاهرة فكانت بعيدة عنه[١]، ومن أشهر أسواقها ازدحاما سوق القناديل وكانت هذا السوق خارج المدينة، ومن المعروف أن الأسواق التي تكون بداخل المدينة أعظم من الأسواق التي هي خارجها، وظل هذا السوق عامرا حتى عهد المستنصر بالله الفاطمي حيث كانت تباع فيه جميع أنواع السلع[٢] كذلك كانت هناك سوق تسمى " دار الأنماط " تباع فيه الأقمشة التي كانت تصنع بالفسطاط والتي كانت ترد إليها من مدن مصر التي اشتهرت بصناعة النسيج[٣]. كما كان هناك رباط يسمى " رباط الوزير " لا يباع فيه سوى " القصب " وفي الدور الأسفل منه يجلس الخياطون، بينما يجلس في الدور الأعلى الرفاعون[٤].

وعلى الرغم من ضيق أسواق الفسطاط بحوائجها، والروايا التي على الجمال[٥]، فإن بعضها كان بمعزل عن الآخر، ويطلق عليها اسم

---

(١) جورجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي جـ٢، هامش ص١٨٤.

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ص٥٩-٦٠، ويقال زقاق القناديل نسبة إلى قنديل على جامع عمرو : ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقدة الأمصار جـ٤،ص١٣، ويقول زكي محمد حسن " أن تسمية السوق نسبة إلى بيع المصابيح فيه إنما منشأ هذه التسمية كما نبه إليها الأستاذ/ فييت أن سكان هذا الحي كان لكل منهم قنديل معلق على باب داره، ولا ينفي هذا أن المصنوعات الزجاجية كانت تباع فيه " : كنوز الفاطميين ص١٨١.

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص١٠٠-١٠١، ليدن ١٩٢٠م.

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص٦٣.

(٥) ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ص٦، تحقيق : زكي محمد حسن.

أرباب الحرفة والصنعة التي تباع فيها مصنوعاتهم[١].

فيقال مثلا : سوق النحاسين، والعيارين، والبزازين، والوراقيـــن، والعطارين، وسوق الغزل[٢].

وكان بالفسطاط أسواق عامرة بالأخشاب منذ العصر الطولونـــي وكانت معظم الأخشاب ترد إلى ديوان الحراج بالفسطاط فيبيعها للتجار، حيث تستغل في الصناعات الخشبية المختلفة، أو تستخدم لبنـــاء ســفن الأسطول[٣].

أهتم الخلفاء بأمر الأسواق. حتى أن الخليفة الحاكم بأمر الله أمـــر ألا تغلق الأسواق ليلا أو نهارا[٤]. وكانت هناك عدة قوانيـــن وقواعـــد تحكم حركة البيع والشراء في أسواق الفسطاط، فيذكر الكندي أن قاضى الفسطاط كان لا يقر في البيع " خيار العيب " (وهو حق المشتري فـــي إعادة السلعة واسترجاع ثمنها إذا وجد بها عيبا)، حيث أن حجتـــه فـــي ذلك أن للمشتري عينا يبصر بها ما يشتريه، ومن المعروف في الفقـــه الإسلامي أن هناك ثلاثة خيارات للمشتري. الأولـــى "خيـــار الرؤيـــا" والثانية "خيار العيب" والثالثة "خيار المذاق"[٥].

---

(١) علي بهجت : حفريات الفسطاط ص٣٧.

(٢) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقـــدة الأمصـــار جـــ٣، ص٣٢، ص٣٤، ص٤٩، ص٥٠.

(٣) المقريزي : الخطط جـ٢ ص١٣٣، ص١٣٥.

(٤) ابن ايبك (الدواداري) : كنز الدرر وجامع الفرر. الجزء السادس الدرة المضية فـــي أخبار الدولة الفاطمية ص٢٦٧، ص٢٦٩. ويذكر أنه في سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م وقع بمصر بردا عظيما (ثلج) حتى صار ارتفاعه على الأرض أزيد من شبر، وبيع علـى الدواب كما يباع في الشام.

(٥) الكندي : الولاة والقضاة ص٣٤٥، ليدن ١٩١٢م.

وكانت المدن والقرى المصرية لا تخلو من الأسواق، فمنها ما هو دائم ومنها ما يقام كل أسبوع ومن أشهرها أسواق أتريب[١] التي اشتهرت بالعسل الموصوف، والذي كان يجلب من بنها[٢]، وأسوق منوف[٣] وطنطا[٤] وسخا[٥] التي حفلت أسواقها بالكتان وزيت الفجل والقمح[٦]، ودمنهور[٧]، وذكر ابن جبير[٨] برمه من أعمال دمنهور وسوقها عامر المرافق، وكانت أشموم طناح ذات حمامات وأسواق[٩]، وكذلك أسواق ميت غمر[١٠]، وكانت بترنوط الأسواق ومعاصر السكر[١١]، كما كان بالإسكندرية أسواق متخصصة، فتباع التوابل بحي

---

(١) اتريب : مركز بنها محافظة القليوبية.

(٢) اليعقوبي : البلدان ص٣٣٧، ليدن ١٨٩٢م.

(٣) وهي منوف العليا : سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العصر الإسلامي ص١١١.

(٤) طنطا : وهو الاسم المصري القديم لهذه المدينة، وذكرها ابن حوقل باسم طندتا، والادريسى باسم طنطة. سعاد ماهر : نفس المصر السابق ص١١٥، وهي الآن أحد مراكز محافظة الغربية.

(٥) سخا : من أعمال الغربية : محمد رمزي : القاموس الجغرافي ص١٤١ الجزء الأول من القسم الثاني.

(٦) سعاد ماهر : نفس المصدر ص١٢٢.

(٧) دمنهور : اسمها المصري – Deomn Hor – أي مدينة الإله حور ومنها الاسم القبطي والعربي، وكانت عامرة وبها حمامات وفنادق وقياسر : سعاد ماهر : نفس المصدر ص١٣٤، وهي الآن بمحافظة البحيرة.

(٨) رحلة ابن جبير ص١٢. وهي الآن قرى من مركز طنطا بمحافظة الغربية.

(٩) أبو الفدا : تقويم البلدان ص١١٨-١١٩.

(١٠) سعاد ماهر : نفس المصدر ص١٢٤.

(١١) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ص٢، الجزائر ١٨٥٧. ومكانها اليوم كوم بللو مركز كوم حمادة – محافظة البحيرة : محمد رمزي : القاموس الجغرافي ص٣٣١، الجزء الأول من القسم الثاني.

خاص يسمى شارع الفلفل[١]. وكذلك اشتهرت قرية البشمور من أعمال دمياط بالقمح اليوسفي المجزع، وبأنواع ممتازة من الكباش[٢]. وكان برشيد أسواق صالحة وحمامات[٣]، كما كان بإحدى بلاد الفيوم التي تعرف ببموية سوق يقام يوم الخميس يبيع فيه العطارون سلعهم[٤] وكانت أسواق الأشمونيين وأخميم وأهناس بوصير تعرض منتجات الحرير والكتان[٥]، وفي منتصف الطريق من مصر إلى قوص موضع يعرف بمنفلوط عامر بالأسواق[٦].

كذلك اشتهرت أسوان بسوقها الذي يتميز بنشاط حركة البيع فيه طوال أيام السنة وقد غلب على كل سوق من أسواق أسوان صفة التخصص ببيع أصناف معينة من البضائع، وكان من محاسن هذا النظام أن التاجر لا يستطيع أن يشذ عن جيرانه برفع سعر السلعة التي يتاجر فيها لأن منافسيه على مقربة منه، كما أن المشتري إذا لم يرقه صنف السلعة فإنه يستطيع أن ينتقل في سهولة من متجر إلى آخر، وإن كان من عيوب هذا النظام أن المشتري إذا أراد شراء أصناف مختلفة فعليه أن يجوب المدينة طولاً وعرضاً[٧].

---

(١) عطية القوصي:تجارة مصر فىالبحر الأحمرص١٧٩،رسالة دكتوراه–جامعة القاهرة.

(٢) اليعقوبي : البلدان ص٣٣٢، ليدن ١٨٩٢م.

(٣) سعاد ماهر : نفس المصدر السابق ص١٣٦.

(٤) النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده ص٦٩، المطبعة الأهلية ١٨٩٨م.

(٥) اليعقوبي : البلدان ص٣٣١، المقدس : أحسن التقاسيم ص٢٠٣، الأصطخري : مسالك الممالك ص٥٣، ليدن ١٩٦٧م.

(٦) ابن جبير : رحلته ص٣١، تحقيق : حسين نصار.

(٧) محمود علي الحويري : أسوان في العصور الوسطى ص١٢٧–١٢٨، رسالة ماجستير – جامعة القاهرة.

أما قرى أسوان فأقيم بها أسواق محلية تعقد مرة كل أسبوع، وهي صورة مصغرة لسوق المدينة الأسبوعي، ويجتمع بائعو كل صنف في ركن من أركان السوق، ولهذا يسهل على المشتري تمييز كل سلعة عن الأخرى، وفي أسواق قرى أسوان كان البائعون لا يزالون يفترشون الأرض[1].

ويبدو أن حركة البيع والشراء في سوق القرية كانت تتم بنظام المقايضة. فالأهالي يشترون حوائجهم ببعض الدجاج ونخال الدقيق[2]. ويرجع السبب في ذلك إلى أن القرية كانت تسير على مبدأ الاكتفاء الذاتي، ومن ثم لا تدعو الحاجة فيها إلى استعمال النقود، أداة لتعامل تجاري بسيط ومحدود. وقد تميزت أسعار أسواق أسوان بالرخص[3].

(أ) السلع والأسعار :

كانت أسواق مصر الداخلية زاخرة بمختلف السلع والأصناف، منها الأحجار الكريمة واللؤلؤ والياقوت والماس والفيروز والمرجان والعقيق[4]. أما الزمرد فكان بصعيد مصر بالقرب من نواحي عيذاب[5] ويذكر القلقشندي[6] أنه "لا نظير له في سائر أقطار الأرض". ومن أنواعه الذباب وهو أجل الأنواع، ثم الريحاني، وأقله قيمة العربي، وهو الذي يضرب إلى البياض مع كمودة[7].

---

(1) Klunzinger upper Egypt its people and its products. P. 33 (London 1818).

(٢) المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص٦٩.

(٣) المقريزي : الخطط جـ١، ص١٩٧.

(٤) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ص١٣، ص١٧.

(٥) ابن حوقل :صورة الأرض ص١٥٠.

(٦) صبح الأعشى جـ٣، ص٢٨٦.

(٧) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ص١٥ (أي أن لونه أبيض يضرب إلى سواد).

كذلك حفلت الأسواق بالمسك والعنبر[١] والكافور[٢] والعود[٣] والقرنفل[٤] والصندل[٥] والزعفران[٦] والدارصيني[٧]، وغير ذلك من التوابل.

وكانت الأسعار تختلف من مكان إلى آخر. وترجع هذه الظاهرة العامة في البلاد إلى أسباب كثيرة : منها القرب من مراكز الإنتاج والبعد عنها، كما أن البلاد الواقعة عند التقاء طرق تجارية هامة تكون في العادة رخيصة الأسعار، ويرجع تفاوت الأسعار أيضا إلى موقع المدينة من ساحل النهر، فقد رخصت أسعار التمور والحبوب في أسوان على عكس ارتفاعها في الإسكندرية[٨] ورخصت الفسطاط عن القاهرة لقرب الأولى من النيل[٩].

كذلك تأثرت أسعار السلع في الأسواق من جراء قلة المعروض منها وكثرة الطلب عليها، إذ أن السعر لا يمكن أن يكون إلا نتيجة

---

(١) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ص١٩، وأجوده ما جلب من شجر عمان.

(٢) نفس المصدر والصفحة وأجوده ما حلا ذوقه وخف وعذب ريحه فلم تظهر فيه نفطية.

(٣) نفس المصدر : ص٢٠ وأفضله الهندي للبخور، والرطب منه يطلب للأدوية.

(٤) نفس المصدر والصفحة : وأجوده الكباش، السالم من النداوة والعفونة.

(٥) نفس المصدر والصفحة : ومنه صنفان أبيض وأحمر، والأحمر يدخل في صناعة الأدوية.

(٦) نفس المصدر : ص٢١، ويدخل في صناعة بعض الأدوية كالروائد.

(٧) نفس المصدر : ص٢٣، الدراصيني : القرفة. ومنها النوع الملفوف الذي يدخل في صناعة الأدوية اكثر من الأغذية.

(٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ص١١٢-١١٣.

(٩) المقريزي : خطط جـ١، ص٣٦٧.

تفاعل قوي العرض والطلب[١]. فكان القمح مثلاً يرتفع سعره إذا اشتدت حاجة الناس إليه وندر وجوده بسبب انخفاض ماء النيل أو لجوء التجار إلى إخفائه بغية رفع أسعاره، وهو ما حدث عند دخول جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وكذلك في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٧هـ/٩٩٦م، ٣٩٥هـ/١٠٠٤م[٢]، وأيضًا في أيام الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٣]، وفي عهد الخليفة الفائز[٤].

أما عن الأسعار فكان إردب القمح في أغلب الأحيان بخمسة عشر درهمًا[٥]، وإردب الشعير بعشرة دراهم، ويزيد ثمن إردب الأرز على ذلك[٦]، ويتراوح ثمن رطل السكر ما بين درهم ونصف ودرهمين ونصف[٧].

أما أسعار المنسوجات فكانت متفاوتة حسب نوع النسيج، فالثوب الذي يقال له البدنه يبلغ ثمنه ألف دينار[٨]، وكان ثوب الحرير الدبيقي يبدأ ثمنه من ثلاثة دنانير ويصل سعره أحيانًا إلى خمسين دينارًا، بل أن

---

(١) جون س. كامبس : المدخل إلى علم الاقتصاد أو (الإنسان والبضائع والنقود) ص١٠٠ ترجمة : حميد القيسى الموصل ١٩٦٤م.

(٢) المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص١٣،١٤.

(٣) نفس المصدر : ص٢٠.

(٤) نفس المصدر : ص٢٨.

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى جـ٣، ص٤٤٧، وكان يبلغ ثمنه وقت الأزمات وانخفاض ماء النيل خمسة دنانير للإردب. المقريزي : إغاثة الأمة ص٢٨.

(٦) القلقشندي : صبح الأعشى جـ٣، ص٤٤٧. وصل ثمن الوبية دينار في عهد الحاكم بأمر الله في غلاء سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، المقريزي : إغاثة الأمة ص١٦.

(٧) القلقشندي : نفس المصدر والصفحة.

(٨) المقريزي : الخطط جـ١، ص١٧٧.

حلة دبيقية بيعت في القرن السادس الهجري (الحادي عشر الميـــلادي) بمبلغ ٥٠٠ دينار[١] والعمامة الشرب المذهبة ثمنها ٥٠٠ دينار[٢]، شـقة دبيقي حريري ثمنها عشرة دنانير، غلالة دبيقي ثمنها ثمانيـــة دنـــانير، ملاءة دبيقي يبلغ ثمنها ٢٤ ديناراً[٣]، جبـــة مـــن الحريـــر الأزرق ٢٠ ديناراً، طيلسان أبيض دينار واحد، شال دينار ونصـــف، رداء للمـــنزل دينارين[٤]. وكان سعر الثوب المصنوع في شطا أو دمياط يبـــاع فـــي أسواق مصر بثلاثمائة درهم أي بعشرين دينار، وذكر أنـــه بيـــع فـــي النصف الأول من القرن السادس الهجري (الحادي عشـــر الميـــلادي). معطف من الصوف بدون حلية بمائتي دينار[٥].

(ب) دور الحكومة في تسعير السلع والاحتكار التجاري :

لا شك أن حركة البيع والشراء كانت تحكمها قوانيـــن العـــرض والطلب، وقد عرض الشيزري، في كلامه عـــن دور المحتســـب فـــي التسعير ومقاومة الاحتكار، إلى أنه لا يجوز للمحتسب تسعير البضـــائع على أربابها، ولا أن يلزم ببيعها بسعر معلوم[٦].

ويقول ابن تيمية " وحاجة المسلمين إلى الطعام واللباس وغير ذلك من مصلحة عامة ليس الحق فيها لواحد بعينه، فتقدير الثمن فيها بثمـــن

---

(1) Ashtor (Eliyahu) : La coût de la vie dans L'Egypte medievale. P.62 (Journal of the Economic and soctal History of the orient, V,III Part 1. 1960).

(٢) المقريزي : الخطط جـ١، ص٢٢٦.

(٣) نفس المصدر : جـ١، ص٤١٠.

(4) Ashtor : Le coût de la vie dans L'Egypte P. 62 (Jesho, N. III, part. I, 1960)

(5) Astor : opt cit. P. 147.

(٦) الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص١٢، تحقيق : السيد الباز العريني، ابـــن تيمية : الحسبة في الإسلام ص١٨ (لأن السعر غلا في عهد الرسول ﷺ فقالوا : يا رسول الله ﷺ سعر لنا فقال : إن الله هو المسعر)

المثل على من وجب عليه البيع أولى في تقديره لتكميل الحرية، وهنا عموم الناس عليهم شراء الطعام والثياب لأنفسهم فلو مكن من يحتاج إلى سلعة أن لا يبيع إلا بما شاء لكن ضرر الناس أعظم، ويظهر أن بعض الفقهاء يعارض هذا التدخل إلا إذا كانت هناك ضرورة لذلك، ولهذا قال أصحاب أبي حنيفة " لا ينبغي للسلطان أن يسعر على الناس إلا إذا تعلق به ضرر العامة، فإذا رفع إلى القاضي أمر المحتكر ببيع ما فضل عن قوته وقوت أهله "[١]. ومن ثم أصبح من الجائز تحديد الأسعار على الباعة عند تجاوزهم وغلوهم فيها[٢].

وكانت الحكومة الفاطمية تتدخل في تحديد الأسعار بالأسواق، ولم يقف بها الأمر عند ذلك، بل كانت تعمل على محاربة اختزان التجار حتى أصبح تسعير القمح وغيره من المواد الغذائية سياسة مرعية عند الفاطميين.

وكان لمخازن الغلال الحكومية دور كبير في مواجهة جشع التجار واستغلالهم، حيث كانت الحكومة تخرج ما في مخازنها من الغلال إذا ما شحت الأقوات نتيجة جشع التجار، أو بسبب عوامل طبيعية لا سلطان للناس عليها، وتبيعه للناس بأسعار مناسبة، ففي أيام الخليفة الفائز أخرجت منها مقادير لا تحصى من الغلال وفرقت على الطحانين ورخصت أسعارها[٣].

ولا شك أن تدخل الحكومة للحد من جشع التجار في رفع الأسعار لا يعني مطلقا القضاء على روح التنافس التي يجب أن تكون بينهم والتي قد يترتب عليها حصول المستهلك على مطالبه من السلع بثمن أقل، والتنافس مطلوب بعكس الاحتكار وما يفضي إليه من غلاء مكروه[٤].

---

(١) ابن تيميمة : الحسبة في الإسلام ص٣٣.

(٢) محمد عبدالله العربي : الملكية الخاصة وحدودها في الإسلام ص٥٧، ١٩٦٤م.

(٣) المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص٢٨.

(٤) محمد عبدالله العربي : الملكية الخاصة وحدودها في الإسلام ص٤١، ١٩٦٤م.

الاحتكار الحكومي :

لجأت الحكومة الفاطمية إلى احتكار بعض المنتجات الزراعيـــة، وموارد الثورة المعدنية. فاحتكرت لنفسها الأخشاب في مناطق الوجـــه القبلي[1] لأهميتها ولحاجة الدولة إليها لسد حاجات المنشآت المدنية مـــن الأخشاب، وبناء السفن الحربية والتجارية، فبذلت الدولة الفاطمية جهدها فـــي الحصول على الخشب الضروري، سواء من داخل البلاد أو من خارجـــها، حيث أن ما تنتجه البلاد من الأخشاب لم يكن يفي بحاجاتها، كما أن أنواعه لم تكن من النوع الصلب (عدا ما يستخرج من غابات الوجه القبلي)، ولـــذا لجأت إلى استيراد بعض أنواعه من أوربا عن طريق تجار البنادقة[2].

ولأهمية أشجار السنط في صناعة السفن، أقامت الحكومة الفاطمية الحراس لحمايتها في مناطق الغابات في البهنسا والأشمونين وأســـيوط وأخميم وقوص،وكان لا يقطع منه إلا ما تدعو الحاجة إليه، وكان لأحـــواج البهنسا رسم مستخرج من النواحي يقال له " مقرر السنط "[3].

كما احتكرت الدولة القرظ (وهي ثمار أشجار السنط) حيث يبـــايع الديوان (ديوان الحراج) الناس عليه بسعر يتراوح بين سبعين وثلاثمائـــة دينار لكل مائة إردب مطحون[4] ، وحرمت على الناس الاتجـــار فيـــه،

---

(١) سليمان مصطفة زبيس : المامة عن أحوال مصر الاقتصادية وعلاقتها مع الخـــارج في عهد الفاطميين ص٥٨٨ في أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة جـ٢، ١٩٦٩م.

(٢) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٤٠.

(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٤٤ ص٣٤٦، وممـــا يجـــدر ذكـــره أن احتكـــار الحكومة للأخشاب مكنها من أن تنشئ أسطولاً بدلاً من الأسطول الذي كـــان معـــدًا لمنع تقدم البيزنطيين في الشام، وكان ذلك في عهد الخليفة العزيـــز بـــالله : جمـــال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٤١.

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص ٣٤٧ . وكان يستخدم كغذاء للماشية وفي الصباغة.

وكان الحائز لشيء من هذه الثمار من الأفراد معرض لأنواع العقوبات والمصادرات[١]. وسمحت الدولة للتجار بالاتجار في الأخشاب التي تستخدم في الوقود وأعمال البناء، مقابل رسم يدفعونه يسمى " رسم الحراج "[٢].

وكانت الدولة الفاطمية تهتم بصناعة السكر والعسل اهتماما عظيما، فأنشأت المعاصر السلطانية، وحملت الفلاحين على أن يحملوا قصبهم إليها. ويرجع ذلك إلى أن الدولة كانت تجبي مقادير طائلة من خراج الأرض المزروعة قصبا[٣]. كما كانت تفرض الضرائب على العسل والسكر، حتى بلغت حصيلة هذه الضريبة في مصر والقاهرة ٣١٠٨ دينار على دار القند[٤]، ٣٢ دينارا على مربعة العسل، ١٣٥ دينار على مطابخ السكر[٥].

أما الشب والنطرون فقد احتكرت الحكومة الفاطمية إنتاجه، وحرمت تجارته على الأفراد[٦]. واحتفظت لنفسها بحق بيعه لتجار الروم الواردين على ثغر الإسكندرية وكذلك البنادقة[٧]. وكانت الدولة تحتفظ بجزء منه للاستهلاك المحلي[٨].

---

(١) المقريزي : الخطط جـ١، ص١١١.

(٢) نفس المصدر : جـ١، ص١١٠.

(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٦٧.

(٤) القند : عسل السكر إذا جمد، وفي دوزي قندنبات = ابن مماتي قوانين الدواوين هامش ص٢٦٧ طبعة عزيز سوريال عطية.

(٥) المقريزي : خطط جـ١، ص١٠٤-١٠٥.

(٦) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٢٩.

(٧) المقريزي : الخطط جـ١، ص١٠٩، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٥٧.

(٨) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٢٨، ص٣٣٦. وكان الشب يستخدم في الصباغة، أما النطرون فكان بعض أنواعه (المشوكس) يستخدمه مبيضو النحاس.

(ج) دور الحسبة في شئون التجارة في العصر الفاطمي:

كانت الحسبة[١] في مصر تابعة لحسبة بغداد حتى تمكن الفاطميون من بسط سلطانهم على البلاد المصرية[٢]، فعز على جوهر الصقلي أن يظل المحتسب السني في منصبه ويكون عقبة في سبيل نشر المذهب الإسماعيلي، ومن ثم عزله أوائل سنة ٣٥٩هـ ـحوالي سنة ٩٦٢ ميلادية) وعين مكانه محتسبًا من المغاربة، ويظهر أن هذا المحتسب كان شديدًا على أهل الفسطاط والسنيين، خاصة وأن تعيينه وخلع المحتسب السني لم يلق قبولاً من الآهلين، لذلك شغب الصيارفة حينما عزر سليمان بن عزة المحتسب جماعة منهم وصاحوا " معاوية خال علي ابن أبي طالب " فهم جوهر باحراق الرحبة (رحبة الصيارف) لولا خوفه على الجامع[٣].

وفي سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م أصبحت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة، فقلد الخليفة المعز لدين الله الخراج والحسبة والسواحل والأعشار والجوالي والاحباس والمواريث والشرطتين لأبي الفرج يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن وكتب لهما سجلاً قرئ يوم الجمعة على منبر جامع ابن طولون[٤].

---

(١) الحسبة :هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان عمر بن الخطاب أول من وضع نظام الحسبة وكان يقوم بعمل المحتسب، ولو أن اللفظ لم يستعمل إلا في عهد الخليفة المهدي العباسي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) : الماوردي : الأحكام السلطانية ص٢٢٧، ص٢٣٠، مطبعة الوطن ١٢٩٨هـ.

(٢) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر جـ١، ص١٦٣.

(٣) المقريزي : اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الخلفاء ص١٨٣. وانظر ذلك بالتفصيل في كتاب حسن إبراهيم وطه أحمد شرف : المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ص٢٠٠-٢٠١. وكانت رحبة الصيارفة بجوار المسجد الجامع بمدينة مصر. المقريزي خطط جـ٣، ص٣٤٠.

(٤) المقريزي : اتعاظ الحنفاء ص١٨٧، ص١٩٦-١٩٧.

وكان المحتسب فى مصر فى العصر الفاطمى يختار من وجـــوه المسلمين وأعيان المعدلين[١] ، وقد أدخل بعض الإصلاح علـــى نظـــام الحسبة فى هذا العصر ، فتعددت أعمال المحتسب وتنوعـــت أســـاليب إشرافه ، وصار يتمتع ببعض النفوذ فى عهد المعز ومن جاء بعده مـــن الخلفاء حتى أصبح سلطته تعيين نواب عنه فى أقاليم الدولة[٢] .

وكان المحتسب يجلس فى جامعى القاهرة والفسطاط يومـــا بعـــد يوم[٣] . ومن أعماله الطـــواف علـــى أربـــاب الحـــرب والمعـــايش ، والمحافظة على الصحة العامة ولك بالإشراف علـــى المـــأكولات فـــى الأسواق كالحلوى واللحوم[٤]، ومن مهامه أيضا منع احتكار الغلة وعدم خلط الجيد بالردئ ولا القديم بالجديد ومراقبة الخبازين[٥]. والتنبيه على السقائين بتغطية الروايا (القرب) بالأكسية ، ومراعاة عيار القرب[٦] .

وكان المحتسب في العصر الفاطمي يتخذ لأهل كل صنعة عريفا، خبيرا بصنائعهم، بصيرا بغشوشهم وتدليســـهم، ليخـــبره عـــن ســـلعهم وبضائعهم ومبلغ جودتها ورداءتها وارتفاع أسعارها[٧]، كما كان يقيـــم

---

(١) القلقشندى : اتعاظ الحنفاء ص ١٨٨٧ ، ص١٩٦ – ١٩٧ .

(٢) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعز لدين الله ص ٢٠١ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ٣، ص ٤٨٧، وكان هذا الممنصب يسمى فى الأندلـس « خطة الاحتساب » جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى جـ١ ، ص ٢٥٢ .

(٤) المقريزى : خطط جـ١ ، ص ٤٦٣ . حسْن إبراهيم حسن والمعـــز لديـــن الله ص ٢٠١ وكان للمحتسب سلطة مصادرة وإعدام البضـــائع الفاســـدة والمحرمـــة وغلـــق حوانيتها : ابن الأخوة : معالم القرية فى أحكام الحسبة الباب ٢١ ، ٥٠ مخطوط بـــدار الكتب برقم ٦٧٩٥ ي وهو فى هذا يشبه منصب المحافظ فى وقتنا الحالى .

(٥) الشيزرى:نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص٢١– ٢٢ ، تحقيق : السيد الباز العرينى .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى جـ٣ ص ٤٨٧ ، وكان هذا المنصب يسمى فى الأندلس « خطة الاحتساب » جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى جـ١ ، ص ٢٥٢ .

(٧) ابن الأخوة:معالم القربة فى أحكام الحسبة الفصل الخامس والستون مخطوط بدار الكتب.

نوابا عنه بالقاهرة وسائر الأقاليم[١]، يقف منهم على أحوال السوق[٢] وفضلا عن ذلك، فإن المحتسب كان يشرف على دار العيار، ويستدعي التجار إلى هذه الدار لاختيار صنجهم ومكاييلهم وموازينهم، ومعاقبة من يحاول الغش[٣].

وكانت له سلطة تنفيذية كالقاضي، إلا أن العقوبات التي يصدرها تسمى " بالتعزيز "[٤]. وتشمل الردع والجلد والتشهير والتوبيخ والنفي والضرب[٥]، وقد رأى ناصر خسرو في القاهرة تاجرا ضبط وهو يغش، فأركبوه جملا وفي يده جرس يهزه بيديه ويقول " لقد كذبت (غششت) وها أنا ذا أعاقب، وكل من يكذب سيجد مثل هذا الجزاء "[٦].

ولا شك أن تجار مصر قد تمتعوا بحقوق وامتيازات في العصر الفاطمي أكثر مما تمتع به إخوانهم في عهد تبعية مصر للخلافة العباسية، فقد لعبت طوائف التجار دورا هاما في النشاط التجاري في مصر في العصر الفاطمي[٧].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى جـ٣، ص٤٨٧، المقريزي : خطط جـ١، ص٤٦٣، ص٤٦٤.

(٢) ابن الاخوة : معالم القربة الباب الثالث والخمسون (مخطوط).

(٣) المقريزي : الخطط جـ١، ص٤٦٤.

(٤) ابن تيميمة : الحسبة في الإسلام ص٣٨٠، القاهرة ١٣١٨هـ.

(٥) المقريزي : خطط جـ٢، ص٢٨٦.

(٦) ناصر خسرو : سفر نامة ص٦١.

(٧) (يشكك د. برنارد لويس في وجود الحسبة في مصر أثناء العصر الفاطمي بمعناها الذي كانت عليه أيام تبعية مصر للحكم العباسي، والتي كانت مهمتها قتل أي محاولة للعمل المستقل في مجال التجارة، ويستشهد بذلك من أدب الحسبة وكتبها والتي كتبت لفائدة المحتسب عن خطر أهل الصنايع في العصر الأيوبي الذي أعيدت فيه إلى الحكم السني، حيث جردت طوائف التجار من أكثر حقوقها وامتيازاتها وأخضعت لإشراف دقيق من جانب الحكومة : النقابات الإسلامية ص٧٣٥ مجلة الرسالة العدد ٣٥٦، ترجمة : عبدالعزيز الدوري، القاهرة ١٩٤٠م).

(د) اهتمام الدولة بأمن التجار ومتاجرهم :

بلغ من اهتمام الحكومة الفاطمية بـــأمن التجـــار ومتـــاجرهم أن البزازين (تجار القماش) وتجار الجواهر والصيارفة كانوا لا يغلقـــون أبواب دكاكينهم، بل يسدلون عليها الستائر ولم يكن يجرؤ أحد على مـــد يديه إلى شيء منها[١].

فمن الأمور التي كانت موضع اهتمـــام جوهـــر الصقلـــي أمـــن الأسواق. فلما شغب الصيارفة برحبتهم بجوار المســـجد الجـــامع هـــم بإحراقها لولا خوفه على الجامع[٢]، وكان سبب ذلك شدة وطأة المحتسب الشيعي عليهم، لذلك رأى جوهر أن يخلع المحتسب الشيعي ويعين بـــدلا منه محتسبا سنيا، لأن المحتسب ورجالـــه كـــانوا يعـــاونون القضـــاة ويساعدونهم مساعدة فعالة في استتباب الأمن والنظام[٣]. وبلـــغ مـــن اهتمام الخلفاء بأمر الأسواق وأمنها أن الخليفة الحاكم بـــأمر الله كـــان يكثر الركوب إليها ليلا ونهارا[٤].

ويذكر لنا الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر ســـنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م في عهد الخليفة المستنصر بالله الفـــاطمي أن الأمـــن كان مستتبا في البلاد، ويرجع ذلك إلى حالة الثراء والرفاهية التي سادت البلاد، ويقول أنه رأى نصرانيا من سراة مصر، قيل أن مراكبه وأمواله وأملاكه أكبر من أن تعد، وبالغ ناصر خسرو في مدى ثراء هذا التاجر فيحكي أنه لما حدثت إحدى الأزمات بسبب نقص النيل، وندرة الغـــلال،

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامة ص٦٤-٦٥.

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة ص١٨٣. وكانت رحبة الصيارفة هي والأسواق محيطة بالمسجد الجامع بمدينة مصر الخطط جـ٢، ص٣٤٠.

(٣) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعز لدين الله ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤) الدواداري (إبن أيبك) : كنز الدرر وجامع الغرر الجزء السادس : الدرة المضية فـــي أخبار الدولة الفاطمية ص٢٦٧، تحقيق : صلاح المنجد، القاهرة ١٩٦١م.

وطلب منه الوزير بناء على تعليمات من الخليفة أن يخرج بعض ما لديه من الغلة للناس. قال للوزير " إن لدي من الغلة ما يمكنني أن أطعم أهل مصر من الخبز ست سنوات "(١).

وكان مما يهدد أمن التجار شغب الجند، واعتدائهم على متاجرهم، ففي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله هاجم جند السودان الفسطاط، وفتحوا دكاكين البزازين والنحاسين والسكريين ودار الشمع، ونهبوا ما فيها، وألقوا أبوابها طعمة للنيران، حتى أن التجار بدأوا في نقل أمتعتهم إلى القاهرة. ولم يتوقف الجند عن النهب والسلب إلا بعد أن نهاهم الخليفة عن ذلك(٢).

كذلك اعتدى جند الخليفة المستنصر على تاجر يهودي من تجار الجواهر، كان مقربا إليه ويعتمد عليه في شراء ما يريد من الجواهر، وقتلوه. وبلغ من ثراء هذا الرجل أنه كان على سقف داره ثلاثمائة جرة من الفضة، زرع في كل منها شجرة كأنها حديقة وكلها أشجار مثمرة، ولما أحس جند الخليفة بما ارتكبوه في حق الخليفة خرجوا إلى ظاهر القاهرة واستمروا هناك حتى الظهر، حتى جاءهم رسول الخليفة يسألهم " إن كانوا مطيعين للخليفة، فقالوا نحن عبيده ولكننا أذنبنا، فسألهم أن يعودوا فعادوا، وكتب أخو التاجر المقتول لما ملكه الفزع رسالة إلى الخليفة يقول فيها " أنه مستعد لتقديم مائتي ألف دينار مغربي حالا لخزانة السلطان " فأمر الخليفة بعرض هذه الرسالة على الناس وتمزيقها

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص٦٢.

(٢) الأزدي (جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر): أخبار الدول المنقطعة ص٦٢-٦٣، مخطوط بدار الكتب برقم ٨٩٠ تاريخ، Lane poole: A History of Egypt P.133.
وكان ماحل بالمدينة وأسواقها بسبب معارضة أهلها لدعوى الوهية الحاكم بأمر الله التي جهر بها حسن بن حيدرة الفرغاني، محمد بن إسماعيل الدرزي سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م.
: جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص٩٦-٩٧.

على الملأ وقال " كونوا آمنين وعودوا إلى بيوتكم فليس لأحد شأن بكم، ولسنا بحاجة إلى أموال أحد "(١).

وكان لتشدد الخليفة الحاكم بأمر الله في منع شرب النبيذ أو صنعه وتعقب السكارى أثره في خلو الطرقات عامة والأسواق خاصة منهم، فلم يكن يجرؤ أحد على شرب الخمر، الأمر الذي وفر الهدوء والسكينة في الأسواق(٢).

ومن العوامل التي ساعدت على استتباب الأمن وحفظ النظام أيضًا وجود نظام للشرطة تأسست قواعده منذ الفتح الإسلامي، وقوى نظامه في عهد الدولة الفاطمية، حيث تولى رئيسها الذي يعرف بصاحب الشرطة تنفيذ أحكام القضاة(٣).

ومما تجدر ملاحظته أن الشرطة قسمت في العصر الفاطمي بمصر إلى قسمين وهما : الشرطة العليا في القاهرة، والشرطة السفلى في مصر (الفسطاط والعسكر)(٤).

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص٦٤-٦٥.

(٢) نفس المصدر : ص٤٩، عبدالمنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر جـ١،ص١٦٧.

(٣) جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص١٤٦.

(٤) نفس المصدر والصفحة : وكان هذا التقسيم معمولاً به منذ العصر الطولوني غير أن الشرطة العليا كانت في مدينة العسكر، والشرطة السفلى كانت في الفسطاط، فلما تأسست مدينة القاهرة انتقلت الشرطة العليا إليها، وبقيت الشرطة السفلى في الفسطاط.

٣- المواصلات الداخلية وأثرها في تسهيل سبل التجارة

(أ) طرق الملاحة النهرية : لا شك أن المواصلات تلعب دورًا هامًا في تسهيل حركة التجارة في داخلية البلاد، وأن طبيعة مصر الزراعية، وامتداد النيل من شمال الوادي إلى جنوبه، والفروع الطبيعية والخلجان التي تخرج منه والفيضان الذي يغمر الأرض في فترة معينة من السنة، كان لكل ذلك تأثير كبير في وسائل النقل داخل البلاد، فالنيل وفروعه أيسر وسيلة للنقل، فتسير المراكب الكبيرة والصغيرة في مجراه حاملة المنتجات الزراعية من أسوان إلى الفسطاط والقاهرة ومنها إلى المواني الواقعة على الساحل الشمالي.

وقد تفرعت من نهر النيل الرئيسي عدة خلجان، هي خليج القاهرة، وخليج سردوس وأبي المنجا، وخليج الإسكندرية، وخليج دمياط وتنيس، وخليج المنهي والفيوم، مع ملاحظة أن أكثر الخلجان والترع والجسور بالوجه البحري، أما في الوجه القبلي فإنها قليلة وقد ذهبت معالمها ودرست رسومها[١].

خليج المنهي والفيوم[٢] : وتتصل فوهته في الطرف القبلي من أعمال الأشمونيين فوق قرية تعرف بذروة سريام، ثم يمر ما بين بلاد الأشمونيين والبهنسا، ثم إلى مدينة أهناس إلى اللاهون حيث ينتهي إلى الفيوم[٣]. وتقطع المراكب هذه المسافة في أربعة أيام[٤].

---

(١) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٠٥-٢٠٦، القلقشندي، صبح الأعشى جـ٣، ص٣٠١، ص٣٠٦.

(٢) المقريزي : خطط جـ١، ص٧١.

(٣) النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده ص٦، القلقشندي : صبح الأعشى جـ٣، ص٣٠١.

(٤) النابلسي : نفس المصدر والصفحة.

وكان استخدام المراكب لهذا الخليج ثمانية أشهر في السنة. ويشير النابلسي إلى أنه في أواخر الدولـــة الفاطمية ونظرًا لإهمـــال إصلاحـــه وعدم العناية بحفره صار يجف ثمانية أشهر، وتجرى فيه الميـــاه أربعـــة أشهر [(١)].

خليج القاهرة (خليج أمير المؤمنين) : وكان هذا الخليج يربـــط النيل بالبحر الأحمر، وهو بظاهر القاهرة من جانبها الغربي فيما بينـــها وبين المقسي، وتسميه العامة " الخليج الحاكمي " و"خليج اللؤلؤة ". وكان قبل أن ينشئ جوهر مدينة القاهرة يسمى " خليج مصر " وقد سمي بعـــد ذلك بالخليج الكبير تمييز له عن الخلجان الأخرى[(٢)].

وكانت السفن النيلية وتقطع المسافة ما بين الفسطاط والقلزم فـــي خمسة أيام ثم تفرغ حمولتها في القلزم، وتعود إلى الفسطاط بما وصـــل القلزم من الحجاز وغيره[(٣)]. وكنت القلزم هي نهاية الخليج حيث يصب في بحر القلزم[(٤)].

---

(١) نفس المصدر والصحفة.

(٢) أمر عمر بن الخطاب عمرو بن العاص بحفر هذا الخليج بعـــد فتـــح مصـــر ســـنة ٢٣هـ/٦٤٣م وسمي خليج أمير المؤمنين: الحسن بـــن زولاق : فضـــائل مصـــر وأخبارها ص١٩، ص٢١، مخطوط بدار الكتب برقم ٣٥٩١ تاريخ، ابن عبدالحكـــم فتوح مصر ص١٦٢، المقريـــزي : الخطـــط جـــ١، ص٢١، جـــ٢، ص١٣٩، ص١٤٣، ص١٤٤، ص١٤٦.

(٣) المقريزي : الخطط جـ٢، ص١٤٣.

(٤) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص١٦٢.

خليج سردوس وأبي المنجا : كان يخرج خليج سردوس[١] فـــي الضفة الشرقية لنهر النيل عند باسوس[٢] وقد استخدمته المراكب للتجارة والنزهة حيث يقول عنه أبن دقماق أنه " إحدى نزهات الدنيـــا"[٣] وقـــد ذكره الدمشقي الذي أورد قول المسبحي (القرن الخامس الهجري) " أنـــه كان يجري إلى قليوب خليج من النيل أيام زيادته "[٤]. وقد ذهـــب هـــذا الخليج وعوض عنه ببحر أبي المنجا[٥]، الذي أمـــر بحفـــره الوزيـــر الأفضل بن بدر الجمالي سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م، وعرف بهذه التســـمية نسبة إلى أبي المنجا اليهودي الذي أشـــرف علـــى حفـــره، ورغـــم أن الأفضل أطلق عليه اسم البحر الأفضلي إلا انه لم يعرف إلا بخليج أبـــي المنجا[٦].

---

(١) الحسن بم زولاق : فضائل مصر وأخبارها ص١٩ (مخطوط)، القلقشـــندي : صبـــح الأعشى جـــ٣، ص٣٠٤، المقريزي : خطط جـــ١، ص٧٠-٧١. والسردوس : اسم قرية من الأعمال القليوبية بجنوبي باسوس ولكنها اندثرت محمد رمزي : القـــاموس الجغرافي ص٦٩ جـــ١.

(٢) باسوس :مركز قليوب، حلت محل بيسوس التي اندثرت : محمـــد رمـــزي : نفـــس المصدر والصفحة.

(٣) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقدة الأمصار جـــ٥، ص٤٧.

(٤) الدمشقي (شيخ الربوه شمس الدين محمد) : تحية الدهر ف عجـــائب الـــبر والبحـــر ص٢٣١ ليبزج ١٣٢٣م.

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى جـــ٣، ص٣٠٥.

(٦) نفس المصدر جـــ٣، ص٣٠٦، وكان أبو المنجا شـــعيا علـــى رأس إدارة الزراعـــة والذي أشرف على حفر هذا الخليج.

Mann (Jacob) : The Jews in Egypt and Palestine under the fatimid caliphs. P.215 oxford. 1920.

خليج الإسكندرية : كان أهم الخلجان المتفرعة عن فرع رشيد[١]. وكانت بدايته عند أبو نشابه (مركز كوم حماده) ومنـــها إلـــى ترنـــوط (الطرانه مركز كوم حماده) ثم إلى بستامه (بشتاي مركـــز تـــلا) إلـــى شابور (مركز كوم حماده) ومنه إلى محلة نقيدة (النقيدي مركـــز كـــوم حماده) إلى دنشال (مركز دمنهور) إلى شبرا (شبرا الدمنهورية مركـــز دمنهور) إلى قزنفيل (قابيل مركز دمنهور) إلى برسيق (مركـــز أبـــو حمص) إلى الكريون (مركز كفر الدوار) إلى قريـــة الصـــير (منشـــأة بسيوني مركز كفر الدوار) إلى الإسكندرية[٢].

وكان استخدام المراكب لهذا الطريق المائي مقصوراً على زمـــن الفيضان حيث يصبح السفر ونقل المتاجر ميسوراً من البحر المتوسط إلـــى الفسطاط، وكانت المسافة بين الإسكندرية والقاهرة في النيل تستغرق ســـتة أيام[٣]. وطول الخليج من فم الخليج ثلاثون ألف وستمائة وثلاثون قصبـــة، وأما عرضه فيتراوح بين قصبتين ونصف وثلاث قصبات ونصف[٤].

خليج دمياط – تنيس : اتصلت تنيس بالفسطاط بخليج دمياط الذي ينقسم عند طلخا إلى خليجين، أحدهما يسير غربًا، إلى دمياط والآخـــر يتجه شرقًا نحو تنيس[٥].

---

(١) عمر طوسون (الأمير) : تاريخ خليج الإسكندرية ١٩٤٢م.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٣٢-١٣٣، عبدالعال عبدالمنعم الشـــامي : مصـــر عند الجغرافيين العرب ص١٣٧، رسالة ماجستير – جامعة القاهرة.

(٣) جاستون فييت : المواصلات في مصر في العصور الوسطى ص٣٥، ترجمة : محمد وهبي، مقالة في كتاب " في مصر الإسلامية " مطبعة المقطم والمقتطف ١٩٣٧م.

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٢١.

(5) Quatremére : Mémoires Geographiques et Historiques sur L'Egypt et sur quelque contrées voisines Tom, L. P. 297.

راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٨٢.

أما عن الطريق النيلي الصاعد إلى الوجه القبلي، فيصف ابن جبير الطريق من الفسطاط إلى قوص مارًا بقرية أسكر (من قرى الأطفيحية) ومنية ابن الخصيب، وأسيوط وأبي تيج وأخميم، وقد قطعه ابن جبير في ثمانية عشر يومًا[١].

وكانت الملاحة النيلية في مصر ذات حركة قوية سريعة تثير الإعجاب، فقد كتب المقريزي وصفًا رائعًا لها فقال " ولا تنس الجواري المنشآت في البحر كالأعلام، التي تسبق عند طياب الريح مفرقات السهام، وإعجابها بغربانها البحرية وحراقاتها وشوانيها وهول مبانيها، معبرة ببأس الحديد والأحجار، محمولة على سطح الماء التيار مشحونة بالرجال منصورة عند القتال "[٢].

وما يجدر ذكره أن الفاطميين عنوا بإنشاء أسطول تجاري ليمارس النشاط التجاري في الداخل والخارج[٣]. ومن المراكب التي استخدمها الفاطميون : أرباع الكيل :وهو مركب لنقل الخشب[٤] والدردمونه وهي مركب لنقل الغلال برسم الاهراء السلطانية (مخازن الحكومة) حمولتها خمسة آلاف إردب[٥]، والشلندي وهي مركب حربي وتجاري[٦].

وكانت الجسور وسيلة هامة للانتقال بين القرى المصرية، وهي نوعان : جسور سلطانية وجسور بلدية.

---

(١) ابن جبير : رحلته ص٢٧، ص٢٨، ص٢٩، ص٣١، تحقيق : حسن نصار.

(٢) المقريزي : خطط جـ١، ص٣٧٠، جاستون فييت : المواصلات في مصر ص٣٥.

(٣) المقريزي :خطط جـ٢، ص١٩٣، ص١٩٥ : من الجدير بالذكر أن الأسطول الفاطمي وصل في عهد المعز إلى ستمائة قطعة بحرية.

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٤٨.

(٥) ابن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك ص١٢٢-١٢٣.

(٦) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٣٩.

الجسور السلطانية : وهي الجسور العامة النفع، وهي أشبه بسور المدينة الذي يجب على السلطان الاهتمام بعمارته[١]. وقد حدثنا ناصر خسرو عن جسر أنشأه الفاطميون على شاطئ النيل ليسير عليه الناس، وهو ممتد من القاهرة حتى أسوان. وبلغ من اهتمام الفاطميين به أن عينوا له موظفًا يشرف على صيانته وتجديد حفره وعمارته، ورصدوا لهذا الغرض مبلغًا سنويًا قدره عشرة آلاف دينار[٢].

الجسور البلدية : وهي الخاصة النفع بناحية دون ناحية، يتولى إقامتها وإتقانها المقطعون والفلاحون[٣].

ولم تغفل الحكومة الفاطمية أهمية وسائل الانتقال. فكانت القوارب تستخدم في الانتقال من شاطئ إلى آخر، كما أن المعديات في المدن الكبرى كالفسطاط وغيرها من البلاد ذات الأسواق الأسبوعية، تعد من وسائل الانتقال التي يستخدمها التجار. فقد كان فيما بين ساحل مصر والروضة جسر من خشب وكذلك فيما بين الروضة وبر الجيزة جسر آخر يمر عليهما الناس والدواب[٤].

---

(١) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٣٢، ص٢٣٣، ص٣٤٢، ولهذه الجسور جراريف ومحاريث وأبقار مرتبة على البلدان المستفيدة منها، ويرتب على كل ناحية إما تقديم ما يقرر عليها من مؤنه وعلوفة واتبان وحشيش أو عشرة دنانير عن كل قطعة أرض، وصار ذلك لازمًا للفلاحين كأنه بعض الخراج.

(٢) ناصر خسرو : سفر نامة ص٦٣، جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٤٦.

(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٣٣.

(٤) المقريزي : خطط جـ١، ص٣٤٢، جـ٢، ص١٧٠، وكان هذان الجسران عبارة عن مراكب مصطفة شد بعضها إلى بعض وفوق المراكب أخشاب ممتدة وعليها تراب.

وكانت تقام على الترع قناطر مبنية بألواح خشبية متحركة، ترفع في ساعات معينة في النهار للسماح للقوارب بالمرور، إما القناطر المبنية بالحجر فكانت تشيد على مواضع في النهر أو الترع الغير صالحة للملاحة[1].

(ب) الطرق البرية : لما كانت الترع والخلجان التي تتفرع من النيل لا تجري المياه في كثير منها طيلة العام، لذلك أصبح من الضروري وجود شبكة من الطرق البرية، وقد ربطت هذه الطرق بين الوجهين القبلي والبحري.

* **الطريق من قلعة الجبل إلى قوص[2] وبلاد النوبة :** ويمر بالجيزة ودهروط (ديروط) وقلوسنا (من عمل الاشمونيين) ثم منها إلى منية بني الخصيب، والاشمونيين، ومنفلوط وأسيوط وطما والمراغة وجرجا والبلينا والكوم الأحمر، ودندري وقوص، ثم من قوص إلى بلاد النوبة مارا بأسوان[3].

* **الطريق من قوص إلى سواكن :** ويمر بقفظ وليطة (بئر ماء على مرحلة من قفط) والذريح (بئر ماء بالقرب من معدن الزمرد) وحميثرة[4] (وهي منازل الطرق في صحراء مصر الشرقية) ومنها إلى

---

(١) جاستون فييت : المواصلات في مصر في العصور الوسطى ص ٥٢ ، ترجمة : محمد وهبي.

(٢) لم تكن قلعة الجبل موجودة أثناء العصر الفاطمي ولكن القلقشندي جعل مكانها نقطة بداية هذا الطريق وما بعده من الطرق، حيث ذكر أن التجارة سلكت نفس طرق البريد التي ذكرها : صبح الأعشى جـ١٤، ص٣٧٣ وما بعدها.

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى جـ١٤، ص٣٧٣-٣٧٤، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٥٩٦.

(٤) حيث قبر سيدي حسن الشاذلي المتوفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

عيذاب[١]. وهناك طريقان يمتدان من عيذاب وقوص أحدهمـــا يعـــرف بطريق العبدين وهي أقصر مسافة والتي سلكها ابن جبـــير[٢] والآخـــر طريق " دون قنا "[٣].

* **الطريق من قنا إلى القصير :** ويمر أولاً بين الجبل والســـاحل متجهًا إلى الجنوب حتى يصل إلى بئر عنبر شرقي قفط، ثم يستقيم إلـــى جهة الشرق حتى يصل إلى القصير[٤].

* **الطريق من أسوان إلى عيذاب :** هنـــاك طريقـــان يســـلكهما المسافرون والتجار بين أسوان وعيذاب، أولهما يمر عـــبر العلاقـــي، ويخترق منطقة المعادن حيث يسلكه التجار وطلاب التبر والحجاج. وقد حدد ابن رستة طول هذا الطريق بخمسة عشر يومًا[٥]. وهـــي طريـــق آمنة وتبلغ مسافتها ٢٠ مرحلة[٦]. أما الطريق الثاني فهو طريق الوضح وتبلغ مسافته ١٨ مرحلة في قفر ورمال وليس فيها عمران، قليلة الماء، وتثور فيها الرياح فتخفي الآثار، ولا يهتدي فيها إلا بعلامـــات يقيمـــه الجمالون فيهتدون بها، وقد سلك ناصر خسرو هذا الطريق وحدد طولـــه بأكثر من ٢٠٠ فرسخ قطعها في خمسة عشر يومًا[٧].

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى جـ١٤، ص٣٧٥.

(٢) ابن جبير : رحلته ص٣٩.

(٣) نفس المصدر والصفحة : دون : قرية على شاطئ النيل.

(٤) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص٨٦ فصلة من مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة.

(٥) ابن رستة : الاعلاق النفسية ص٨٢، ليدن ١٨٩٢م.

(٦) المقدس : أحسن التقاسيم ص٢١٥، ليدن ١٩٦٧م.

(٧) ناصر خسرو / سفر نامه ص٧١-٧٢، ترجمة : يحيى الخشاب.

* **الطريق بين الوادي والواحات الداخلة :** ويشير ابن حوقل إلى أن من قصد الواحات الداخلة من ناحية القيس والبهنسا كان وصوله إلى بهنسه الواح (الواحات البحرية) وبينها وبين البهنسا أربعة مراحل، ثـــم من الواحات البحرية إلى الفرافرة مرحلة[1]. وقد ذكر ابن مماتي هـــذا الطريق عند حديثه عن الشب[2].

* **الطريق بين الواحات البحرية والفيـــوم :** ذكـــر النابلســـي أن الواحات البحرية ارتبطت بطريق مع الفيوم في شمالها. وقدر المســـافة بن حافة منخفضي الفيوم والواحات بنحو يومين أو ثلاثة[3].

* **الطريق بين الفسطاط والإسكندرية في وسط الدلتا وغربيـــها :** يمتد من الفسطاط إلى الإسكندرية طريق إذا نضب ماء الفيضان ، يمـــر بين المدائن والضياع وكرائم المدن ، فمن شطنوف[4] إلى سبك العبيد[5] إلى منـــــوف إلى محلة صرد[6] إلى سخا[7] إلى مسير[8] إلى سنهور[9]

---

(١) صورة الأرض ص١٤٥ ليدن ١٩٦٧م.

(٢) قوانين الدواوين ص٣٢٨، طبعة عزيز سوريال عطية.

(٣) تاريخ الفيوم وبلاده ص٧، المطبعة الأهلية ١٨٩٨م.

(٤) شطنوف : مركز أشمون من أعمال المنوفية.

(٥) سبك العبيد : سبك الأحد مركز أشمون من أعمال المنوفية.

(٦) محلة صرد : من أعمال الغربية وتبعد عن منوف (منوف العليا) ٥٨ كيلو مـــترًا، ١٣ كيلو مترًا عن سخا: محمد رمزي : القاموس الجغرافي ص١٠٢ الجزء الأول مـــن القسم الثاني (١٩٥٤-١٩٥٥م)

(٧) سخا : من أعمال الغربية.

(٨) مسير : من أعمال الغربية.

(٩) سنهور : سنهور المدينة مركز دسوق.

إلى البجوم[١] (مندرسة) ومنها إلى رشيد. ومن هنا يتفرع الطريق على الساحل الشمالي غربًا إلى الإسكندرية[٢] وقد مر ابن جبير بدمنهور ثم سار منها إلى برمة[٣] ثم طندته (طنطا) ومنها إلى مليج[٤] فسبك[٥] فقليوب فمنية السيرج فالقاهرة ومنها إلى الفسطاط[٦].

وهناك طريقان يمتدان بين القلعة والإسكندرية :

أولهما : يبدأ من القلعة إلى الجيزة ثم منها إلى جزيرة القط[٧]. ثم إلى وردان فالطرانة[٨].فطيلاس، فدمنهور إلى لوقين[٩] (لقينة) ثم منها إلى الإسكندرية[١٠].

ثانيهما : يخترق العمران من مركز القلعة إلى مدينة قليوب إلى مدينة منوف العليا إلى المحلة الكبرى والنحريرية[١١] (وتعرف بالنحارية) ومنها إلى الإسكندرية[١٢].

---

(١) البجوم : وكانت بالقرب من ادكو مركز رشيد واندثرت، محمد رمزي : القاموس الجغرافي ص٢٨، من الجزء الأول الخاص بالبلاد المندرسة.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٤١-١٤٢.

(٣) برمة : مركز طنطا محافظة الغربية، محمد رمزي : القاموس الجغرافي ص٩٦، الجزء الأول من القسم الثاني.

(٤) مليج : مركز شبين الكوم محافظة المنوفية.

(٥) سبك : سبك الضحاك مركز الباجور محافظة المنوفية.

(٦) ابن جبير : رحلته ص١٢-١٣، تحقيق : حسين نصار.

(٧) جزيرة القط : من الأعمال الأطفيحية وتعرف اليوم بجزيرة البدرشين التابعة لناحية البدرشين بمركز الجيزة. محمد فوزي : القاموس الجغرافي ص٢١١، من الجزء الأول الخاص بالبلاد المندرسة.

(٨) الطرانة : مركز كوك حمادة محافظة البحيرة.

(٩) لوقين : من أعمال البحيرة بالقرب من الإسكندرية.

(١٠) القلقشندي : صبح الأعشى جـ١٤، ص٣٧٥، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٥٩٦.

(١١) النحريرية:من أعمال الغربية أنشأها الأوغلي الأخشيدي في القرن الرابع الهجري.

(١٢) القلقشندي : صبح الأعشى جـ١٤، ص٣٧٦.

الفصل الثالث

التجارة الخارجية

١ - طرق التجارة البحرية والبرية.

٢ - مراكز التجارة الخارجية.

٣ - العلاقات التجارية.

(أ) مع البلاد الأوربية.

(ب) مع بلاد المغرب والأندلس.

(جـ) مع بلاد الشرق الإسلامي.

(د) مع بلاد الشرق الأقصى.

(هـ) مع بلاد النوبة والحبشة.

٤ - الصادرات والواردات.

٥ - المنشآت التجارية.

(القياسر - الفنادق - الخانات - الوكالات)



الفصل الثالث

التجارة الخارجية

١ - طرق التجارة البحرية والبرية

كان مما زاد في انتعاش حركة التجارة الطرق، التي سهلت على التجار نقل بضائعهم. فقد ربطت مصر مع كثير من البلدان سلسلة من الطرق البرية والبحرية وسنبدأ بالطرق التي ربطت بينها وبين بلدان العالم الإسلامي.

الطريق البحري بين الإسكندرية وبلاد المغرب :

رغم أن المراكب كانت تقلع من تنيس ومن دمياط ورشيد إلى سواحل بلاد المغرب، إلا أن الإسكندرية كانت تعتبر أهم ميناء في مصر. ويستفاد من أقوال البكري أن أهم المراسي على ساحل أفريقيا الشمالي كانت السلوم وطبرق وبرقه وسوسة واجدابية وطرابلس وصفاقس والمهدية[١]. ومن المهدية إلى مليلة وسبتة وطنجة[٢].

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغروب ص٢٠، ص٣٠، ص٤٧، ص٤٩، ص٨٧.

كانت المهدية ميناء القيروان وقد اشتهرت بحركة تجارية عظيمة خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).

التميمي : النظم والطرق التجارية بين الشرق والغرب قبل الحروب الصليبية ص٢٧٥-٢٧٦، المقتطف مارس ١٩٤١م.

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي جـ٤، ص٤٠٦.

الطريق البري إلى بلاد المغرب:

أما الطريق البري إلى بلاد المغرب، فهو طريق ساحلي، أكثر أمنا وراحة للقوافل. ويبدأ من ترنوط إلى ذات الحمام إلى مدينة الرمادة ومنها إلى مدينة برقة[١] ومنها إلى مدينة أجدابية، ومن أجدابية إلى سرت إلى طرابلس إلى جبل نفوسة ومنها إلى زويلة[٢].

كذلك كان هناك طريق جنوبي الطريق الأول. ويبدأ من الفسطاط ويتجه غربا إلى القيروان والسوس وكان البريد يتخذ هذا الطريق أول الأمر (وكان يسمى طريق السكة)، ثم عدل بعد ذلك إلى طرابلس، ومنها كان يقصد القيروان رأسا، وبعدها يسير بحذاء الساحل[٣]. وكانت المسافة بين القيروان والسوس الأدنى من المحيط الأطلسي ألفين ومائة وخمسين ميلا[٤].

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص٢ : ٥.
برقة : اسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس، وأكثر دبايح أهل مصر منها، كما يحمل منها الصوف والعسل والقطران.

(٢) البكري : نص المصدر ص ٦ : ١٠.
ويشير ابن الأثير إلى الطريق التي سلكها الخليفة المعز لدين الله في طريقه إلى مصر حيث رحل من المنصورية إلى سوادنية ومنها إلى رقاده، ثم سار حتى وصل إلى الإسكندرية : الكامل في التاريخ جـ٨ ص٢٢٢-٢٢٣.

(٣) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري جـ٣، ص١٣٠٨.

(٤) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص٨٩ ليدن ١٩٦٧م.
والسوس بلد بالمغرب كانت الروم تسميها خمونيه، وقيل السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة والسوس الأدنى ليس على ساحل البحر المحيط، وإنما السوس الأقصى والمسافة بينهما وبين القيروان ثلاثة آلاف فرسخ: ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٥ ص١٧٢-١٧٣.

وهناك طريق آخر جنوبي يمر بالواحات الداخلة والكفرة ويتجـــه إلى السودان الغربي متجها إلى غانه وأودغشت، فعدل عنه في القـــرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إلى طريـــق سجلماســـه[١]، وكذلـــك طريق من الواحات إلى سنتريه ومنها إلى أوجله[٢]، ثم سجلماسه وهـــو طريق غير مطروق[٣].

الطريق البري بين مصر والشام والعراق :

وكان السفر إلى بلاد الشام بطريق البر أو بالبحر، ويبدأ الطريـــق البري إلى فلسطين من الفسطاط مارا بقيطة وفاقوس، والفرما والعريش ورفح وغزة[٤] أما الطريق إلى دمشق فيبدأ من الفسطاط إلى بلبيس ثـــم إلى الفرما فالرملة ومنها إلى طبرية فدمشق[٥]. وعن طريق بادية الشام تصل القوافل إلى بغداد، فمن دمشق إلى حمص فحماه فقنسرين فحلـــب فالرقة، ومنها إلى نصيبين فالموصل ومنها إلى بغداد[٦].

---

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري جـ٢، ص٣٠٨.

(٢) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص١٤. (سنترية هي واحة سبوة).

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق ص١٢٢، ص١٣٣.

(٤) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٩٣.

(٥) المقريزي : خطط جـ١ ص٢٢٧ (كان في سيناء منذ أمد بعيـد طريقـان تجاريـان وحربيان يصلان بينها وبين الشام وجزيرة العرب وهما طريق الفرما علـى شـاطئ البحر المتوسط إلى الشام فالعراق، وطريق العريش مارا بقطية والعريش إلـى الشـام فالعراق، سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص١٨٤ فصلة مـن مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة.

(٦) الإدريسي : نزهة المشتاق ص١٢٣.
والمسافة من القلزم إلى أرض العراق في البرية نحو من شهر.
الأصطخري : مسالك الممالك ص٦ ليدن ١٩٦٧م.

الطريق البحري بين مصر والشام :

يمتد هـذا الطريق من الإسكندرية، ودميـاط وتنيس ، وبعـد مغادرة الساحل الشمالي لمصر، تسير المراكب بحذاء الشاطئ، مـارة بعسقلان وقيسارية ويافا وحيفا وعكا وصور وصيدا وطرابلس الشـام واللاذقية(١).

ويبدو أن التجار كانوا يفضلون طريق البحر، لقلة تكاليفه، كما أن الطريق البري كان يعترضه قطاع الطرق(٢)، وقبائل البدو التي كثيرا ما كانت تهاجم القوافل.

أما الطريق إلى بلاد الحجاز فكان أحدها بحري والآخر بري.

(أ) الطريق من عيذاب إلى جدة :

كان الحجاج الذين يسافرون للحج بطريق البحر من عيذاب إلـى جدة يجدون مشقة كبيرة في هذا الطريق، لما فيه من أخطار، فضلا عما يقوم به أهل عيذاب من نقل الحجاج في الجلاب (المراكب) ، حتـى يجلس بعضهم على بعض، ويبالغ أصحاب الجلاب (المراكـب) فـي الرسوم التي يتقاضونها نظيرا نقلهم الحجاج، حتى أن صاحب المركـب

---

(١) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص٨٥.

(2) Mann (Jacob) : The Jews in Egypt. P. I03

يذكر (مان) أن أحد اليهود تعرض للسلب وهو في طريقه إلـى بيـت المقـدس بعـد مغادرته دمشق، وان لم يمنع هذا أن السفر بالبحر لم يكن آمنا كل الأمان، حيث كـانت أخطار القراصنة منتشرة في ذلك العصر، وكان القراصنـة يجعلـون مـن الجـزر الموجودة بالبحر المتوسط قواعد ينطلقون منها ثم يعودون إليها بالغنائم والأسلاب.

Philip Gosse : The History of pirapy. P.I. (London 1932), Newbegin (Marion): Mediterranean Iands an introduction study in human and Historical Geography PP. 66-67. (London 1907).

كان يستوفى (يتقاضى) منهم ثمنها في السفرة الواحدة ، ولا يبالي بما يصنع البحر بها، ويقولون " علينا بالألواح ، وعلى الحجاج بالأرواح "، وتقلع المراكب من عيذاب إلى "عقبة أيلة " ومنها إلى جدة[١].

(ب) أما الطريق البري : فيمر بالطور إلى الحجاز. وبعد الفتح الإسلامي قام منها " طريق الحج " يخترق التية إلى الحجاز[٢]. ومن يريد الرحيل إلى مكة من مصر يلزمه الاتجاه نحو المشرق إلى القلزم[٣] ومنها إلى أيلة وبها العقبة العظمى، ومنها إلى حجز بحر القلزم[٤]، ثم إلى حفل (بئر ماء) إلى برمدين إلى عيون القصب إلى المويلحة[٥] ثم إلى الأزلم ومنها إلى الوجه (على ساحل البحر) إلى الحوراء ومنها إلى نبط[٦]، فالدهناء إلى مليص[٧]. إلى بطن مر[٨]. ومنها إلى مكة[٩]. ويبلغ طول

---

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص٤٣، ص٤٤، ص٤٦، ص٤٧، ص٤٨، تحقيق : حسين نصار.

(٢) سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص٨٤، فصلة من مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة.

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص٤٥.

(٤) حجز بحر القلزم : هي جبال الحجاز، سميت بذلك لأنها حجزت بين الشام ونج : ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٣، ص٢١٨.

(٥) المويلح حاليا وتقع على شاطئ البحر الأحمر إلى الشمال من جدة.

(٦) نبط : جبل بطريق مكة.

(٧) مليص : موضع في ديار بكر بلفظ التصغير (اسمالروض) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٨، ص١٥٧.

(٨) بطن مر : من نواحي مكة : ياقوت : معجم البلدان جـ٢، ص٢٢٠.

(٩) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة جـ٢، ص٢١٩-٢٢٠، مطبعة الوطن ١٢٩٩هـ.

هذا الطريق ثلاثمائة فرسخ (تسعمائة ميل) قطعها ناصر خسرو في خمسة عشر يومًا[١].

الطريق بين مصر والسودان :

ربطت مصر بالسودان ثلاثة طرق :

(أ) طريق تسير فيه القوافل بحذاء النيل.

(ب) طريق تخترقه القوافل عبر الصحراء الشرقية.

(ج) طريق تجوبه القوافل في الصحراء الغربية يسمى درب الأربعين[٢].

فالطريق الأول الذي تسير فيه القوافل التجارية من أسوان حتى دنقلة محاذيًا الضفة الشرقية لم يكن ممهدًا، فضلاً عن شدة الجفاف (الحرارة) في الداخل مما جعل المواصلات البرية بين مصر والسودان في هذا الطريق صعبة وشاقة[٣]. إلا أنه مع ذلك يتميز بأمنه[٤].

---

(١) ناصر خسرو : سفر نامه ص٤٥. وكان الحجاج يفضلون السفر بطريق البر تجنبًا لأخطار البحر الأحمر الذي يصفه الكتاب العرب بأنه مليء بشعاب المرجان، عنيف الرياح، شواطئه مجدبة، وتحتاج الملاحة إلى دليل محنك، ولا بد من إلقاء المراسي في الليل، جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ص٢٣٤-٢٣٥.

(2) Longfield : The groth of Sudan communication P.P. 310-311 (London 1935).

(3) Arkell : A History of the sudan from the earliest time to 1821. P. 36 (London 1955).

(٤) علي مبارك : الخطط التوفيقية جـ١٧، ص٤١.

أما طريق القوافل عبر الصحراء الشرقية، فكانت ترد منه تجــارة النوبة والسودان، فضلاً عن سلع الصحراء الشرقية، التي تعتبر أســوان ودراو (شمال أسوان) السوقان الطبيعيان لها.

وتبدأ الرحلة من أسوان في أودية ومسالك عديدة إلى أن تصل إلى إقليم بربر[١].، حيث تقطعها القوافل فيما يقرب من ستة أو سبعة عشــر يومًا، ومن إقليم بربر تواصل القوافل الســفر إلــى أن تصــل مدينــة شندي[٢].

أما طريق درب الأربعين. فيعد من الطرق القديمــة[٣]، فكــانت القوافل تخرج من أسيوط وتمر جنوبًا بالواحات الخارجة حتى تصل إلى واحة سليمة، ومن هذه الواحة تسير إلى بئر السلطان حتــى دارفــور، ويمكن الوصول إلى دارفور أيضًا عبر الصحراء الغربية من جرجـا أو من سوهاج أو أرمنت أو الأقصر أو أدفو، ويوجه خاص مــن أســوان التي تقع تجاه قرية المكس في هذا الطريق[٤].

---

(١) بوركهارت : رحلات بوركهارت في بــلاد النوبــة والســودان ص١٦٥، ص١٦٩، ترجمة : فؤاد اندراوس، القاهرة ١٩٥٩م.

(٢) بوركهارت : رحلات بوركهارت في النوبة والسودان ص٢٠٠، ص٢١٤.
وقد تستغرق الرحلة شهرًا إذا هطل المطر.

(٣) وقد خلف لنا قواد القوافل من الأسرة السادسة نقوشًا على مقـــابرهم، ذكـــروا فيـــها رحلاتهم التي كانوا يقومون بها من أسوان على الضفة الغربية للنيل إلى قبيـــل وادي حلفا، ثم إلى واحة سليمة على درب الأربعين الذي ينتهي إلى دارفور.
Arkell : A History of the sudan from thw earliest time to 1821. PP. 42-43 (London 1955).

(4) Shaw (W.B.K) : Dart El Aarbain. PP. 65-67 (Sudan Notes and record. Vol, XII, 1920).
سليم حسن : مصر القديمة جـ١٠، ص٥٥ القاهرة ١٩٥٥.
وسميت قرية المكس بهذا الاسم، لان بها تحصل المكوس على التجارة القادمـــة عـــبر هذا الطريق من دارفور.

وعلى الرغم من الصعوبات التي كانت تواجهها القوافل التجارية في طريق درب الأربعين عبر الصحراء الغربية بعيدة عن النيل، إلا أنها كانت تصل إلى دارفور في زمن أقصر من الزمن الذي تستغرقه لو أنها سلكت الطريق النيلي إلى دنقلة ومنها غربا إلى دارفور[١].

الطرق التجارية بين مصر والبلاد الأوربية :

(أ) الطريق البحري من غرب أوربا إلى المشرق مارا بمصر :

كان يستغل هذا الطريق تجار اليهود الذين يأتون من مقاطعة بروفانس (بلاد الغال) ويسميهم المسلمون في ذلك الوقت "تجار البحر"[٢]. وكانوا يتكلمون العربية والفارسية واللاتينية والصقلبية، ويجلبون من الغرب الديباج والفراء والسيوف، ويبدأ هؤلاء رحلتهم التجارية من بروفانس (غالية) وترسو سفنهم عند الفرما، ثم يحملون تجارتهم على الدواب إلى القلزم (وهي ميناء السويس الحالية)[٣] ومن القلزم تنقل عبر البحر الأحمر مارة بموانيه الهامة مثل جدة ثم يمضون إلى السند والهند والصين، ويحمل التجار في عودتهم سلع المشرق كالمسك والعود والكافور، وغير ذلك. فإذا وصلوا إلى القلزم اتجهوا إلى الفرما أو الإسكندرية ومنها إلى بروفانس[٤]، وربما عدل فريق منهم بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها للروم[٥].

---

(1) Shaw (W.B.K) : Darb El Arbain. P. 64 (S.N.R. Vol. XII, 1926).

وكانت الواردات السودانية تتكون من الإبل والرقيق وسن الفيل وريش النعام وسن الخرتيت والعرديب (التمر الهندي) والنطرون والصمغ وجلود التماسيح والأفاعي.

سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص١٧٨.

(٢) ابن الفقيه الهمذاني : كتاب البلدان ص٢٧٠، محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ١٤٨.

(٣) محمد جمال الدين سرور : نفس المصدر ص١٤٩.

(4) Heyd. Hist du commerce du Levant au Moyen Age Tome, P. 41 (Leipzig 1923).

(٥) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري جـ٢، ص٢٧٣.

(ب) الطريق البري من غرب أوربا إلى المشرق :

ويبدأ هذا الطريق من بلاد الأندلس إلى طنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازا المغرب الأقصى والأوسط والأدنى عن طريق أفريقية (تونس الحالية) حتى يصل إلى مصر، ثم يتجه إلى بلاد الشام مارا بالرملة ودمشق ثم العراق مارا بالكوفة، وبغداد والبصرة، ثم إلى فارس مارا بالاهواز ثم إلى كرمان والهند والصين(١).

الطرق التجارية بين مصر والبلاد الآسيوية :

(أ) الطريق من مصر إلى الهند والصين : كان البحر الأحمر بداية الطريق البحري المؤدي من مصر إلى الهند والصين. وكانت اليمن في نهاية البحر الأحمر من جهة الجنوب(٢). ومن اليمن إلى عدن، وكانت عدن الميناء الرئيسي للسفن القادمة من هذا الطريق وتوصف بأنها " دهليز الصين "(٣).

وكان الطريق البحري إلى الصين(٤) خاضعا لما يقتضيه هبوب الرياح الموسمية التي تستطيع السفن أن تسير معها دون حاجة إلى

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص١٥٤-١٥٥،حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي جـ٣، ص٥١٢، جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٥٠.

(٢) قدر ابن حوقل المسافة من القلزم إلى اليمن بنحو ثلاثين مرحلة.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص٣٤.

(٤) وقد وصف هذا الطريق في كتاب سلسلة التواريخ وعلق رينو Rainaud على الذيل الذي كتبه سليمان التاجر، وأبو زيد الحسن السيرافي في كتابه المسمى : Relation des Voyagés طبعة باريس ١٨٤٥م، ص١٦ وما يليها.

وابن خرداذبة : المسالك والممالك ص٦١ وما بعدها، وآدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري جـ٢، ص٣٢٧.

استخدام البوصلة[1]. ومن ذلك نعلم أن السفن كانت تسير بحذاء ســاحل الهند، ويتجهون من مسقط إلى ميناء كولم ملـــى (كــولام : كويلــون الحالية) [2]. وذلك في نحو شهر، ثم يواصلون سيرهم جاعلين جزيـــرة سرنديب[3] إلى يمينهم، ويقصدون جزائر كله بار. (نيكوبار[4]، ومنـــها إلى ملقا[5]. ثم تواصل المراكب سيرها إلى أبـــواب الصيـــن[6]، فـــإذا جاوزت السفينة الأبواب ترسو في الموضع المسمى خـــانفو (كـــانتون الحالية) : إلى الجنوب من مدينة شنغهاي) [7] التي تعد من أكبر المراكز

(١) كانت الإبرة المغناطيسية Magnetic Needle معروفة في الصين منذ أقدم العصور ولكـــن لم يرد ذكر لاستعمالها بوصلة بحرية compass قبل نهاية القرن الحادي عشر الميـــلادي، فقد ذكر عندئذ أنها تستعمل في سفن العرب والفرس، التي تشتغل بالتجارة بين كـــانتون وسومطرة والهند، ومن المحتمل أن استعمالها بوصلة بحرية انتقل من الشرق الأقصى إلى البحر المتوسط على يد العرب أيام الحروب الصليبية : جورج فضلو حورانـــي : العرب والملاحة في المحيط الهندي ص٢٨٤ ترجمة : السيد يعقوب بكر.

(٢) سلسلة التواريخ ص١٥، آدم متز : الحضارة الإسلامية جـ٢، ص٣٢٧.

(٣) سرنديب : سيلان أوسرى لانكا .

(٤) سلسلة التواريخ : ص١٨، آدم متز : جـ٢، ص٣٢٧. والمسافة نحو شهر كله بـــار : كلمة معناها الساحل وبار هي مملكة الزابج، متيا منه عن بلاد الهند.

(٥) سلسلة التواريخ : ص١٩، آدم متز : نفس المصدر ص٣٢٧.

(٦) أبواب الصين : جبال في البحر بين كل جبلين فرجه تمر منها المراكب سبعة أيام.

(٧) سلسلة التواريخ : ص٢٠-٢١.

وكان المسافر يسير مع ساحل الصين وحده شهرين، وكان لا بد من انتظـــار الريـــاح الطيبة حيث تسود هذه المنطقة الرياح الموسمية، أما في العودة فكان الناس يســـيرون أربعين يوما من تسوانتشو إلى اتياء (على الطرف الشـــمالي الغربـــي مـــن جزيـــرة سومطرة) وكانوا يتاجرون هناك ثم يعودون إلى البحر في العام التالي بمعاونة الريـــاح العادية.ويقول آدم متز ' وهذا على الأقل ما حكاه تشاو جوكوا في القرن ١٢ ص١١٢' : الحضارة الإسلامية جـ٢، ص٣٢٧).

التجارية[١]، حيث كانت حكومة الصين تنظم بها التجارة تنظيمًا دقيقًا، فكانت السفن إذا وصلت إلى ميناء المدينة، قام الصينيون بنقل ما يحملونه من سلع وبضائع إلى مخازن الجمارك. وتظل بهذه المخازن إلى أن تدخل آخر سفينة تجارية، وكانت الرسوم الجمركية التي تفرض على هذه السلع تصل إلى ٣٠%. وكانت الحكومة الصينية تشتري ما تحتاجه من هذه السلع بأثمان مناسبة[٢].

ومن الأخطار التي كانت تهدد التجارة الإسلامية في ميناء خانفو (كانتون)، النار التي كثيرًا ما كانت تأتي على السلع التي توجد في المباني الخشبية (مخازن الجمارك)، مما يلحق الخسائر بكثير من التجار هناك، كذلك كان هؤلاء التجار يضطرون إلى الإقامة الطويلة في تلك البلاد حتى تهدأ العواصف والرياح خوفًا من تحطم سفنهم، فيضطرون إلى بيع ما يحملونه من بضائع في غير بلاد العرب[٣]، بالإضافة إلى القيود التي كانت تضعها السلطات الصينية على التجارة الصادرة، فقد كان على تجار الشرق أن يسجلوا أسماؤهم في مكتب " مفتش التجارة البحرية " الذي كان يقوم بفحص بيانات بضائعهم، ويجمع منهم ضرائب التصدير ورسوم الشحن). ويحرم عليهم تصدير بعض السلع النادرة الغالية[٤].

---

(١) سلسلة التواريخ ص٣٤، جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ص٢١٦.

(٢) سلسة التواريخ ص٣٦، ويختص ملك الصين من هذه السلع بالملح، وحشيش يشربونه بالماء الحار ويباع بثمن عال، ويقال له الساخ وفيه مرارة، فيغلى الماء ويذر عليه فهو ينفعهم من كل شيء (ويبدو من طريقة عمله أنه الشاي) نفس المصدر ص٤١.

(٣) جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ص٢١٧.

(4) Chau-Ju-Kua : Chu – Fan – P.9.

وكانت السفن الإسلامية[١] تغادر كانتون شمالاً إلى ميناء خـــانجو على مسيرة ثمانية أيام، ومن خانجو إلى قانصو[٢] مسيرة عشرين يومًا، حيث بلاد الشيلا، وفيها الذهب الكثير، ومـــن دخلـــها مـــن المســـلمين استوطنها لطيبها[٣].

وكانت الرحلة إلى بلاد الصين تستغرق أربعة أشهر عدا فـــترات التوقف في الموانى[٤]. وكانت تبدأ عادة فيما بيـــن شـــهري نوفمـــبر وديسمبر[٥]. أما في رحلة العودة فقد كانت تستغرق وقتًا أطول. حتـــى تصل رحلة الذهاب والعودة إلى مدة عام ونصف العام[٦].

ومما يجدر ذكره أن المراكب التي كانـــت تبحر إلى الصيـــن تتمـــيز بكبر حجمها، فتحمل بضع مئات من الناس، ويخزن فيها مـــن الحبـــوب مـــا يكفي مئونة سنة، وكان أكثر ملاحي هـــذه المراكـــب مـــن ســـيراف وعمان[٧].

---

(١) لا تذكر المصادر الصينية والعربية جنسيات السفن ولكنها كانت تطلق عليها جميعًـــا السفن الإسلامية.

(٢) قانصوا وقانطوا وهاينجتتشو Hangchiw آخر بلاد الصين.

انظر دائرة المعارف الإسلامية : مادة الصين.

(٣) الشيلا : هي كوريا وليست اليابان كما زعم رينو، وإن كان سليمان التاجر وأبوزيـــد السيرافي كتبها بالسين، ولكنها في المروج جــــ٣، ص٦ الشـــيلا : جـــورج فضلـــو حوراني: العرب والملاحة ص٢١٥.

(٤) جورج فضلو حوراني : نفس المصدر : ص٢١٩.

(٥) نفس المصدر : ص٢٢٠.

(٦) نفس المصدر : ٢٢٠-٢٢١.

(٧) ولا يحتمل أن السفن الصينية كانت تزور الموانى العربيـــة فـــي ذلـــك الوقـــت، لأن المراكب الصينية كانت أكبر من مراكب المشرق، ولهذا لم تكن تستطيع اجتياز ما يجتـــازه غيرها من مضايق خليج فارس، لذا فلم تكن تتعدى نهاية المحيط الهندي عند عدن.

(ب) الطريق إلى الهند : وكان أمام السفن طريقان إلى الهند. فترسو في صحار ومسقط[١]. للتزود بالماء، ثم تمخر المحيط الهندي مباشرة إلى كولم ملى (كويلون quilon) في جنوب مالابار[٢]. وهذا هو الطريق الطويل إلى الصين حيث كانت السفن تستطيع الرحلة على طول السواحل مارة بجزيرة قيس[٣] وهرمز القديمة وتيز مكران والديبل[٤] والمنصورة وغيرها من موانى السند[٥].

وكانت بعض سفن الهند والصين بعد وصولها إلى المحيط الهندي عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر والخليج الفارسي، تمر بموانئ عديدة على ساحل جزيرة العرب الجنوبي وأشهرها ظفار وعدن، ثم تصعد في البحر الأحمر إلى جده أو ثغر عيذاب على الشاطئ المصري، وبهذا الطريق كان ينقل جانب من بضائع الشرق إلى بلام مصر والشام[٦].

---

(١) وهما ميناءان على ساحل عمان.

(٢) جورج فضلو حوراني: العرب والملاحة ص٢٠٨، ص٢١١، وكان لساحل مالابار أهمية اقتصادية لدى المسلمين،فقد كان مصدر خشب الساج الذي تصنع منه البيوت والسفن.

(٣) قيس : يسميها ابن خرداذبة ص٦٢ " كيس " بالسين، وفي المعجم : كيش بالشين. جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة ص٢٠٨.

(٤) الديبل : تقع عند مصب نهر السند، وكان العرب يتبادلون فيها البضائع مع التجار الهنود الذين يجلبون سلعهم من داخل الهند أو من المدن المجاورة.
جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٤٨.

(٥) جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ص٢٠٩.

(٦) قسطنطين زريق : التجارة الإسلامية وآثرها في الحضارة ص٥٤٤ المقتطف ديسمبر ١٩٣٥م، وكانت سفن الهند تصل إلى عدن ومنها إلى سواكن ثم مصر والمغرب. ولكن أحيانًا كانت السفن تسير مباشرة من الهند إلى سواكن دون أن تمر بعدن، وربما كان ذلك نظامًا بحريًا متبعًا في ذلك الوقت، أو بسبب حالة البحر، وقد يكون أيضًا للتهرب من دفع الضرائب التي كانت تؤخذ على سفن الهند هناك.
Goitein : Studies in islamic History P. 355 (Leyden – 1966).
، ابن مخرمة : تاريخ ثغر عدن جـ٢، ص١٧ ليدن ١٩٣٦.

٢ – مراكز التجارة الخارجية

الإسكندرية :

تعتبر هذه المدينة من أهم مراكز التجارة الخارجية في مصر في العصر الفاطمي. فكانت مركزًا من مراكز الرحلة[١]. وكانت أعمر مواني البحر المتوسط، ومحطة تجار العالم[٢] فقد ذكر المقريزي أن "أسواقها وشوارعها كانت مقنطرة كلها لا يصيب أهلها شيء من المطر"[٣].

ازدهرت الإسكندرية في العصر الفاطمي، فكانت المراكب تبحر منها قاصدة بعض بلاد البحر المتوسط حتى أصبحت في ذلك العصر مركزا هاما للحركة التجارية[٤] وساعد موقعها في أن تصبح مركزا رئيسيا للتجارة بين الشرق والغرب، فكانت تنقل منها التجارة الآتية من الشرق إلى أوربا[٥]. كما ترد إليها السفن الأوربية محملة بالسلع اللازمة للصناعة المصرية. ولم تكتف مصر بأن تكون طريقا لمرور الغلات

---

(١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ص٣، دار المعارف ١٩٦٩م.

(٢) وخاصة التجار اليهود الراذانية القادمين من مرسيليا وبريتاني.
Jeorg Monks : The church of Alexandria P.349. (Speculum, XXV III, April 1953.).

(٣) المقريزي : خط جـ١، ص١٥٠ بيروت ١٩٥٩.

(٤) المقريزي : خطط جـ١، ص٤٢٨، طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ، سرور الدولة الفاطمية في مصر ص١٥٠، شارل ديل : البندقية جمهورية ارستقراطية ص٥٨ تعريب : أحمد عزت عبدالكريم وترفيق أسكندر.

(5) Heyd : Histoire du commerce du Levant au Moyem Age, Tome, L, P. 41 (Leipzig 1923).

الأسيوية، بل كان لديها ما تصدره إلى البلاد الأوربية كالنطرون والشب والمنسوجات على اختلاف أنواعها[١].

وكان من نتائج العلاقات الطيبة بين الدولة الفاطمية في مصر ودول أوربا أن راجت التجارة بالإسكندرية وازدهرت[٢]، وخاصة في القرن السادس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بسبب ورود التجار الأجانب[٣]. فقد شاهد بنيامين التطيلي الذي زار الإسكندرية سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م في ميناءها سفنًا تنتمي إلى تسع وعشرين دولة. فهي في نظره " سوق لجميع الشعوب "[٤] ويطلق عليها شارل ديل اسم "سوق العالمين "[٥].

وكان الشارع الرئيسي للمدينة ممتدًا من الشرق إلى الغرب، وإلى جوار الميناء يقع أكثر أجزاء المدينة سكانًا، والحي التجاري بها[٦]، وفي شمال المدينة يوجد الفنار التي تفيد منها السفن التجارية[٧].

تعرضت الإسكندرية لبعض النوائب في العصر الفاطمي، فظلت

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص١٥٨.

(2) Wiet (Gaston) : L'Egypt Arabe. T, IV, P. 306.

(3) Ashtor (El iyahu) : Materiaux pour L'histotre des prix dans I'Egypte. P.118 (Journal of the Economic and social History of the arient, V, VI part L, 1963)

(4) Be azley : Dawn of modern Geography, Vo, II, PP. 261-263 (1897)

(٥) شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية ص٣٢.

(6) Depping : Historice do commerce entre Le Levant et I"Europe. Tom, L, PP. 62-63.

(٧) عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر ص٣٥، رسالة دكتوراه / جامعة القاهرة.

في أيدي جند السودان أثناء ثورتهم سنة ٤٦٠هـ، ١٠٥٩م، كما تأثرت بالثورات التي نشبت في عـــامي ٤٧٩، ٤٨٧هــــ/ ١٠٨٦، ١٠٩٤م. وحاصرتها جنود شاور وزير الخليفة العاضد وجنود الملك أموري ملك بيت المقدس وأسطول بيزا ســـنة ٥٦٢هـــ/ ١١٦٧م[١] إلا أن هـــذه الأحداث جميعها لم تؤثر تأثيرًا جديًا في مركز ورخاء المدينة.

الفرما :

كانت الفرما[٢]. والفرماء مدينة على شط بحيرة تنس، بينها وبين مدينة تنيس أقل من ثلاثة فراسخ[٣] (تسفة أميال) وهى مـــن موانـــي الساحل الشمالي لمصر.

وكان لها شأن كبير في العصر الفاطمي، فكانت محطة لتجـــارة أوربا، ومنها كانوا يتوجهون إلي القلزم لركوب البحـــر وقـــال عنـــها المقدسى "كانت عامرة آهلة، ولها أسواق، وهى مجمع الطرق"[٤].

كذلك كانت تجارة الشرق التي تصل إلي القلزم تحمل منها إلـــي الفرما، حيث تنقلها سفن البحر المتوسط إلـــي ســـواحل الشـــام وآســـيا الصغرى[٥]. ومما يجدر ذكره أن الفرما تأثرت من جراء إهمال الطريق بين البحر المتوسط والبحر الأحمر عبر برزخ السويس، وقد اســـتمرت

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : مادة إسكندرية.

(٢) كان اسمها القديم " بر آمن " أي مدينة الإله آمون ومنه اسمها العـــبري " برمـــون " والقبطي " برما " ومنه اسمها العربي الفرما، وتعرف اليوم بتل الفرما، علـــى بعـــد ثلاثة كيلو مترات من ساحل البحر المتوسط. محمد رمزي : القـــاموس الجغرافـــي القسم الأول من الجزء الثاني ص٩١-٩٢.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٦٠، المقريزي : خطط جـــ١، ص٣٤١.

(٤) أحسن التقاسيم : ص١٩٥.

(٥) جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص٨.

هذه المدينة قائمة حتى منتصف القرن الثامن الهجري[١].

القلزم :

كان لهذا الميناء أهمية كبرى بالنسبة لحركة التجارة بين أوربا والشرق، فيذكر ابن خرداذبه[٢] أن "التجار اليهود كانوا يأتون من بلاد الفرنج قاصدين مصر، فينزلون الفرما ثم يعبرون برزخ السويس[٣] إلي القلزم[٤] ومنها يركبون البحر إلي الجار (ميناء المدينة وقتئذ) ثم إلي جدة ومنها إلي عدن في طريقهم إلي سواحل الهند" وكانت ترسو به السفن الكبيرة، ومعظم سكانه من أثرياء التجار[٥]، وكان يرسل منه مالا يقل عن ثلاثة آلاف حمل جمل من القمح والدقيق كل أسبوع إلي بلاد الحجاز، فكانت كما يقول المقدسى[٦] " خزانة مصر وفرضة الحجاز ومعونة الحاج" كما ذكرها ابن حوقل فقال عنها أنها " تامة العمارة،

---

(1) Maspero et wiet : Matériaux pour sirvir à Ia Geographie de I'Egypte. P. 134 (Le Caire 1919).

(٢) المسالك والمالك ص١٥٤-١٥٥.

(٣) السويس، بصيغة التصغير كما وردت في الخطط التوفيقية جـ١٢، ص٦٩ " مدينة السويس الجانب الغربي لخليج السويس، وثغور من تغور مصر وفرضة لتجارات جزيرة العرب والهند والسودان واقعة في شرق القاخرة.

(٤) القلزم : ذكر معناها أبو صالح الأرمني في الكنائس والأديرة ص٨٨ " الحبل الذي يستخدم في ربط الملابس " وعرفها المقريزي " الدواهي المضايقة " بينما أورد البعض أن البحر أخذ اسمه من مدينة القلزم التي تقع على الطرف الشمالي لهذا البحر : المقريزي خط جـ١، ص٢١٢.

Maspero et wiet : Matériaux pour wirvir à Iageographie de I'Egypte. P. 134, P. 149.

(٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص١٥٤-١٥٥، اليعقوبي : البلدان ص١٩٩، طبعة في القاهرة ١٩٣٧م.

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ص١٩٦.

بها فرضة مصر والشام، ومنها تحمل حمولات الشـــام ومصـــر إلـــي الحجاز "[١].

وكان بالقلزم دار للصناعة[٢] وليس أدل على عظم التجارة وكثرة المكوس بها، ما سامح به الخليفة الحاكم بأمر الله أهل مدينة القلزم مـــا كان يؤخذ من المكوس علي المراكب سنة ٣٨٧هـ /٩٧٦م[٣]. تشجيعا منه لحركة التجارة بالمدينة.

هذا وقد استمرت أهمية القلزم قائمة حتي أواخر القـــرن الرابـــع الهجري (العاشر الميلادي) [٤].

الفسطاط :

كانت أهم مراكز مصر التجارية منذ إنشائها[٥]. فقد كانت تمر بها التجارة المصدر إلي الإسكندرية، فتبحر منها المراكب حاملـــة الشـــب والغلال والكتان البهار والسكر وغير ذلك[٦] وهي محطة كبري لتجـــارة المرور بين الشرق والغرب[٧]. وفضلا عن اتصال الفســـطاط بكافـــة البلاد المصرية عن طريق النيل، فإنه كان يخرج منها طرق برية تسير

---

(١) ابن حقل : صورة الأرض ص٩٧-٩٨ ليدن ١٩٦٧م.

(٢) الادريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر (مأخوذ مـــن نزهـــة المشـــتاق) ص١٢٤-١٢٥، ليدن ١٨٦٦.

(٣) المقريزي : خطط جـــ١، ص٢١٣.

(٤) في نص أورده ابن زولاق أشار فيه أن القلزم ميناء هام في أيامه.
Maspero et wiet : Materiaux pour servir à Ia Geggraphie de I'Egypte. P. 149

(5) Lane poole : A History of Egypt. P. 17.

(٦) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٥٦-٢٥٧.

(7) Wiet (Gaston) : I 'Egypte Arabe. T, IV, P. 215.

فيها القوافل متجه نحو الحجاز وبلاد الشام والمغرب[١].

وكانت السفن ترد إلي الفسطاط في أعداد كبيرة تحمل الطعام والمتاع، وتبلغ حمولة السفينة الواحدة ما يحمله خمسمائة بعير[٢]. وكان ما يرد إليها من متاجر البحر المتوسط والبجر الأحمر فوق ما يوصف ومنها تصدر إلي سائر البلاد[٣].

وكان بساحل الفسطاط أماكن لرسو كل نوع من أنواع السفن، فمثلا كانت المراكب المشحونة بالحبوب ترسو بمسوردة الحلفا من الساحل، وفي ناحية أخرى منه كانت ترسو المراكب المشحونة بالأخشاب[٤].

ويتبين لنا مدى ما بلغته الفسطاط من مكانة بين الحواضر الإسلامية من قول المقدسى[٥] أنها " خزانة المغرب، ومطرح المشرق، عامر الموسم، ليس في مصر الامصار أهل منه، كثير الأجلة والمشايخ، عجيب المتاجر والخصائص، حسن الأسواق والمعايش. إلي حماماته المنتهي، ولقياسره لباقة وبهاء، ليس في الإسلام أكبر مجالس من جامعة، ولا أحسن تجملا من أهله ، ولا أكثر مراكب من ساحلة".

هذا بالإضافة إلي ما يرويه عما رآه على ساحلة من الأعداد الهائلة من المراكب السائرة والراسية. مما يدل على عظمة ونشاط

---

(١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٤٤.

(٢) الكندي : فضائل مصر ص٤٨ تحقيق ابراهيم العدوي.

(٣) علي بهجت ، حفريات الفسطاط ص٣٣ القاهرة ١٩٢٨م.

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة. وكان هذا الساحل يسمى " بساحل السنط " ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٤٧.

(٥) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٩٧-١٩٨.

الملاحة فى ميناء الفسطاط بسبب رواج التجارة بها . مما يـدل علـى عظمة ونشاط الملاحة في ميناء الفسطاط بسبب رواج التجارة بها.

ومما يجدر ذكره أن إنشاء القاهرة لم يؤثرعلى مركز الفسـطاط التجاري، لأن المدينة الجديدة (القاهرة) ظلت زمنا أشبه بمعسكر يقيـم به الجنود والموظفون، وهؤلاء جميعا كانوا يعتمـدون علـى أسـواق الفسطاط في الحصول على المواد الغذائيـة، والمصنوعـات والسـلع الواردة من الخارج. حيث حفلت أسواقها العامرة بمختلف أنواع السـلع التي ترد إليها من بلاد الشام والعراق والمغرب وبلاد الروم[١].

دمياط وتنيس :

أما دمياط وتنيس فكانت لهما صلات ببلاد الشـام والقسـطنطنية وجزيرة قبرس.

وقد ساعد موقع دمياط على شاطئ البحر المتوسط فـي العصـر الفاطمي على تسهيل إبحار السفن التجارية من داخل البلاد عبر نـهر النيل إلي مواني هذا البحر، وكانت ترد إليها السلع من تجـار الـروم، حيث تفرض عليها المكوس طبقا لما كان يتبع في الاسكندرية مع فـارق بسيط في بعض الضرائب[٢].

وأخذت دمياط مكان الصدارة بين مواني مصـر الشـرقية فـي العصر الفاطمي. بسبب ضيق الفرع البيلوزى وطمر الرمال له، ممـا جعله يفقد أهميته، بينما اخذ فرع دمياط يتسع وينطلق إلي البحر وتزيـد أهميته ويكثر استعماله[٣].

---

(١) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٤٥.

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٢٥، ص٣٢٧.

(٣) جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص١٣.

ومن الأسباب التي حملت الفاطميين على العناية بثغر دمياط أنـــة كان مركزا هاما لصناعة النسيج[١] وقد أصاب أهلها من ذلـــك ثـروة عظيمة، وليس أدل على مبلغ ثرائهم أن بدر الجمـــالي اقـترض مــن تجارها بعض الأموال عندما نــزل بــها، بعــد أن اســتدعاه الخليفــة المستنصر بالله لتولي الوزارة سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م[٢].

أما تنيس فبينها وبين دمياط مسيرة نصف نهار[٣]. ولم تكن تنيـس تصلح إلا للسفن الصغيرة وكان لها اتصال سهل جدا بشرق الدلتا، وهي على نهاية أقصر طريق بحري من الفسطاط إلي الشام[٤]. ويشيد الكندي بما وصلت إلية تنيس في مجال صناعة النسيج والتجارة الخارجية بقوله " وليس في الدنيا منزل إلا وفيه ثوب من تنيس"[٥] وقد انفردت بصناعة الشرب[٦]، والملابس الملونة[٧].

رشيد :

كانت تنقل السلع منها أحيانا إلي الفسطاط[٨]، ويحمل إليــها مــن متاع البحر سائر أسباب التجارة، وكان دخلها كبيرا مما يفــرض مــن ضرائب علي ما يحمل إليها من الإسكندرية[٩].

---

(١) نفس المصدر : ص١٣-١٤.
(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ص٢٣.
(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٤، ص٨٦.
(٤) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٩٦-٢٩٧.
(٥) الكندي : فضائل مصر ص٦٧.
(٦) ياقوت الحمودي : معجم البلدان جـ٤، ص٨٦.
(٧) ياقوت الحمودي : معجم البلدان جـ٤، ص٨٦.
وقد تعرضت كلا من دمياط وتنيس لعدوان أهل صقلية سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م حيث أعملوا فيها النهب والسلب. المقريزي : خطط جـ١، ص٢١٤.
(٨) وذلك إذا لم يشأ التاجران يفرغ بضاعته في الإسكندرية.
(٩) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٣٩، ليدن ١٩٦٧.

أسوان :

شهدت أسوان نشاطا ملحوظا في مجال التجارة الخارجيـــة فـــي العصر الفاطمي. وقد تكاتفت ظروف عديدة جعلتها تتبوأ مكانة مرموقة. منها موقعها الملائم حيث تتاخم حدود النوبة من ناحية الجنوب، وتنتــهي إليها مداخل طرق القوافل الآتية من السودان والصحراء الشرقية. فضلا عن أنها تتصل بالعاصمة بالطريق البري الممهد، والطريـــق النـــهري الخالي من العقبات التي تعترض مجراه، وكانت أسوان السوق الطبيعية لتجارة النوبة وأواسط أفريقيا[١] .

وكان التبادل التجاري بين مصر والنوبة يتم في قرية " بلاق" التي كانت بمثابة السوق الذي تأتي إلية سفن النوبة وسفن المسلمين من مصر وأسوان[٢]. ولم يكتف تجار النوبة بجلب سلعهم إلى " بلاق "، بل كــانوا يأتـــون بقوافلهم إلى أسوان، بوصفها أكبر سوق تجاري في جنـــوب مصــــر، فضــــلاً عن أنها السوق الوحيد الذي لا يتجاوزوه شــمالاً. حيث يقول المسعــــودي " والنوبة متصلة بتجارتها وقوافلــها بمدينــة أسوان "[٣].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية : مادة أسوان.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ٢، ص٢٢، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ١٩٦٤م، وكانت حدود مصر الجنوبية عند أسوان تنتهي في بلاق. وأخــر حدود النوبة التي تواجه مصر تنتهي عند قرية القصر والمسافة بينهما ميلاً واحــدًا. المقريزي:خطط جـ١، ص١٨٩، ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٢، ص٢٦١.

(٣) المسعودي : مروج الذهب جـ٢، ص٢٦.

عيذاب :

ذكر كل من ابن جبير[١] وياقوت الحمــوي[٢] والمقريــزي[٣] أن عيذاب كان فرضة (ميناء) على بحر القلزم. وترجع نشأة ميناء عيــذاب في الغالب أواخر القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) [٤]، وكــانت ترد إليها البضائع من الحبشة واليمن وزنجبار بطريق البحر، ثم تحمــل على الإبل في الصحراء مسيرة عشرين يوما إلى أسوان أو قوص، ومن هناك تنقل إلى القاهرة في النيل[٥].

بلغت عيذاب في نهاية القرن الخامس الهجري درجة عظيمة مــن الازدهـــار، وأصبحت إحدى الموانئ الهامة التي ترسو بها مراكـــب كثيرة من البـــلاد[٦]. وزادت أهميتـــه في العصر الفاطمي ابتـــداء من سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م-١٠٦٨م بسبــب تحــول قوافــل الحجــاج المصريين والمغاربة عن طريـــق شبه جزيرة سيناء إلى طريق النيل إلى عيذاب عبر الصحراء الشرقية حتـــى ســنة ٦٦٦هــــ/ ١٢٦٧-١٢٦٨م[٧].

---

(١) رحلة ابن جبير ص٤٢، ص٤٦.

(٢) معجم البلدان : جـ٦، ص٢٤٦.

(٣) الخطط جـ١، ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤) أحمد دراج : عيذاب ص٥٥ مجلة نهضة أفريقية العدد التاسع أغسطس ١٩٥٨م.

(٥) أدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري جـ٢، ص٣١٩.

(٦) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٥٠.

(٧) أحمد دراج : عيذاب ص٥٧، ويقول صلاح الدين الشامي " أن ازدهار عيذاب كان سببًا في خراب ميناء باضع جنوب ميناء عيذاب على البحر الأحمر، والذي يعتقد أن مكانه في موضع ميناء مصوع حاليًا " : الميناء العربي الأول ص٢٢، مجلة نهضة أفريقية العدد التاسع أغسطس ١٩٥٨م.

وكان لاستيلاء الصليبيين على آيلة في بداية القرن السادس الهجري (٥١٠هـ/١١١٦م) بعد نجاحهم في إنشاء مملكة بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م بعد الحملة الصليبية الأولى، أثره في ازدهار عيذاب، بالإضافة إلى اشتداد النزاع بين الفاطميين والسلاجقة، واقترن ذلك بانتعاش حالتها الاقتصادية، بسبب ما يتحصل من مكوس على السلع التي تمر بها، واشتغال عدد كبير من الأهالي في شحن السلع وتفريغها[1].

وكان للفاطميين أسطول بعيذاب يتلقى به الكارم فيما بين عيذاب، وسواكن وما حولها، خوفا على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم يعترضون المراكب فيحميهم الأسطول الفاطمي[2].

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي جـ٤، ص٤٠٧.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى جـ٣، ص٥٢٤.

الكارمية جماعة من التجار بدأ نشاطهم في مواني المحيط الهندي، حيث تتجمع في موانيه بضائع الشرق الأقصى، ثم أخذت تنتقل بنشاطها رويدا رويدا نحو الشمال حتى تم انتقالها إلى شواطئ البحر المتوسط، وكان طبيعيا أن يتخذ هؤلاء التجار مراكزهم على مقربة من البحر، ولهذا جاء هؤلاء إلى مصر واتخذوا منها موطنا لهم في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري).

الشاطر بصيلي عبدالجليل : الكارميه ص٢١٧، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ١٣ سنة ١٩٦٧م.

٣ – العلاقات التجارية

(أ) العلاقات التجارية مع البلاد الأوربية :

العلاقات بين مصر والمدن الإيطالية.

قامت علاقات تجارية بين مصر والمدن الإيطالية[١]. وكانت مدينة أمالفي أول المدن الإيطالية التي أنشأت علاقات تجارية مع مصر والشام في العصر الفاطمي. وقد تمتعت برخاء كبير بسبب علاقاتها التجارية مع غيرها من مدن البحر المتوسط ومما يجدر ذكره أن أحد أثرياء أمالفي ويدعى ماريوس Maurus، استعان بمهرة الصناع والفنانين من الإسكندرية لتزيين قصوره بالفسيفساء[٢]. وقد عقدت جمهورية أمالفي علاقات تجارية في وقت مبكر، يرجع إلى القرن العاشر الميلادي[٣] (الرابع الهجري). وكان اهتمام تجارها موجهًا في الغالب إلى نقل المنسوجات الحريرية لتغذية سوق روما من إنتاج المناسج المصرية[٤].

ومما يذكر أنه لما شرع في بناء دير بيت المقدس، وكانت إذ ذاك خاضعة للسيادة الفاطمية، اقتضت الضرورة إجراء محادثات مع الحكومة الفاطمية بمصر في عهد الخليفة الظاهر سنة

---

(١) فقط كان الفاطميون وهم في أفريقية على صلات تجارية طيبة مع مدن إيطاليا.

B. Lewis : The Fatimid and the route to india P.52 (Revue de La Gacltee des sciences Ecomiques L'uneverstte d'Istanbul (1949-1950).

(٢) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٥٥.

محمد جمال الدين سرور : سياسية الفاطميين الخارجية ص٢٤٩.

(3) Heyd : Histoire du commerce Tom, I. P. 99.

(4) Newbigin : Mediterrane an Lande an introduction study in human and Historical Geography P. 185 (London 1928, 1943).

٤١١هـ/١٠٢٠م، على منـــح Maurus قطعـــة مـــن الأرض بـــالحي المسيحي، شيد عليها دير Mari de Latina لإيواء الحجاج والتجار مـــن أهلي أمالفي(١).

وفضلاً عن ذلك فقد كان تجار أمالفي يملكون المنشآت التجاريـــة في الشام(٢). كما كانوا يملكون في مصر وأغلـــب الظـــن فـــي مدينـــة الإسكندرية فنادق خاصة بهم(٣).

وعلى الرغم مما أفادته أمالفي من تجارتها وتعاملها مـــع الدولـــة الفاطمية إلا أن السياسة التي سار عليها حاكم أمالفي " جـــيزولف ابـــن جوايمار " والتي تقضي بالحد من التعامل مع الفاطميين، كان لها آثـــار سيئة على الحركة التجارية لإمالفي مع الدولـــة الفاطميـــة منـــذ ســـنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م(٤). وهي نفس السنة التي فقدت فيها أمالفي اســـتقلالها على يد روبرت جويسكارد(٥).

أما جمهورية بيزا فلم تكـــن تربطها بمصـــر قبـــل الحـــروب الصليبية علاقات تجارية، بل بـــدأت هذه العلاقـــات بينـــهما فـــي النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) (٦).

---

(1) Heyd : Histoire du commerce. Tome, I, P.P. 102-104.

محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٤٩.

(2) Heyd : opt cit, Tok, I,P. 147.

(٣) ذكر بيزلي أن المصانع التي كانت للإمالفيين في صقلية تشبه فنادقهم في دلتا النيـــل، وإن كان هيد ينفي ملكية الفنادق لتجار الأجانب في مصر.

Be azley (C.R.) The dawn of modern Geography, Vol, II, P. 400.
Heyd : Hist du commerce. Tom, II, P> 431.

(4) Heyd : Hist du commerce. Tome, I, P.P. 107-108.

(٥) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص٢١٥.

(6) Heyd : Hist du commerce. Tome, I. P. 392.

ثم حدث في سنة ١١٥٣م/٥٤٨هـ ما كاد أن يقضي على هذه العلاقات الناشئة ، إذ اعتدى جماعة من التجار البيزيين على التجار المصريين الذين كانوا معهم في إحدى السفن، فقتلوا رجالهم وسبوا نسائهم، ونهبوا بضائعهم وأموالهم، ولهذا أمر الخليفة الظافر الفاطمي بالقبض على التجار البيزيين الموجودين في مصر، والاستيلاء على ما معهم من سلع وأموال(١) .

وكانت بيزا تحرص على توثيق صلة المودة مع الخلفاء الفاطميين، فأرسلت في العام التالي ١١٥٤م/٥٤٩هـ سفيرها " رانيري بوتاشيو " Ranieri Bottaccio لإصلاح ذات البين، فقدم الترضيات اللازمة، وأقسم أمام الخليفة على أن حكومته سوف تعاقب المعتدين، وأنها سوف لا يربطها مع الصليبيين أو غيرها من الأوربيين أي اتفاق من شأنه الضرر سواء عن طريق البر أو البحر بأراضي الخليفة، أو إلحاق الأذى بأحد رعاياه في البحر، كما وعد السفير بعدم اشتراك البيزيين منفردين أو متحالفين في حرب ما ضد الجيوش الفاطمية، وبأن تجارهم سوف لا يجلبون معهم أحدًا من الصليبيين الموجودين في الشام، كما وافق السفير على أن يكون للخليفة الحق في القبض على جميع البيزيين الموجودين في بلاده ومصادرة أموالهم وبضائعهم، إذ قام أحد رعايا بيزا باعتداء جديد على الأراضي

---

(1) Heyd : opt cit : Tome , I. P. 393.

المصرية، وتم تسجيل هذه الوعـــود فـــي معـــاهدة، حصـــل التجـــار البيزيون في مقابلها على امتيـــازات تجاريـــة[١].

وبلغ من اهتمام حكومة بيزا بتوطيد علاقتها برجـــال الحكومـــة الفاطمية أنه عندما أسندت الوزارة في مصر إلى طلائع بـــن رزيـــك، سارعت إلى إرسال وفد لتقديم تهنئتها له[٢] واســـتقبل الوزيـــر طلائـــع سفراء بيزا أحسن استقبال، وبلغت حفاوته بهم أن أطلق سراح تسعة من الأسرى البيزيين، وقدم لهم هدايا جليلة، وأظهر لهم رغبته في الإبقـــاء على العلاقات الطيبة مع جمهورية بيزا، فجاء فـــي الخطـــابين اللذيـــن أرسلهما إلى حكومة بيزا في ٢٠ مارس ١١٥٥م[٣] وفـــي ٢ فـــبراير ١١٥٦م[٤]، أن مصر لا تزال تعترف بالامتيازات التي منحتها للبـــيزيين بمقتضى المعاهدة السابقة، وأن أعمال الصليبيين سوف لا تؤثـــر فـــي العلاقات بين البلدين، ما دامت بيزا تحافظ على الوعود التـــي قدمتـــها

---

(1) Amari (Michael) : I Diploma, pp. 241-249.

(وتشمل هذه الصفحات خطابين من مصر إلى حكومة بيزا، أحدهمـــا موجـــه باســـم الوزير أبو الفضل عباس بتاريخ فبراير ١١٥٤م، ويشتملان على نصوص المعـــاهدة بصورة إجمالية ويتضح من أحدهما أن الحكومة الفاطمية صفحت عن البـــيزيين وأن المودة اتصلت بين الطرفين، وقد تعهد الفاطميون في هـــذا الخطـــاب بتقديـــم جميـــع الخدمات والتسهيلات اللازمة للتجار البيزيين وأنهم سوف يعاملونهم أحســـن معاملـــة، وسف لا يضار هؤلاء التجار في أشخاصهم أو أموالـــهم أو بضائعـــهم، فـــهم دائمـــا يتمتعون أكثر من غيرهم بالحب والتقدير، حتى أنهم أعفو منذ وقت طويل مـــن عـــدد وافر من الضرائب وأصبحوا يدفعون ضرائب أقل مما يدفعه غـــيرهم مـــن التجـــار المسلمين).

(٢) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٥٦.

(3) Amari : I Diplome. Pp. 250-251.

(4) Ibid : pp. 252-254.

سفارتها الأولى.

على أن حكومة بيزا لم تكن مخلصة في تقربها للفاطميين، فقــد تجلى إيثارها لمصالحها الخاصة(١) حين اشتركت سنة ١١٦٧م/٥٦٢هـ في الحملة التي تزعمها أموري الأول ملك بيت المقدس للهجوم علــى الإسكندرية، وكافأها أموري بمنحها امتيازات ضخمة في مدينة عكـا(٢)، ولكن لما اتضح أن الفرنجة لن يتيسر لهم البقاء في مصر، وأنهم فــي سبيل الاتفاق مع الحكومة الفاطمية للجلاء عن البلاد، سارعت للوساطة بينهم، وأفادها هذا العمل، إذ منحها الخليفة العاضد الفاطمي امتيــازات تجارية(٣)، لكنها ما لبثت أن عادت لإيثار مصالحها الخاصة بالاشــتراك مع الصليبيين سنة ١١٧٠م/٥٦٦هـ في الهجوم على ثغر دمياط رغــم الامتيازات التي منحتها لها الحكومة الفاطمية(٤).

أما مدينة جنوه فكانت تحرص أيضا على التودد إلى الفاطميين(٥). فقد أخذت تعمل منذ قيام الحروب الصليبية على التوسع فــي نشــاطها التجاري مع مصر دون خوف من البابا أو تهديدات الصليبيين(٦). وكــان مما أعانها على بلوغ هذه الغاية أنها لم تكن مرتبطة بالدولة البيزنطيــة،

---

(١) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٥٧.

(2) Heyd : Hist du commerce, Tom, I, pp. 395. 396, Lane poole : A History of Egypt. P. 182.

(3) Heyd : opt cit P, 396.

(٤) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٥٧.

(٥) نفس المصدر، ونفس الصفحة، (ظل العداء يسود العلاقات بيــن جنــوة والفــاطميين وبحريتهم في البحر المتوسط فعمدت إلى التودد إليهم بعد انتقالهم إلى مصر.

Kruger : Genoese trade with N. W. Africa in the 12th century. P, 377 (speculum vol, 8, 1933).

(6) Heyd : Hist du commerce, Tome, I, P. 311.

ذلك الارتباط الذي يضطرها إلى مجاراة السياسة البيزنطية وبذلك أصبح لها مطلق الحرية في اتباع سياسة تجارية مع مصر تتفق ومصالحها الذاتية دون إقامة وزن لأي اعتبارات أخرى(١).

وقد نمت العلاقات بين جنوه ومصر في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري)، فعقد مندوب عنها معاهدة تجارية مع الحكومة الفاطمية عام ١٠٦٣م/ ٤٥٥هـ كما وافق بعض الخلفاء من أواخر العصر الفاطمي على حماية رعايا جنوه أثناء إقامتهم بأراضي الدولة الفاطمية(٢).

ومن أهم السلع التي قام تجار جنوه بنقلها على سفنهم إلى مصر والشام في العصر الفاطمي الأقمشة القطنية ذات الوبر، من إنتاج بافيا Milan, Pavia، وكان التجار الجنويون يستوردون من مصر المنسوجات المصنوعة في تنيس، فضلاً عن بضائع الشرق(٣)، وكذلك الشب والنطرون، التي احتكرت الحكومة الفاطمية تجارته، واحتفظ لنفسها بحق بيعه للروم(٤). وكان لأهل جنوه جالية بالإسكندرية(٥).

أما عن البندقية فيبدو أن العلاقات التجارية بينها وبين أقطار

---

(١) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢١٧.

(2) Heyd : opt cit. P. 391.

(3) Ibid.

Kruger : The wars of Exchangr in Genoses African Traffic of 12th century pp. 59-60 (Speculum, Vol, 12. 1937)

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٣.

المقريزي : خطط جـ١، ص١٠٩.

(٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦١٢، تاريخ الإسلام السيسي جـ٤، ص٤٠٨.

الشرق الأقصى بدأت منذ أوائل القرن التاسع الميلادي[١] (الثالث الهجري). وكان لموقع البندقية الجغرافي أثر بالغ في نشاطها التجاري وقيامها بدور الوسيط التجاري بين شعوب أوربا وبين تلك الأقطار بصفة عامة[٢]، وكان لها تجارة ضخمة مع مصر والشام[٣]. إذ كانت البندقية تدرك دور مصر بالنسبة لتجارة الهند، ومدى الربح الذي يعود عليها من تجارتها مع مصر[٤]. ولذا ترددت سفن البندقية التجارية على سوريا ومصر، لنقل المسافرين والبضائع منذ أن اتخذ الفاطميون القاهرة حاضرة لهم[٥]. وكانت سفن البندقية تنقل إلى الدولة الفاطمية في مصر الأخشاب والحديد والأسلحة إلى الموانئ المصرية[٦].

وكان تحالف البندقية مع بيزنطة وثيقًا، حتى أنه كان لهم نظام خاص يكفل إعفائهم من بعض القيود، ومعاهدات تجارية منذ عهد الإمبراطور باسيل الثاني، كفلت للبنادقة تخفيضًا هامًا في الضرائب الجمركية[٧]. ولذا فعندما شكا الأباطرة البيزنطيون من تصدير الخشب إلى مصر، اضطرت البندقية إلى إصدار مرسوم يحرم على

---

(1) Heyd : Hist du commerce, Tome, I,P. 311.

شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية ص٢١، تعريب : أحمد عزت عبدالكريم وتوفيق إسكندر.

(2) Heyd : opt cit. Ton I, P. 109.

(٣) شارل ديل : البندقية جهورية أرستقراطية ص٦٦.

(٤) نفس المصدر : ص٥٨.

(5) Geyd : opt cit. P. 110.

(٦) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٢٤.

جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٥٨.

(٧) شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية ص١٩، تعريب : أحمد عزت عبدالكريم، وتوفيق إسكندر.

مواطنيها نقل هذه المواد[١]، إلا أن البنادقة عادوا ثانيـــة إلـــى تصديـــر الخشب إلى مصر، الأمر الذي حمل الإمبراطور حنازمسكيس[٢] علـــى الشكوى[٣] والتهديد بالانتقام، فأصدرت حكومة البندقية أمراً يمنع تصدير الأخشاب اللازمة لبناء السفن. وكان لهذا القرار أثره البالغ في مصر[٤]، إذ ترتب عليه عدم توافر الأخشاب الصالحة لصناعة السفن للأســـطول الفاطمي[٥].

ولم يكن في مقدور حكومة البندقية الخروج على قرارات الحظـــو التجارية، لذا آثرت البندقية جانب بيزنطة، بتنفيذ الحظر على التجـــارة في السلع المحظورة (الخشب والحديد والأسلحة) [٦].

وظل الحال على ذلك حتى أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حيث أصدر دوق البندقية " بيترو أورســـيولو " ســـنة ١٠٠٠م (٣٩١هـ) قرارًا بإيفاد سفراء من البندقية إلى الدول الإسلامية

---

(1) Depping : Historire du commerce entere le levant et L'"Hurope, Tom, I, P.195.

(2) Gambridge medieval History : Vol, Iv. P. 113.

(حكم من سنة ٩٦٩م إلى سنة ٩٧٦م / ٣٥٨ - ٣٦٦هـ).

(3) Heyd : Hist du commerce, T, I, P. 113.

(٤) يحيى بن سعيد : التاريخ المجموع علـــى التحقيـــق والتصديـــق ص١٧٨، بـــيروت ١٩٠٩م.

(5) Heyd : opt cit : P.P. 113-114.

ومن الجدير بالذكر أن الأسطول الفاطمي الذي كان معدًا لصد تقدم البيزنطيين في بلاد الشام اشتعلت فيه النيران في ميناء المقس بالقاهرة، وأحرقت منه ستة عشر مركبًـــا. واضطر الوزير عيس ابن نسطورس أن يجمع الأخشاب لإعادة بناء الأســـطول بنـــاء على أوامر الخليفة العزيز بالله، حتى أنه اضطر إلى الاستيلاء علـــى خشـــب أســـقف بعض المنازل : المقريزي : خطط جـــ٢، ص١٩٥-١٩٦.

(٦) ارشيبا لدلويس : القوى البحرية والتجارية في حـــوض البحـــر المتوســـط ص٣١٥-٣١٦.

المطلة على البحر المتوسط، للحصول على تسهيلات تجارية تضمن للبنادقة امتيازات خاصة في سوريا ومصر وبلاد المغرب وصقلية[١]. ولم يمتنع البنادقة إذا ما أتيح لهم الكسب، عن إمداد الشرق الإسلامي بالأخشاب والأسلحة[٢].

ولا شك أن البندقية شأنها شأن المدن التجارية الإيطالية، كانت، تحرص على تحقيق مصالحها التجارية، دون النظر إلى أي اعتبار سياسي أو ديني، فكما تحايلت على قرارات الحظر البيزنطية حتى نمت علاقاتها التجارية مع الدولة الفاطمية، في عهد " أوتوين أورسيولو " (١٠٠٩-١٠٢٦م/٤٠٠-٤١٤هـ) [٣] استطاعت أن تحصل على كثير من المكاسب من وراء مساعدتها للصليبيين، فكانت سفنها تنقل حجاج الصليبيين إلى بيت المقدس، وبعد مساعدتها لجود فري بوايون[٤] في حصاره ليافا سنة ١١٠٠م/٤٩٤هـ. حصلت منه على وعد بأن يكون للبنادقة كنيسة وموضع يقيمون فيه سوقًا في جميع المدن التي يفتحها الصليبيون على الشاطئ أو في الداخل، وأن يكون لهم حق التمتع بالإعفاء التام من الضرائب في جميع أنحاء مملكة بيت المقدس، وظلت البندقية تطلب امتيازات جديدة في كل مناسبة تقدم فيها مساعدتها، فكان تجارها يمنحون في كل مدينة شارعًا وميدانًا وكنيسة وحمامًا ومخبزًا، وكان لهم في بيت المقدس حي بأكمله، كما أعفيت متاجرهم في المواني التي تمر بها من كل الضرائب[٥].

وإذا استثنينا صناعة السفن فلم تكن البندقية مدينة صناعية كبرى.

---

(1) Heyd : Histoire do commerce. T, I, P.P. 114-115.

(٢) شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية ص٣٢.

(3) Heyd : opt cit : T, I, P.P. 116-117.

(٤) ملك بيت المقدس.

(٥) شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية ص٣١.

وقد حمل البنادقة إلى المشرق السلع التي ترد إليها من إيطاليا وألمانيا، كالفواكه الجافة واللحوم والأسماك المجففة، والمعادن الخام والمصنوعة[١]، كما حملت سفن البنادقة من موانى مصر منتجات آسيا إلى أسواق أوربا[٢].

ولا شك أن الدولة الفاطمية في مصر شهدت رخاءً تجاريًا بسبب اهتمامها بتدعيم علاقاتها مع المدن الإيطالية، برغم ما شاب هذه العلاقات أحيانًا من توتر وعداء[٣] ذلك أن المدن الإيطالية، قامت بنشاط كبير في التجارة بفضل ما أتيح لها من فرص في موانى الدولة الفاطمية[٤]، ولأن تجارات المشرق كلها بيد مصر، فتهافت البنادقة والجنويون عليها، حيث كانت القاهرة في أواخر عهد الدولة الفاطمية مخزنًا لها، ولذلك كان الإفرنج يسمونها القاهرة العظمى " Le Grand Caire"[٥].

وفي سنة ١٠٨٢م/٤٧٥هـ حصل البنادقة على كثير من الامتيازات الاقتصادية والتيسيرات التجارية مع الفاطميين، الأمر الذي

---

(١) نفس المصدر : ص٣٥.

Wiet (Gaston) : L'Egypte Arabe. T, IV, P. 306.

(2) Heyd : Hist du commerce, T, I, P. 114.

(3) Goitein : studies in islamic History. P. 311

(٤) أوفدت البندقية تجارها إلى مصر سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٦م لنقل توابل الهند وسلع الشرق من مصر إلى أوربا، بعد أن عقدت أولى معاهداتها التجارية في مصر هذا العام، أحمد دراج، الوثائق العربية في دور الأرشيف، ص١٢٤، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة.

(٥) أحمد زكي : صفحة من تاريخ التجارة المصرية ص٣٣٧، المقتطف أكتوبر ١٩١٧م.

أدى إلى ابتعاد بيزنطة عن كل نشاط تجاري مع المدن الإيطالية[١].

وقد زاد نشاط المدن الإيطالية التجاري منذ مطلع القـرن الثـاني عشر الميلادي (السادس الهجري) في حوض البحر المتوسط وموانـي الدولة الفاطمية في مصر والشام،و عبرت سفنها معظم جهات البحـر فيما بين شواطئ الأندلس غربا والشام شرقا ومصر جنوبا[٢].

العلاقات مع الدولة البيزنطية :

تأثرت العلاقات بين الدولة الفاطمية في مصر والدولة البيزنطيـة بكثير من العوامل السياسة والاقتصادية[٣] فقد تقلبت العلاقات بين الـود والعداء والحرب والسلام، فظل النزاع قائما بين الدولتين حتـى سـنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م حيث قدمت إلى مصر رسل الإمبراطور باسيل الثـاني (٩٧٦-١٠٢٥م/٣٦٦-٤١٦هـ) تحمل هدية للخليفة العزيز، تطلب عقد الصلح بين الدولتين[٤] وقد أجاب الخليفة الفاطمي طلب هؤلاء السـفراء واشترط للصلح عدة شروط منها :

١ - أن يطلق البيزنطيون سراح من عندهم من أسرى المسلمين.

٢ - أن يدعى للخليفة العزيز بجامع القسطنطينية في خطبة الجمعة.

٣ - أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين مدة سبع سنوات.

---

(1) Goitein : Studies in islamic History. P.P. 311-312.

(2) Heyd : Histoire du commerce. T, I, P.P. 109-110.

(٣) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٥٨.

(٤) وقد اشتملت الهدية على ثمان وعشرين صينية من الذهب.

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤، ص١٥١-١٥٢.

محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٤٠.

كذلك توترت العلاقات بين مصر وبيزنطة في عهد العزيز بـــالله حينما احترق الأسطول الفاطمي في ميناء المقس بالقاهرة، والذي كـــان معدًا لصد تقدم البيزنطيين في الشام، الأمر الذي كان له أسوء الأثر في نفوس المصريين، الذين اتهموا الروم بتدبير مؤامرة إحراقه، وخاصـــة أنهم كانوا يقيمون على مقربة من دار الصناعة بالمقس، وحملوا عليـــهم وقتلوا فريقًا كبيرًا منهم[١].

وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أبرم أريسطيس بطريرك القدس صلحًا باسم الخليفة الفاطمي بين الدولتين لمدة عشر سنوات وذلك فـــي سنة ٩٩٩م (حوالي سنة ٣٩٠هـ) [٢]. وفي سنة ١٠٠٩م أمر الحـــاكم بأمر الله بهدم كنيسة القيامة في بيت المقدس[٣] إلا أنه كان مـــن آثـــار سياسة الحاكم بأمر الله العدائية إزاء النصارى، أن عمـــد الإمـــبراطور البيزنطي باسيل الثاني إلى قطع علاقته بالدولة الفاطمية وأصدر أوامره بمنع رعاياه من السفر إلى مصر سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، كمـــا حـــرم المتاجرة معها[٤] مما أدى إلى انقطاع سبل الاتصال بين الدولتين.

على أن العلاقات ما لبثت أن تحسنت بين الدولتيـــن فـــي ســـنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م، حيث أبرمت معاهدة بين الخليفة الظـــاهر الفـــاطمي والإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثامن تنص على السماح للإمبراطور البيزنطي بإعادة بناء كنيسة القيامة فـــي بيـــت المقـــدس، وأن يســـمح

(١) المقريزي : خطط جـ٢، ص١٩٥-١٩٦.

، محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٤١.

(٢) أسد رستم : الروم جـ٢، ص٥٦-٥٧.

(٣) نورمان بنز : الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٨٢، تعريب حسين مؤنـــس ومحمـــود يوسف زايد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية ١٩٥٧م.

(٤) يحيى بن سعيد : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص٢١٤.

للمسيحيين بإعادة بناء الكنائس التي هدمها الحاكم بأمر الله، عدا التي حولت إلى جوامع وأن يعين الإمبراطور البيزنطي بطريقًا في بيت المقدس، وألا يقوم الفاطميون بأي عمل عدائي نحو حلب[1]. حتى تقوم بسداد الجزية التي تدفعها للبيزنطيين منذ عام ٩٧٠م/٣٦٠هـ وألا تساعد الدولة الفاطمية أعداء الدولة البيزنطية، وخاصة أهل صقلية في مقابل ذكر اسم الخليفة الفاطمي في الخطبة في جامع القسطنطينية[2]. والمساجد الواقعة داخل حدود الدولة البيزنطية، وإطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين في قبضة الروم، وعدم مساعدة حسان بن مفرج بن الجراح الطائي صاحب الرملة الخارج على الخليفة الفاطمي[3].

لم يلبث البيزنطيون أن نقضوا هذا الصلح سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م بإيوائهم حسان بن مفرج بن الجراح الطائي، كما أغار البيزنطيون على أفاميه Aphamuca[4] واستولوا على قلعتها[5].

---

(١) غدت مدينة حلب أحد المنافذ الرئيسية للتجارة الرومانية مع العالم العربي في الشوق، وبلغ أهميتها أن استثناها الإمبراطور باسيل الثاني من قرار تحريم الاتجار مع الخلافة الفاطمية في مصر وقت اضطهاد الحاكم بأمر الله للمسيحيين عام ٤٠٧هـ، ١٠١٥م علي حسني الخربوطلي : البحر المتوسط بحيرة عربية ص٨٦، دار المعارف ١٩٦٣م.

(٢) وكان البيزنطيون قد أقدموا على هدم هذا الجامع عندما بلغهم خبر هدم كنيسة القيامة، محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٤٥.

(٣) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٤٤.

(٤) مدينة حصينة، وهي كورة من كور حمص شمال سوريا، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية، حاشية (٢) ص٢٤٢.

(٥) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر جـ٢، ص١٥٨، جمال سرور، نفس المرجع ص٢٤٥.

تحسنت العلاقات بين الفاطميين والبيزنطيين في أوائل عهد المستنصر بالله فعقد هذا الخليفة هدنة مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الرابع سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م وسمح له بإتمام إصلاح كنيسة القيامة في بيت المقدس، على أن يطلق سراح خمسة آلاف أسير مسلم[١]، وليس أدل على تحسين العلاقات مع البيزنطيين من إرسال الإمبراطور قسطنطين التاسع (١٠٤٢-١٠٥٤م/٤٣٤-٤٤٦هـ) أثر توليه الحكم هدية إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م، عبارة عن ثلاثين قنطارا من الذهب الأحمر كل قنطار عشرة آلاف دينار عربية[٢] كما استغل الخليفة المستنصر فرصة تحسن العلاقات مع البيزنطيين لمواجهة نقص الغلال في دولته، فطلب من الإمبراطور قسطنطين التاسع سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م أن يمده بالغلال فأطلق له أربعمائة ألف إردب[٣]. إلا أنه بعد وفاته طلبت أرملته الإمبراطورة ثيودورا من المستنصر بالله أن يمدها بالجند إذا اعتدى عليها معتد، فرفض المستنصر ذلك الشرط فعاقت عنه الغلال[٤]، الأمر الذي أثار غضب الخليفة المستنصر فأرسل حملة بقيادة مكين الدولة الحسن بن ملهم إلى أفامية وأنطاكية[٥] فأرسلت الإمبراطورة حملة بحرية أوقعت الهزيمة بمكين الدولة وأسر هو وكثير من جنده سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٠م،

---

(١) ابن الأثير : جـ٨، ص١٦، أحمد عبدالكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون، ص٢٠٦. المقريزي : خطط جـ١، ص٣٣٥.

(٢) الأبشيهي : المستطرف في كل فن مستظرف جـ٢، ص٥٤، زكي محمد حسن، كنوز الفاطميين ص٨١.

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ص٦-٧، العيني : عقد الجمان جـ٢٠ ورقة ٨٥ مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ص٧، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٤٦.

(٥) المقريزي : خطط جـ١، ص٣٣٥.

جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٤٦.

الأمر الذي حمل المستنصر أن يعهد للقاضي أبي عبـــدالله القضـــاعي بالذهاب إلى القسطنطينية لتسوية الخلاف بين الدولتيـــن، فلـــم تحفـــل الإمبراطورة بوجوده، على حين رحبت برسول الســـلطان الســـلجوقي طغرلبك الذي قدم من العراق ومعه رسالة من السلطان يلتمس فيـــها أن يصلي رسوله في جامع القسطنطينية، فأذنت له بذلك فصلـــى الجمعـــة وأقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباســـي، ولمـــا وقـــف الخليفـــة المستنصر بالله على سياسة الإمـــبراطورة ثيـــودورا العدائيـــة إزاءه، وإساءتها معاملة سفيره بعث في طلب كنوز كنيسة القيامـــة ونفائســـها، فأرسلت إليه[١].

استمرت تلك السياسة العدائية بين الدولتين البيزنطية والفاطمية في مصر حتى وجه الصليبيون حملاتهم إلى بلاد الشام وأسســـوا إمـــارتي انطاكية وبيت المقدس وصاروا يشتبكون من وقت لأخر مـــع القـــوى الإسلامية بتلك البلاد، وبخاصة في عهد نور الدين محمود أمير حلـــب الذي ضم دمشق إليه سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م[٢].

لما أخذت الأخطار تواجه الفرنجة ببيت المقدس من جراء ازديـــاد نفوذ نور الدين محمود ببلاد الشام، وطموحه إلى بسط ســـلطانه علـــى مصر، بعث أموري ملك بيت المقدس يستنجد بملـــوك أوربـــا لوقـــف الخطر الذي يهدد الإمارات اللاتينية بالشام، لكنهم شغلوا عنه لذلك لم ير بدا من الاستعانة بالإمبراطور البيزنطي مانويل، واتفقا على السير معـــا إلى مصر وانفذا أسطولا بحريا يعاونه جيش بري، وصل إلى دميـــاط

(1) Lane poole : A History of Egypt. 148.

، ابن ميسر : أخبار مصر ص٧ .

(٢) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٤٧.

سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م[١] إلا أن هذه الحملة لم تنجح بسبب إغارة نور الدين محمود على بلاد الشام، بالإضافة إلى وقوع الخلف بين قواد الحملة[٢].

على أن المنازعات السياسية بين مصر والدولة البيزنطية لم تؤد إلى وقف العلاقات التجارية، فعلى الرغم من وقوع القسطنطينية، عاصمة الدولة البيزنطية على الطرق التي تربط آسيا وأوروبا ، مما سهل وصول الغلات إليها من وسط آسيا وشرقها بالطريق البري، دون أن تعتمد على مصر أو بلاد الشام[٣]. إلا أن ذلك لم يمنع من أن الدولة البيزنطية كانت ترغب في منتجات مصر، وخاصة المنسوجات التي كثيرًا ما كان الأباطرة البيزنطيون في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) يبعثون في طلبها لتزيين قصورهم[٤].

وبلغت منتجات تنيس من المنسوجات شهرة فائقة في الدولة البيزنطية إلى درجة دفعت ناصر خسرو الرحالة الفارسي إلى القول بأن سلطان الروم (الإمبراطور البيزنطي) عرض على سلطان مصر (الخليفة الفاطمي) أن يعطيه مائة مدينة على أن يأخذها فلم يقبل السلطان[٥] كذلك كان لمنسوجات دمياط الممتازة شهرتها إلى جوار منسوجات تنيس.

---

(١) المقريزي : خطط جـ١، ص٢١٥.

(٢) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٤٨.

(٣) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٥٨.

(4) Heyd : Histore du commerce. T, I, P.P. 109-110.

(٥) ناصر خسرو : سفر نامة ص٣٨.

وكان تحسن العلاقات بين مصر والدولـــة البيزنطيـــة يعنـــي ســـهولة حصولها على غلات روسيا والجهات الواقعة بجوار البحر الأسود، المجاورة لبيزنطة، وكانت تربطها بعاصمة الدولة البيزنطية طرق برية[١].

وكان القمح من أهم المحاصيل التي تستوردها مصر من الدولـــة البيزنطية، خاصة في فترات الأزمات الاقتصادية وانخفاض مياه النيـل، وقد رأينا كيف نجح الخليفة المستنصر بالله في عقد اتفاقية تجارية مـــع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاســـع ســـنة ٤٤٦هـ، ١٠٥٤م يتـــم بمقتضاها تصدير أربعمائة ألف أردب قمح من بيزنطة إلى مصر[٢].

وكثيرًا ما كانت تبحر السفن المصرية إلى القسطنطينية[٣] فقد رأى الرحالة بنيامين التطيلي بها تجارًا من جميع أنحاء العالم من بينهم تجـار من مصر[٤]، وكان يقيم بها جالية إسلامية لهم جامع تقام فيه الخطبـــة للخليفة الفاطمي عندما تصفوا العلاقات بين البلدين، وفي حالة توترهـــا تقام الخطبة للخليفة العباسي[٥].

---

(١) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٢٦.

ومن السلع التي كانت تصل مصر من بيزنطة حتى سنة ٣٥٠هـ الديبـــاج والحريـــر والمرجان والعنبر والزعفران، الكندي : فضائل مصر ص٧١ ، تحقيق إبراهيم العدوي.

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ص٦-٧، العيني : عقد الجمان في تـــاريخ أهـــل الزمـــان جـ٢٠، ورقة ٨٥ مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(3) Be azley : Dann of Modern Grogtraphy, Vol. II P. 122.

راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٢٧.

Mann (Jacob) The Jaws in Egypt and palestine, P. 215.

(4) Be azley : Dann of Modern Grogtraphy, Vol. II P. 122.

راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٢٧.

Mann (Jacob) The Jaws in Egypt and palestine, P. 215.

(٥) ابن ميسر : أخبار مصر ص٧، فقد سمحت الإمبراطورة ثيودورا لرسول طغرلبك بإقامة الخطبة في صلاة الجمعة للخليفة القائم بأمر الله العباسي في الوقت الذي كان فيه القاضي أبو عبدالله القضاعي رسول المستنصر بالله هناك.

وكان للروم جالية بمصر، حيث أقاموا في حي خاص بـهم فـي مدينة القاهرة[١] كما كان كثير من تجار الروم يقيمون بالقرب من ميناء المقس بالقاهرة[٢].

العلاقات مع جزر البحر المتوسط :

العلاقات مع جزيرة صقلية :

خضعت صقلية للفاطميين منذ أن تمكن أبو عبدالله الشيعي من فتحها سنة ٢٩٥هـ/٩٠٨م. وكان لهذه الجزيرة أهميتها بالنسبة للفاطميين كقاعدة لأسطولهم في البحر المتوسط لصد هجمات الروم ضد أفريقية[٣]. وبعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، صار يلي أمور صقلية وال مستقل من قبل الخليفة الفاطمي[٤].

استمر النفوذ الفاطمي سائدًا على جزيرة صقلية، حتى بدأت عوامل الانقسام والفرقة تنتشر في هذه الجزيرة منذ أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بين ولاة صقلية، فقد أثار بعض هؤلاء الولاة مثل أحمد الأكحل الانقسام بين المسلمين من أهل الجزيرة، بسبب التفرقة في معاملتهم، الأمر الذي أثار فريقًا منهم، فساروا إلى المعز بن باديس أمير أفريقية سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م طالبين منه التدخل، الأمر الذي شجع الروم على إنفاذ حملتين إلى صقلية سنتي ٤٢٩-٤٣٠هـ / ١٠٣٧-١٠٣٨م، استولت فيها على مسينا ومعظم البلاد

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤، ص٤٢، ناصر خسرو : سفر نامة ص٥٥.

(٢) وق وردت الإشارة إلى ذلك في حديث المقريزي عن الحريق الذي شب في الأسطول الفاطمي أيام الخليفة العزيز بالله : الخطط جـ٢، ص١٩٥-١٩٦.

(٣) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٣٢-٢٣٣.

(٤) نفس المصدر : ٢٣٥.

الواقعة على الساحل الشرقي للجزيرة، غير أن سكانها من المسلمين سرعان وا تمكنوا من استعادة هذه البلاد منهم[١].

على أن الاضطرابات ما لبثت أن سادت صقلية، بسبب التنافس بين ولاة صقلية من قبل الفاطميين والحروب الأهلية فيها، فأنتهز النرمنديون هذه الفرصة، وأخذوا يعملون على الاستيلاء على جميع مدن الجزيرة وثغورها، حتى انتهى الأمر باستيلائهم عليها بزعامة روجرين تنكرد سنة ٤٨٣هـ/١٠٨٩م. [٢].

اشتهرت بعض بلاد صقلية بإنتاج نوع من الأقمشة الحريرية الفاخرة[٣]، وكانت مستوردة من مصر. ويتضح لنا مما خلفته الأميرة عبدة ابنة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وجود الأقمشة الصقلية بمصر[٤]، كما أن الثياب المنسوجة من الكتان الصقلي لا نظير لها جودة ورخصًا، ويشير المقدسى[٥] إلى ذلك بقوله " ومن صقلية تحمل الثياب المقصورة الجيدة " ويذكر ناصر خسرو[٦] أنه كان يستورد منها الأقمشة الكتانية الرقيقة، والثياب المنقوشة والتي كانت القطعة منها تباع في أسواق الفسطاط بعشرة دنانير مغربية.

---

(١) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٣٥-٢٣٦.
(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي جـ٤، ص٢٤٠، ص٢٤٣.
زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص١٠٣.
(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦١٣، جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٥٩.
(٤) ذكر المقريزي : خطط جـ١، ص٤١٥. أنه كان من بين ما وجد في خزائن هذه الأميرة ثلاثون ألف شقة صقلية.
(٥) أحسن التقاسيم ص٢٣٩.
(٦) سفر نامه ص٤٥.

لم تنقطع العلاقات التجارية بين مصر وصقلية بعد الفتح النورمندي لها[١] فكانت السفن الفاطمية التى تبحر من مصر إلى إيطاليا وجنوبي فرنسا في طريقها إلى الأندلس وبلاد المغرب تمر بموانى صقلية[٢]. حيث كان تجارها يبيعون ما تحمله سفنهم من منتجات مصر ويحصلون في مقابلها على قمح صقلية وفواكهها ومعادنها[٣].

كذلك ظل تجار صقلية يفدون إلى مصر ،ويعاملون معاملة طيبة تنطوي على الود والرعاية. وفضلاً عن ذلك فإن روجر بن تنكرد "صاحب صقلية" استطاع أن يحصل على موافقة الحكومة الفاطمية بتخفيض الرسوم على السلع التجارية في الإسكندرية إلى المستوى الذي كانوا يدفعونه من قبل، وتمكن من عقد معاهدة تجارية مع الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله[٤].

ومن الجدير بالذكر أن سفن صقلية هاجمت المدن الساحلية في مصر سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م. [٥].

---

(١) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٥٩.

(٢) كانت المراكب التجارية في ذلك العصر تسير محاذية لشاطئ البحر المتوسط، غير بعيدة عنه، حيث أن البوصلة البحرية لم تستخدم في ملاحة هذا البحر إلا أيام الحروب الصليبية في بداية القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) جورج فضلو حوراني :العرب والملاحة ص٢٨٤.

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦١٣، تاريخ الإسلام السياسي جـ٤، ص٤٠٨، وكان القطن الذي يزرع حول جطين في إقليم ميلاحي بالجزيرة يصدر إلى مصر، كذلك أيضًا صدر من إقليم بلهرا الحديد إلى مصر. إحسان عباس : العرب في صقلية ص٧٣، ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٣، ص١٠٨.

(4) Heyd : Hist do commerce. T, I, P.P. 391-392.

حكم الحافظ لدين الله من سنة ٥٢٤ إلى سنة ٥٤٤هـ / ١١٣٠ – ١١٤٩م.

(٥) فقد هاجموا دمياط في ستين مركبًا ثم نزلوا على تنيس ورشيد والإسكندرية وأكثروا فيها النهب والسلب. المقريزي : خطط جـ١، ص٢١٤.

أما عن جزيرة قبرس، فكان من أثر سهولة الاتصال بها أن قامت بينها وبين مصر في العصر الفاطمي علاقات تجارية، حيث أن المسافة التي كانت تفصلها عن موانئ مصر الشمالية لا تزيد عن رحلة يوم واحد، فكانت السفن المصرية تخرج إليها من تنيس ودمياط بصفة خاصة، فضلاً عن أن قبرس تقع على الطريق البحري من مصر إلى سواحل آسيا الصغرى والقسطنطينية، وكانت مصر تستورد منها الشمع والعسل[١]، والديباج والحرير[٢] وهي نفس السلع التي كانت جزيرة اقريطش تصدرها إلى مصر[٣]، فضلاً عن الخشب الجيد الذي كان يرد من جزيرة كريت[٤].

(ب) العلاقات مع بلاد المغرب والأندلس :

١ - مع بلاد المغرب :

لم تنقطع علاقة الفاطميين ببلاد المغرب بعد انتقال حاضرة دولتهم إلى مصر[٥] بل ازداد النشاط التجاري بين مصر وبلاد المغرب، بعد خضوع هذين الإقليمين لسلطة سياسية واحدة، فقد ازدادت التسهيلات الممنوحة لتجار المغرب، فكان على سفن المغاربة أن تقلع إلى موانئ مصر تحمل الحجاج المغاربة، الذين ظلوا طوال العهد الفاطمي يسافرون إلى الحجاز بطريق مصر[٦].

---

(١) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادي في عهد الفاطميين ص٢٢٩.

(٢) الكندي : فضائل مصر ص٧١، تحقيق : إبراهيم العدوي.

(٣) راشد البراوي : نفس المصدر ص٢٢٩.

(٤) التميمي (ر) : النظم والطرق التجارية بين الشرق والغرب قبل الحروب الصليبية ص٤٠٢ المقتطف إبريل ١٩٤١م.

(٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦١٣، تاريخ الإسلام السياسي جـ٤، ص٤٠٩.

(٦) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦١٣.

كذلك كانت مصر الطريق الذي تصل بوساطته بلاد العرب والحبشة والشرق الأقصى إلى بلاد المغرب. ومن الجدير بالذكر أن الفاطميين شجعوا أعدادا من تجار المغرب، وخاصة من أبناء قبيلة كتامة[١]. على الهجرة إلى مصر، رغبة في الاستفادة من خبرتهم في التجارة، وقد جاءت إلى مصر أعداد كبيرة منهم سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م[٢]. وظلت حركة التجارة مستمرة بين مصر وبرقة، فكان يحمل منها الصوف والعسل والقطران[٣]، وكان يرد من قفصة إلى مصر نوع خاص من النسيج يسمى الكساء الطراقي[٤]، كما كانت ترسل الأقمشة الحريرية من صفاقس والقيروان إلى القاهرة[٥].

كذلك صدرت بلاد المغرب إلى مصر الحبوب، خاصة القمح والشعير[٦]، كما صدرت صفاقس زيتها إلى مصر[٧]، كما كان الحديد والزعفران يحمل من بونه (على ساحل البحر

(١) إقليم كتامة : بلاد الجزائر حاليا.

(2) Goitein : Letters and Document on the india Medieval times. P200 (Islamic culture London 1963)

ومن الجدير بالذكر أن الحكومة الفاطمية استفادت من خبرة هؤلاء التجار ودفعت بهم إلى تجارة الهند.

(٣) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص٥، ويقول ابن حوقل عن أسعار برقة أنها كانت أغلب الأوقات رخيصة : صورة الأرض ص٦٧.

(٤) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ص٣٢٩.

(٥) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٦) ابن حوقل صورة الأرض ص٧٤-٧٥-٧٦.

كذلك يحمل الكراويا والعصفر والعسل والتين.

(٧) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص٣٣٠.

المتوسط) والأربس (بالقرب من كتامـــة) إلـــى مصـــر[١]. بالإضافـــة إلى القنب والقطـــن[٢].

استمر النفوذ الفاطمي سائدا في أفريقية حتى ولـــي إمـــارة بنـــي زيري المعز بن باديس الصنهاجي، وكان منحرفا عن مذاهب الشـــيعة ويعتنق مذاهب أهل السنة، فحمل جميع أهل المغـــرب علـــى التمســـك بمذهب الإمام مالك[٣]، إلا أن الخلفاء الفاطميين لم يقطعوا ما بينهم وبينه من صلة، بل زادوا في ألقابه وأرسلوا إليه الهدايا[٤].

على أن علاقة هذا الأمير بالفاطميين ما لبثت أن تبدلت في أوائـل عهد المستنصر بالله، فأعلن سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، خروجه على طاعة هذا الخليفة، وأمر بحذف اسمه من الخطبة والســكة والطـــرز، وأقـــام الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله[٥].

ومما يجدر ذكره أنه كان لانفصال الزيرييـــن عـــن الفـــاطميين وتحريمهم تداول العملة الفاطمية في بلادهم أثر بالغ في التجـــارة بيـــن

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص٧٥-٧٥، ص٨٦-٨٧.

(٢) ابن حوقل : نفس المصدر ص٧٤.

وكان القطن والعنب يحمل إلى تونس من القيروان ثم يصدر إلى مصر.

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢، ص١٣٧، محمد جمال الديـــن ســـرور: سياســـة الفاطميين الخارجية ص٢٢٧.

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب جـ١، ص٣٩٢.

كان ذلك في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الذي لقبه شرف الدولة وزاد عليه الخليفـــة الظاهر لقب عضد الدولة سنة ٤١٤هـ/١٠٢٢م، جمال سرور : سياسة الفـــاطميين الخارجية ص٢٢٧.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ٩، ص١٠٨، ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلـي حضرة القاهرة ص٧٩، تحقيق : حسين نصار.

مصر وبلاد المغرب، كما أضعف دور الوساطة الذي كان يقوم به تجار المغرب في التجارة الدولية في البحر المتوسط(١). الأمر الذي قلل مـــن أهمية تجارة مصر مع المغرب بعد سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م(٢).

٢ – العلاقات مع بلاد الأندلس :

لم تكن العلاقات طيبة بين الفاطميين والأمويين في بلاد الأندلـس، منذ أن كانت الخلافة الفاطمية في بلاد المغـــرب، بســـبب محـــاولات الفاطميين نشر الدعوة الفاطمية في بلاد الأندلس، بل أن الأمر تطـــور إلى الاشتباك المسلح بين الطرفين في عهد المعز لدين الله عندما هـــاجم أسطوله ميناء المرية (جنوب شرق الجزيرة) سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م(٣).

استمر العداء بين الأمويين في الأندلس والخلافة الفاطميـــــة فـــي مصر بعد وفاة الخليفة المعز لدين الله سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م، وكذلك كان الحال في عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي(٤).

ومن الجدير بالذكر أن الأمويين ببلاد الأندلس كانوا يتحينون الفرص للقضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر، ردا على ما قـــامت بـــه ضدهم في بلاد الأندلس ويتجلى ذلك في الثورة التي قام بها أبو ركـــوة(٥)

---

(١) أرشيبا لويس : القوى البحرية والتجارية ص٣٨٥.

(٢) نفس المصدر : ص٢٨٧.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ٨، ص١٧٠.

(٤) فقد ذكر ابن خلكان أن الحكم المستنصر بن عبدالرحمن الناصر لدين الله، تلقـــى مـــن العزيز بالله الخليفة الفاطمي بمصر كتابا يسبه فيه ويهجوه، فكتب إليه الحكم المســتنصر " قد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك : وفيات الأعيان جـ١، ص١٥٢.

(٥) سمي بذلك لأنه كان يحمل ركوة (قربة) على كتفه لوضوءه على عادة السنية.
أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر جـ٢، ص١٣٨.
ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ص٥٧.

والتي نجحت في إقلاق السلطات الفاطمية في عهد الحاكم بأمر الله، لكن هذا الخليفة تمكن من القضاء عليها[١]..

لم تتحسن العلاقات بين مصر وبلاد الأندلس إلا بعد سقوط الخلافة الأموية ففي عهد ملوك الطوائف تبودلت الرسائل بين علي بن مجاهد العامري[٢] صاحب دانيه (في الجنوب الشرقي لبلاد الأندلس) والخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م[٣].

كان لتقدم المسلمين في فن الملاحة أثره في اتصال الشرق الإسلامي ببلاد الأندلس وقيام علاقات تجارية بينها وبين سائر البلاد الإسلامية[٤]. وكانت سفن الفاطميين وغيرها من الأساطيل التجارية التي ترسو في مواني أشبيلية ومالقة ودانية والمرية، تنقل إلى جميع مواني البحر المتوسط منتجات بلاد الأندلس[٥].

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ٤،ص٢١٥،٢١٧.
ومن الجدير بالذكر أن أبي كورة وهو من ذرية هشام بن عبدالملك بن مروان الذي نزح إلى برقة وأيدته بنوقرة من قبائل كتامة، وكانوا ساخطين على الخليفة الحاكم بأمر الله لإسرافه في قتل زعمائهم.
Lane pole : A History of Egypt P. 128.
جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٢٣.

(٢) تولى حكم دانية والجزائر الشرقية خلفا لأبية مجاهد العامري وتلقب باقبال الدول، حسين مؤنس: رحلة الأندلس حديث الفردوس والموعود ص٢٧٩، القاهرة ١٩٦٤م.

(٣) محمود علي مكي : التشيع في بلاد الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف ص١٢٩. صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني العدد ١-٢، ١٩٥٤م.

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي جـ٤، ص٤٠٩.

(٥) كانت مرافئ الساحل من المرية إلى طركونه (في الشمال الشرقي) مراكز كبرى لتجارة البر والبحر، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦١٤. حسين مؤنس : رحلة الأندلس ص٢٦٩.

كان لمالقة (جنوب شبه الجزيرة) شهرتها التجارية، فضلاً عن كونها ثغرًا بحريًا عظيم الأهمية، فكان يحمل منه التين إلى مصر وبلاد الشام والعراق، كما كانت تصدر منه السلع التي اشتهر بإنتاجها مثل الخزف والحرير والورق والزجاج والأدوات النحاسية والحديدية، فضلاً عن شهرته في صناعة السفن[١].

بلغت صناعة الزيت في بلاد الأندلس درجة عظيمة من التقدم، حتى زاد عن حاجتها وصدرته من أشبيلية إلى أسواق أفريقيا[٢]، كما كان للأندلس شهرتها في صناعة الملابس الكتانية، حيث كان يحمل منها إلى مصر، خاصة الأردية المصنوعة بإقليم " بجانة " وقد أنتجت من الكتان ثيابًا لا تقل جودة عن الدبيقي، منها النوع الصفيق (السميك) ومنها السلس الدقيق، الذي يضاهي رفيع الشطوى[٣] كما أنتجت جنجاله (بين شاطية وبنشته) الأغطية التي أشتهرت بها[٤]، وبسطة (من أعمال جيان) السجاجيد التي تنسب إليها[٥].

وكانت السفن التي تبحر من بلاد الأندلس إلى القاهرة بعد منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، تحمل الخشب والفضة

---

(١) الإدريس : صفة المغرب وأرض السودان ومصر ص٢٠٠، ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٧، ص٢٦٧، القلقشندي : صبح الأعشى جـ٥، ص٢١٩.

(2) Seditlot : Histoire generals des Arabes, Vol, P.P. 344-346, Paris 1875.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص١١٤، ليدن ١٩٦٧م.

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ج٤، ص٤٠٩.

جنجاله : صوابها جنجيلة، ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٣، ص١٤٧.

(٥) وينسب إليها المصليات البسطية، ياقوت : معجم البلدان جـ٢، ص١٨١.

والزئبق، وعند مرورها بالموانى المغربية كانت تتزود بالقمح والشعير والتمور والصوف والعسل وزيت الزيتون(١).

ومن الجدير بالذكر أن تجار الأندلس جلبوا القمح والشعير إلى مصر أثناء الشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٥-١٠٧٢م) وكانوا يأخذون الجوهر والياقوت ثمنًا له(٢).

لم يقصر تجار مصر في ميدان التجارة مع بلاد الأندلس. فقد عبروا البحر المتوسط إلى شبه جزيرة آيبيريا، حيث رآهم الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي في مدينة برشلونة على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة(٣) وكان تجار مصر يحملون إلى الأندلس العطور والأحجار النفيسة، فضلاً عن المنتجات المصرية(٤).

ازداد نمو العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الأندلس في الفترة التي كانت فيها تلك البلاد خاضعة للمرابطين(٥). وتثبت النقوش هذه

---

(١) سليمان مصطفى زبيس : العامة عن أحوال القاهرة الاقتصادية وعلاقتها ... في عهد الفاطميين ص٥٩٤. من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ... إبريل ١٩٦٩م الجزء الثاني.

(٢) ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ص٧٩، تحقيق : حسين ... كان من أسباب هذه الشدة انخفاض مياه النيل واختفاء القمح، وارتفاع أسعاره إلى درجة تضاءلت قيمة الأموال بالنسبة له، وأصبح يشترى بالجواهر والأحجار الكريمة. انظر المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص٢٥-٢٦.

(3) Beazley : Dawn of modern Geography. Vol, II, P. 229.

(4) Heyd : Histoire du commerce du Levant, Tom, L, P.49.

(٥) استمر ملوك الطوائف في اماراتهم ببلاد الأندلس منذ سقوط الخلافة الأموية، حتى تمكن المرابطون في عهد يوسف بن تاشفين من السيطرة عليها بعد أن أجازهم من بلاد المغرب، وانقرض ملك الطوائف منها سنة ٤٩٣هـ ما عدا سرقسطة التي كانت في يد النصاري. ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٦، ص١٨٧-١٨٨.

العلاقات حيث وجد اسم تاجر من الإسكندرية مات في ميناء المريــة[١] سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م، منقوشا على أحد قبور المدينة مما يدل علــى أن هذا التاجر مات أثناء سفره في العهد الذي كانت المريــة تصنــع فيــه أقمشة فاخرة ذات شهرة عالية[٢].

(جـ) العلاقات مع بلاد الشرق الإسلامي :

١ – مع بلاد الحجاز :

كان لاهتمام الفاطميين ببسط سيادتهم على بلاد الحجــاز منــذ أن انتقلت خلافتهم من بلاد المغرب إلى مصر أثره الكبير في نمو العلاقات بينهما. خاصة أن الأراضي المقدسة بالحجاز كانت تمثل لـــهم أهميــة كبرى في مواجهة الخلافة العباسية، التي ظلت زمنا طويلا تسيطر على تلك البلاد. ولا غرو فقد كان الفاطميون يعتقدون أن أمــــير المؤمنيــن الحقيقي هو من استطاع بسط نفوذه على الحرمين المكي والمدني[٣].

وعلى الرغم من أن نجاح الفاطميين في نشر نفوذهم ببلاد الحجاز جر عليهم منافسة العباسيين لهم، فإنهم جنوا من ورائه تقديـــر العــالم الإسلامي فقد برهنوا على قدراتهم على درأ الأخطار التي تعرضت لها تلك البلاد وحرصهم على حماية الأراضي المقدسة، وتأمين الوافديـــن إليها من المسلمين على أرواحهم وأموالهم[٤].

---

(١) جنوب بلاد الأندلس وهو لفظ عربي معناه الناظور المرتفع وهو لغة من المرئيــة "أي التي ترى من بعيد ".

حسين مؤنس : رحلة الأندلس ص٢٧٠.

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي جـ٤، ص٤٠٩.

(٣) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيـــرة العـــرب، ص١٤، القـــاهرة ١٩٥٠.

(٤) انظر جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٣٥.

وقد ساعد انتشار النفوذ الفاطمي في بلاد الحجاز على قيام علاقات وثيقة بين الدولة الفاطمية في مصر وتلك البلاد. فضلاً عن سهولة الاتصال بين البلدين، مما ساعد على إمكانية قيام تبادل تجاري بينهما.

وكان القمح يأتي في المرتبة الأولى في السلع التي تنقل من مصر إلى بلاد الحجاز ويشير المقدسى(١) إلى أهمية ميناء القلزم بالنسبة لبلاد الحجاز بأنه فرضه (ميناء) الحجاز ومعونة الحاج، وأن ما ينقل منه إلى بلاد الحجاز من القمح والدقيق حمل ثلاثة آلاف جمل كل أسبوع. وكان الجار وجده على ساحل البحر الأحمر من أهم مواني بلاد الحجاز التي تستورد قمح مصر ودقيقها(٢) كذلك كانت المنسوجات المصرية لها سوقها في بلاد الحجاز.

وكانت غلات الهند وشرقي آسيا تنقل إلى مصر عن طريق عدن وجده. وكان للبخور الذي يرد إلى الحجاز من اليمن سوق رائجة عند الحجاج المصريين(٣).

٢ - العلاقات مع بلاد اليمن :

كانت العلاقات بين بلاد اليمن والخلفاء الفاطميين في مصر يسودها الود والوفاق، لذلك كان من الطبيعي أن تنشط حركة التبادل التجاري بينهما.

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٩٦.

(٢) جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ص٢٣٤.

(٣) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٣٥.

وبالقرب من ينبع يوجد جبل رضوى الذي حمل منه حجر المسن.

ابن حوقل : صورة الأرض ص٣٣.

وقد تمتعت بلاد اليمن بموقع ممتاز على نهاية البحر الأحمر من جهة الجنوب وهو موقع متوسط بين أفريقيا وآسيا. ولهذا كثرت الأسواق الهامة على شواطئ اليمن، وكانت وظيفتها جمع وعرض السلع المستوردة من الهند والشرق الأقصى والشاطئ الأفريقي، ومنها توزع إلى الأقاليم الأخرى[١].

كذلك كان لميناء عدن على مقربة من مدخل البحر الأحمر الجنوبي، شهرة فائقة في التجارة، حيث كانت ترسو به السفن المحملة بمنتجات الدول الأسيوية والأوربية[٢] ويصفها المقدسي بأنها " دهليز الصين "[٣] ويحدثنا أنه سمع عنها أن من الناس من دخلها بألف درهم فرجع بألف دينار ومنهم من دخلها بمائة فرجع بخمسمائة[٤].

لم تكتف بلاد اليمن بأن تكون سوقا تنقل من خلاله بضائع الشرق والغرب، بل كان لديها ما تصدره إلى البلاد الأخرى. فمن الهدية التي أرسلها علي بن محمد الصليحي إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م[٥] نتبين أن بلاد اليمن كانت تقوم بتصنيع الحديد الخام الذي يصلهما من بلاد الهند، وتصنع منه سيوفا وخناجر كذلك استخدمت إنتاجها من العقيق في تطعيم السيوف، وصناعة السبح والخواتم، كما قامت بصناعة الوشى (وهو نوع من الملابس الحريرية)

---

(1) Heyd : Histoire du commerce, Jom, I P. 251.

(٢) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٥١.

(٣) أحسن التقاسيم ص٢٤.

(٤) نفس المصدر ص٩٧.

(٥) حوت هذه الهدية سبعين سيفا مقابضها من عقيق، وخمسة أثواب وشي، وفصوص عقيق، ومسك وعنبر.

محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٨٢.

مما يصلها من الحرير الخام من بلاد الشرق الأقصى. كمـــا اشـــتهرت بلاد اليمن بالبخور والعطور. وكانت تحملها السفن إلى مصر حيث تجد سوقًا رائجة عند أهالى البلاد[١].

وكثيرًا ما قام اليمنيون بنقل بضائع الهند والصيـــن علـــى ســـفن خاصة تعرف بجلاب القلزم إلى موانى جده وعيذاب والقصير[٢] وكانت هذه السفن تعود محملة بالمنتجات المصرية إلى سواحل اليمـــن، مـــن الغلال والمنسوجات.

٣ - العلاقات مع بلاد الشام :

مثلت بلاد الشام أهمية كبرى للفاطميين بعد أن فتحوا مصر ســـنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م، فعملوا على فتح هذه البلاد ســـنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م، رغبة في تأمين حدود مصر الشمالية الشرقية والوقوف في وجه الـــروم والقرامطة[٣] لكن الفاطميين رغم نجاحهم فى مد سلطانهم علـــى بـــلاد الشام، واجهوا عدة صعوبات كان لها أثر بالغ في عدم استقرار الحكـــم الفاطمي فيها، فإلى جانب استياء أهالي دمشق من تعصـــب الفـــاطميين للمذهب الشيعي، قام قرامطة بلاد البحرين بمناهضة نفوذهم في بـــلاد الشام، كما أن الحركات الاستقلالية التي تزعمها أمراء العرب في هـــذه البلاد، أدت إلى أضعاف سلطة الفاطميين.

ولم تكن الخلافة الفاطمية أواخـــر القرن الخـــامس الـــهجري (الحادي عشر الميلادي) في حالة تساعدها على استعادة مكانتها في بلاد

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦١٤.

(٢) أحمد دراج : عيذاب ص٥٧، مجلة نهضة أفريقية العدد التاسع، أغسطس ١٩٥٨م.

(٣) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص١١٧.

الشام. فقد ساد الضعف البـلاد بسبـب الاضطرابـات الداخليـة[١]، بحيث تعـذر عليها الاحتفـاظ بما تبقى لها من سلطان على بـلاد الشام.

ولا شك أن اضطراب الأحوال السياسية في بلاد الشام كـان لـه تأثير بالغ على العلاقات التجارية بينها وبين الدولة الفاطمية في مصـر. فقد كان لدى مصر ما تصدره إلى تلك البلاد من منسوجات وخاصة من بلادها المطلة على ساحل البحر المتوسط مثل دمياط وتنيس، كمـا أن بلاد الشام كانت غنية بمصادر الثروة الطبيعية وخاصة الأخشاب التـي اشتهرت به غاباتها من أشجار الأرز والصنوبر، والتي كانت مصر في أشد الحاجة إليها لبناء أسطولها الحربي والتجاري، الأمر الذي يغنيـها عن استيراده من الخارج ويريحها من المشـاكل التـي حدثـت مـع الجمهوريات الإيطالية والدولة البيزنطية. إلا أن افتقار تلك البلاد إلـى الهدوء والأمن كان له أثره في عرقلة نشاط التجارة الخارجية بينها وبين مصر[٢].

---

(١) بسبب المنازعات بين طائفتي النزارية والمستعلية. وكانت طائفة النزارية تدعـي أن المستنصر بالله أوصى لابنه الأكبر نزار بالخلافة. وكانت طائفة المستعلية تدعى أنـه أوصى لابنه أبي القاسم أحمد الذى لقب بالمستعلي، ومن ثم فقد خرج نـزار علـى أخيه المستعلي بالإسكندرية، وقامت بينهما حروب انتهت بالقبض على نزار وقتله.
ابن ميسر : أخبار مصر ص٣٥، ص٣٧.

(٢) لم يمنع ذلك من قيام نشاط تجاري خفيف وذلك في فترات الهدوء النسبي في أحـول تلك البلاد فكان يرد منها زيت الزيتون وعسـل النحـل والمصنوعـات الزجاجيـة والمنسوجات الشامية من صناعة بعلبك والأسلحة والأدوات النحاسية.
زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص١٨١.
راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٣٣.

٤ – العلاقات مع بلاد العراق :

كانت بلاد العراق محط أنظار الفاطميين، على اعتبار أنها مقـــر الخلافة العباسية، لذلك عهدوا إلى دعاتهم بالرحيل إليها لنشر دعوتـــهم، وعلى الرغم من أن هؤلاء الدعاة صادفوا كثيرا من النجاح فـــي هـــذا السبيل، غير أنه لم تتحقق أطماعهم في بسط سيطرتهم عليها. لكن ذلـك لم يحل دون قيام تبادل تجاري بين العراق ومصر في العصر الفاطمي، فكان للمنسوجات المصرية شهرتها في بلاد العراق، وبخاصـــة إنتـــاج دبيق أن أطلق العراقيون على إحدى قرى بغداد اسم (دبقية) [١]. وكانوا يبيعون إنتاج مصانعها من المنسوجات على أنها دبيقيـــة لـــتروج فـــي السوق رواج منسوجات دبيق[٢]، كذلك كانت مصر تصدر إلى العـــراق منسوجات من إنتاج تنيس تزيد قيمتها عن عشرين ألف دينار ســـنويا. وكان ذلك حتى سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م[٣].

لم ينقطع تجار العراق عن المجيء إلى مصر، كما كانت الحـــال بالنسبة لتجار مصر ومما يجدر ذكره أنه قدم إلى بغداد فريق من التجار ومعهم ثياب المستنصر وذخائره وأشـــياء جليلـــة ممـــا نـــهب خـــلال الاضطرابات التي قام بها الجند الأتراك[٤].

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٤، ص٣٤.
(٢) جمال الدين الشيال : مجمل تاريخ دمياط ص٧٣.
(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٥٢-١٥٣، ليدن ١٩٦٧م.
(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ص٢٠، المقريزي : خطط جـ١، ص٤٣٩.

وحمل تجار العراق إلى مصر الثياب العتابية المصنوعة من الحرير وتنسب إلى عتاب أحد أحياء بغداد[1]، والخسرواني وهو نوع من الحرير ينسب إلى خسرو شاه أحد ملوك الفرس، والتستري وهو نوع من الحرير ينسب إلى تستر أشهر مدن خوزستان[2] وبلغ من اهتمام الحكومة الفاطمية بأمر تجار العراق[3] الذين يفدون إليها أنها أنشأت الوكالة الآمرية (نسبة إلى الخليفة الآمر بأحكام الله) لمبيتهم هم وتجار الشام[4].

العلاقات مع بلاد فارس :

كان تجار مصر يفدون على أسواق آسيا الوسطى حاملين منتجات بلادهم فكانت بعض منسوجات الصعيد الصوفية تصدر إلى بلاد الفرس حيث عرفت هناك باسم " المصري "[5] وبلغت منسوجات دمياط شهرة

---

(١) كان عتاب ابن حفيد عميرة، وإليه ينسب هذا الحي، الذي اشتهر بصناعة هذا النوع من الثياب، وقد ترك الأفضل بن بدر الجمالي ستين ألف ثوب من هذا النوع. حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص٥٨٤، ص٥٨٦.

(٢) حسن إبراهيم حسن : نفس المصدر ص٥٨٤.

ومن الجدير بالذكر أن مصانع النسيج المصرية كانت تستورد هذه الأنواع من المنسوجات ثم تقوم بتقليدها، وربما بلغ إنتاج مصر من هذه المنسوجات ما يفوق النوع الأصلي، راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادي في عهد الفاطميين ص١٣٣،١٣٤.

(٣) كان في مصر بعض تجار العراق من اليهود، ومنهم يعقوب بن كلس الذي ولي الوزارة في عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي، وكان يهوديًا بغداديًا بدأ حياته في القاهرة وكيلاً للتجار .

عبدالعزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص١٥٥.

(٤) المقريزي : خطط جـ١، ص٤٥١.

(٥) جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص١٥٥.

كبيرة في بلاد فارس حتى أنهم أطلقوا على مدينة – كازرون – وهـــي أكبر مراكز إنتاج الكتان هناك اسم " دمياط الأعـــاجم "[1]. وليـــس أدل على وجود علاقات تجارية بين مصر وبلاد الشرق الإسلامي مما ذكره الرحالة المقدسى (٣٨٧هـ/٩٩٧م) عن مقابلته بعض التجار المصريين المقيمين في بخاري[2].

كان يرد إلى مصر من بـــلاد فـــارس الخـــز[3]، والمنســـوجات الحريرية التي تصنع منها العمائم، حيث كانت العمائم المصنوعة فـــي (بم) وهي بلدة في إقليم كرمان بفارس لها شهرتها ويرتفع سعرها فـــي مصر، كذلك كان لبلدة السوس بإقليم فارس شهرتها في إنتاج العمـــائم السوسية[4] وكان لبلدة جور (جنوبي فارس) شهرتها في إنتاج العطـــور من الورد الجوري (ماء الورد) والـــذي اســـتوردته مصـــر[5] كذلـــك الزعفران يجلب من بلاد فارس[6]، كما كان يجلب من إيران وخراســـان حجر البازهر وهو حجر غال من خواصه الوقاية من السم[7].

---

(١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص٤٣٣-٤٣٤، جمال سرور : تاريخ الحضارة الإســـلامية في الشرق ص١٣٦.

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص٢١٢، ليدن ١٩٦٧م.

وبخاري : من بلاد ما وراء النهر خلف نهر جيحون.

(٣) الخز : نسيج حرير مصنوع من سداه حريرية ولحمة صوفية، وهو نسيج مخملي مثل القطيفة، ويستعمل ملابس مدفئة وقت البرد.

جروهمان : أوراق البردي العربية في دار الكتب المصرية جـ٦، ص١٠٤.

(٤) جروهمان : أوراق البردي العربية جـ٦، ص١٠٤.

(٥) جروهمان : أوراق البردي العربية جـ٦، ص١٨١.

(٦) الزعفران : يستخدم في تجميل النساء، وصبغ المواد وتقوية الطعام.

عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ص١٠٤.

(٧) كانت الكؤوس تصنع منه للأمراء والملوك فيتغير لونها إذا كان بها شئ من السم.

زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص٤٥.

(د) العلاقات مع أقطار الشرق الأقصى(الهند والصين):

١ – مع الهند :

لا نستطيع القول بأن العلاقات التجارية مع الهند كانت علاقات مباشـــرة إذ أن طول المسافة وبعد الشقة يجعلان من الصعب تحقيق ذلك، إلا أن تجـــار الكارمية الذين اشتغلوا باحتكار تجارة الشرق الأقصى في التوابل ومـــا إليها حيث جعلوا من المحيط الهندي مركزا لهم ولنشاطهم التجاري[١].

وقد اتخذ تجار سلع الشرق قواعد لهم في مواني ســـاحل الـــهند العربي، وفي الخليج وعند مدخل البحر الأحمر الجنوبي، حيث كـــانت سفن الكارم تتردد على كثير من مواني ذلك الساحل[٢].

وقد أثبت المستشرق Goitein بعد دراسة وثائق الجنيزه[٣]، أن تجار الكارم كان لهم نشاط تجاري في عهد الفاطميين، واكد ما سبق أن أشار

---

(1) Goitein : New Lights on the beginning of the Karimi Merchants (Journal of the Royal Asitic society, V,I, 1958) P. 175

ومن المعروف أن طائفة تجار الكارم نشأت في المحيط الهندي، إلى أن تحولت إليـــها السيطرة التجارية في أسواق الهند وغيرها.

الشاطر بصيلي عبدالجليل : الكارمية ص٢١٧، مجلة الجمعية المصرية للدراســـات التاريخية العدد ١٣ سنة ١٩٦٧م.

(2) Geitein : from the Mediterrane an to india, Documents on the trade to india, south Arabia. P.120 (Speculum XXIX No. 2. Part I, April 1954)

(٣) وثائق الجنيزه : وثائق خطية، كانت قبل اكتشافها محفوظـــة فـــي معبـــد الفســطاط اليهودي، وفي جبانة البساتين القريبة من المعبد، وقد عرفت لعلماء الغرب في القرن التاسع عشر، ومعظم هذه الوثائق يرجع تاريخها إلـــى القرنيـــن الرابـــع والســـابع الهجريين، ويزيد عددها على ربع مليون وثيقة معظمها قطع من كتب عبرية، وقـــد كتب أغلب هذه الأوراق باللغة العربية بالحروف العبرية وهي تعكـــس لنـــا الحالـــة الاجتماعية والاقتصادية لبلدان البحر المتوسط والشرق في تلك الفترة.

وقد قسمت هذه الوثائق إلى مجموعتين أهمها مجموعة جواتيين المسماة بكتاب الـــهند وتختص بالحديث عن تجارة الهند في القرنين الخامس والســـادس الـــهجريين، وقـــد وضع جواتين مفتاحا لهذه الوثائق في كتابه.

Atentative bibliography of Genize Documents (Paris 1964).

إليه القلقشندي في حديث عابر عن نشاطهم في ذلك العهد[١].

وقد ورد ذكر كلمة "كارم" و "الكارم " في خطابات من الجنيزة ترجع إلي العهد الفاطمي، مما يدل دلالة واضحة على وجود هذه التجارة في ذلك العهد، حيث استخدمت هذه الكلمة بمعني السلع أو البضائع التي يتجر فيها أولئك التجار ونسبوا إليها[٢].

وليس أدل على اهتمام الفاطميين بتجارة الهند، ما قامت به من الاستفادة بخبرة أبناء قبيلة كتامة(الجزائريين) من بلاد المغرب، في التجارة، حيث جاءت أعداد كبيرة منهم سنة ٤٠٠ هأ/١٠٠٩م إلي مصر لتعمل في تجارة الهند[٣].

وكان الفلفل والبهار من أهم السلع التي حملتها السفن القادمة من الهند، حيث احتفظت بمكان الصدارة في تجارة الكارميه، وكانت اليمن وبخاصة عدن مركز تجارة الكارم ونقطة الانطلاق الرئيسية لهم في العصر الفاطمي. وكانت توابل الهند تصل إلى اليمن وتجمع في عدن حيث تصدر إلي عيذاب[٤].

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى جـ٣، ص٥٢٠.

(٢) من تلك الخطابات خطاب من " محروس اللبدي " نسبة إلى بلدة لبدة في ليبيا إلى أحد أبنائه الذي كان يعيش عند خاله في القاهرة في الوقت الذي كان مبحرًا من الهند في طريق عودته منها بعد أن قضى بها وقتًا طويلاً.

Goitein : New Lights on the beginning of the Karimi Merchants. P. 176 (Journal of the Royal Asaitic society, I, II. 1958.

(3) Gotein : Letters and Documents on the india trade in medieval times, P. 200 (islamic culture. London 1958).

(4) Fischl, The spice in Mamluk, Egypt p.p. 161 – 162 (Jesho. V.I. 1958).

وكان الحرير من السلع التي تصدر من الهند إلي مصر[١]، كما أن مصر في ذلك العصر لم تكن من الدول المنتجة للحديد، فعملت علي سد حاجتها من دول إنتاجه في الشرق الأقصى، ومن أشهر أنواعه السندي والسرنديبى (نسبة إلي سرنديب) والبيماني (البيلماني)، وكان الحديد الهندي من جودة الصنعة وأحكام السبك بحيث لا يوجد أمضى منه[٢]، كذلك كان يحمل من بلاد الهند النارجيل، ويسميه العرب الجوز الهندي[٣]. وكان يحمل من الهند الأفاوة الطبية والكافور والعنبر والقرنفل والصندل، كما حمل من سرنديب الجوهر الأحمر والأخضر والأصفر وكذلك اللؤلؤ[٤].

وكان للعرب جاليات تقيم بسواحل الهند وبعض مدنها،منذ القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) واستولت علي بلاد السند، وقد ساعدت هذه الجاليات على نشاط الحركة التجارية في بلاد الهند[٥]. ومن الجدير

---

(١) سلسلة التواريخ : ص٧٤-٧٥.

(٢) عبدالرحمن زكي: صناعة السيوف الإسلامية في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ص٧٥، مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد الخامس.

(٣) جورج فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ص٢٤٦-٢٤٧. وكان العرب يذهبون إلى الهند وجزرها حيث يبنون سفنهم فيها من شجر جوز الهند، ثم تشحن بخشب جوز الهند وثماره، ويؤتى به إلى عمان والخليج الفارسي

(٤) أبو زيد الحسن السيرافي : سلسلة التواريخ ص١٢٠، ص١٢٢، طبع رينو.

(٥) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٤٨. ومن الجدير بالذكر أن محمود بن سبكتكين الغزنوي (نسبة إلى غزنه) تمكن من فتح بلاد الهند أواخر القرن الرابع الهجري (أوائل الحادي عشر الميلادي) ووصلت جيوشه إلى "باران" في ولايات الهند الشمالية واتخذ لاهور عاصمة له سنة ٤١٦هـ/١٠٢٦م، الأمر الذي كان له أثره في ازدياد نشاط الحركة التجارية في بلاد الهند. جمال سرور : نفس المصدر ص٩٠-٩١-٩٢.

بالذكر أن تجار الكارمية قاموا بمجهود كبير في نشر الدعوة الإسماعيلية[١] في بلاد الهند منذ عهد المنتصر، حتى أن أهالي تلك البلاد لم يكونوا يفرقون بين الدعاة الإسماعيلية والتجار المصريين، وكانوا يطلقون علي الإسماعيلي منهم أسم "بوهرا" وهي كلمة معناها "تاجر البهار" في لغة أهل هذه البلاد[٢].

٢ - مع الصين :

كانت العلاقات التجارية بين الصين والعالم الاسلامي وثيقة وترجع إلي أيام أسرة طنج (٦١٨-٩٠٦م) [٣].

فقد كانت مصر تستورد الكثير من غلات الصين، حيث كان التجار العرب يحملون هذه البضائع إلي عدن أو جده[٤]. وكان بمدينة كانتون رجل مسلم، يسند إلية ملك الصين الحكم بين المسلمين طبقا

---

(١)اهتمت الحكومة الفاطمية بنشر الدعوة الفاطمية في بلاد الهند فكانت تبعث بالدعاة الإسماعيلية إليها من بلاد اليمن لقربها من هناك، ومن هؤلاء الدعاة مرزبان بن اسحق وابنه أحمد، وحمزة بن سبط حميد الدين. وكان ذلك في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص٦٢-٦٣.

(2) Lewis : B. The Fatimid and the route to india P. 43 (Revue de la Faculte des sciences Economic de L'unouniversits d'istanbul, VII, 1949 – 1950.

(٣) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص١٦٧.

(٤) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٣٨.

يذكر أبو زيد السيرافي أن السفن الصينية القادمة من سيراف كانت إذا وصلت جده أقامت بها ونقل فيها من الأمتعة التي تحمل إلى مصر في مراكب خاصة، كانت تسمى مراكب القلزم، لأن مراكب السيرافيين كانت لا تستطيع الملاحة في شمالي البحر الأحمر. سلسلة التواريخ، ص١٣٦-١٣٧، طبع رينو.

لأحكام الشريعة الإسلامية، فإذا كان يوم الجمعة حطب في المسلمين ودعا لسلطانهم[١].

وكان من أثر المصاهرة التي قامت بين ملك الصين ونصر بن أحمد الساماني[٢]. منذ أوائل القرن الرابع الهجري، أن فتح أمام تجار المسلمين الطريق إلي تجارة الصين[٣].

ومن البضائع التي كانت تحملها السفن من الصين الأوانيالخزفية.

والتي كانت تمتاز بالجودة وتعدد استخداماتها[٤]، كما حمل التجار من الصين أيضا النسائج الحريرية والديباج والقاشاني والشاي ومختلف المستحضرات الصيدلية[٥]، وكان التجار يحملون إلي الصين العاج

---

(١) سلسلة التواريخ : ص١٣، آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع جـ٢،ص٢٣٥، وفي بعض المصادر الصينية أن هذا النوع من الامتيازات الأجنبية امتد إلى الجاليات الأخرى في الصين، فكان لكل منها قاضيها ومساجدها وأسواقها.

Chau – Ju – Kua : chu 0\- fan – nchi – PP. 16-17.

(٢) حكم نصر بن أحمد الدولة السامانية منذ سنة ٣٠٢هـ/٩١٣م، وهي من الدويلات التي استقلت عن الدولة الإسلامية في الشرق وبدأت من سنة ٢٦١هـ إلى ٣٨٩هـ/٨٧٤-٩٩٩م في خراسان وما وراء النهر : جمال سرور : تاريخ الحضاة الإسلامية في الشرق ص٨١.

(٣) جمال سرور : نفس المصدر ص١٤٩.

(٤) كان الإناء يستخدم في الطبيخ مرة، ومقلي، وقصعة تارة أخرى، وقد خلفت الأميرة عبده بنت المعز لدين الله بعد وفاتها سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م أواني صيني كانت تستخدم للغسيل، كذلك كان للازيار الصيني شهرتها في مصر، وكان الإناء الصغير يوضع في الإناء الكبير اقتصاداً للمكان في السفينة.

الثعالب : لطائف المعارف ص٢٢١، المقريزي : خطط جـ١، ص٤١٥.

Chau – Ju – Kua : ohu – fan – ehi. P. 31.

، المقريزى : خطط جـ١ ص٤١٥ .

(٥) الثعالبى : لطائف المعارف ص٢٢١، المقريزي : خطط جـ١، ص٤١٥.

Chau – Ju – Kua : ohu – fan – ehi. P. 31.

والكافور والياقوت[١]. والمرجان والمنسوجات الصوفية[٢].

ومن استعراضا لمراحل التجارة الإسلامية الصينية، نستطيع أن نقول أنه كان بين تجار المسلمين اللذين وفدوا إلي الصين تجار من مصر. وليس أدل علي ذلك مما أورده أبو حامد الأندلسي عن أحد التجار اللذين قابلهم في مصر سنة ٥١٢ هـ/١١١٨م، وكان ممن أقام بأرض الصين أربعين سنة، وقد أهدي الوزير الأفضل بن بدر الجمالي قطعة عود هندي وزنها خمسون منا، كما اهدي من قصاع الصين وأوانيها ما يشبه الياقوت حسنا من الجنس المخرم[٣]. وأحضر من ورق الصين أنواعا زرق وحمرا عليها تصاوير (الصين) ذهب أحسن من الديباج الرومي[٤].

ولم يكن هذا التاجر ألا واحدا من كثيرين من أهل مصر، تاجروا مع الهند والصين فقد أورد Chau-ju-kua مفتش الجمارك الصيني في مدينة كانتون معلومات لا تنطبق إلا علي مصر، حيث تحدث عن بلاد "تعيش على الخبز واللحم" ولا يأكلون الأرز، وإذا نزل المطر أتلفا الزرع. وتوجد بهذه البلاد مدينة يري المترجم أنها القاهرة وتقع علي شاطئ النيل، كما تحدث عن مدينة الإسكندرية[٥].

---

(١) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص٥٥٥، ترجمة : عادل زعتر.

(٢) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٤٧. وكان الزمرد يهرب إلى بلاد الصين، حيث كان التجار يخفونه في بطانة ملابسهم، وفي مقابض مظلاتهم، ليتخلصوا من دفع الرسوم اللازمة.

Chau – Ju – Kua : PP. 229-230.

(٣) جوستا فلوبون : حضارة العرب ص٥٥٥.

(٤) أبو حامد الأندلسي : تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ص١٠٦، ص١٠٨.

(5)Chau – Ju – Kua : PP. 124-126.

والمترجمان همافردريك هيريث، ورد كهل حيث نقلا هذا الكتاب من اللغة الصينية إلى اللغة الإنجليزية، مستعينين في ذلك بما أورده سليمان التاجر وأبوزيد الحسن السيرافي والذي جمعه رينو Reinaud في كتاب سلسلة التواريخ.

ولا شك أن ورود هذه المعلومات لرجل من موظفي حكومة الصين لها أهميتها، فليس هناك من شك أنه كتبها أو نقلها من تجار مصريين، أما من المقيمين في كانتون بصفة دائمة أو من المترددين عليها بين حين وأخر لحمل منتجات بلاد الصين.

(هـ) العلاقات التجارية مع بلاد النوبة والحبشة:

كانت العلاقات بين مصر وبلاد النوبة ودية إلي حد كبير. فكان ملوك النوبة يرسلون الهدايا إلي الخلفاء الفاطميين، ويعقدون معهم المعاهدات[١]. وذهب بعض الباحثين إلي تجارة مصر والنوبة لم تكن بأيدي المصريين، وإنما كان تجار النوبة هم اللذين يأتون في النيل حتى منطقة الجنادل (الشلال الأول)، ثم ينقلون بضائعهم علي ظهور الجمال إلي أسوان[٢]، كما غالي البعض بقوله أن المصريين نادرا ما يتوجهون إلي بلاد النوبة بهدف التجارة[٣].

ويبدو أن هؤلاء الباحثين قد جانبهما الصواب، فكثيرا ما تردد التجار المصريون إلي بلاد النوبة لجلب السلع والبضائع من هناك، يؤيد ذلك ما رآه الرحالة الفارسي ناصر خسرو حيث شاهد بنفسه تجار أسوان يذهبون إلي بلاد النوبة ومعهم الخرز والأمشاط والمرجان ويحلبون الرقيق[٤].

على أن دور النوبة لم يكن مقصورا على جلب سلع بلادهم إلى مصر، بل قاموا بدور الوساطة التجارية بين مصر والحبشة. حيث يبيع

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦١٤.
(٢) سيدة إسماعيل كاشف : مصر في عهد الأخشيديين ص٢٨٠، القاهرة ١٩٥٨م.
(٣) آدم منز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع جـ٢ ص ٣٤١ .
(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص٤١ .

تجار الحبشة بضائعهم لتجار النوبة الذين يعملون على نقلها إلى أسـواق أسوان، ومنها تصدر إلى البلاد المصرية[1].

أما عن العلاقات مع الحبشة فإن الروابط الدينيـة بيـن الكنيسـة المصرية والحبشة المسيحية، استدعت تبادل الوفود والسـفارات. ممـا ساعد على نمو العلاقات التجارية بين القطرين، فقـد أرسـل الخليفـة المستنصر بالله البطريرك ميخائيل الحبيس عقب تولية البطريركية بهدية سنية إلى ملك الحبشة سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م[2]، مما يدل على وجـود علاقات ودية بين الطرفين.

وكانت مراكب الحبشة تأتي إلى عيذاب محملة بالبضـائع حيـث تؤخذ عليها المكوس[3] واستوردت مصر من الحبشة الجلود[4]، وأنـواع الخشب النفيس والعاج[5]، والتبر والماس وذلك في مقابل المصنوعـات اليدوية المصرية[6].

---

(1) Wict (Gaston): Memoire sur L'Egypt. P. 80.

محمود علي الحويري : أسـوان فـي العصـور الوسـطى ص٨٨-٨٩، رسـالة ماجستير - جامعة القاهرة.

(٢) ويروي المقريزي:الخطط جـ٢، ص٤٩٦، أن ملك الحبشة سأل البطريرك عن سـبب قدومه فعرفه نقص النيل في مصر وضرر أهلها بسبب ذلك، فأمر الملك في الحـال بفتح سد يجري منه الماء إلى أرض مصر ففتح وزاد النيل في ليلة واحدة ثلاثة أذرع.

(٣) ناصر خسرو : سفر نامة ص٦٠.

(٤) نفس المصدر : ص٧٢.

(٥) كان العاج الذي يرد من الحبشة، من النوع الممتاز، فضلا عن وفرته.

Heyd : Histoire du commerce, Tom, II, P. 629.

(٦) سليمان مصطفى زبيس : المامة عن أحوال القاهرة الاقتصادية وعلاقاتها مع الخـارج في عهد الفاطميين، ص٥٩٧، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة.

٤ - الواردات والصادرات

أولاً : الصادرات :

أما عن الصادرات، فإنه نظرًا لطبيعة مصر الزراعية، كانت تصدر ما يفيض عن حاجتها من القمح، فقد كان يحمل من الإسكندرية ودمياط وتنيس إلى عسقلان وصور مائة وعشرين ألف إردب من الغلال[١]، فضلاً عما كان يحمل إلى بلاد الحجاز[٢].

أما الكتان المصري فلم يكن له مثيل في العالم، وكانت أكبر البلاد المستوردة له تونس وصقلية[٣]. وقد تعددت أنواع الكتان في أسواق مصر، وكان أهمها النوع الفيومي، وكان متوسط سعر القنطار ربع دينار، وفي نهاية القرن الرابع وبداية الخامس الهجري، ارتفع سعر الكتان، وبيع القنطار منه بأربع دنانير ونصف[٤].

وكانت بعض المنسوجات التي تصنع في دبيق ودمياط وتنيس تصدر إلى الأقطار الإسلامية والأوربية. فقد كان يحمل من إنتاج تنيس إلى العراق حتى سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م ما قيمته عشرين ألف دينار سنويًا[٥]، كذلك كان إنتاج تنيس مطلوبًا في بلاد الدولة البيزنطية[٦].

---

(١) المقريزي : خطط جـ١، ص٤٦٥.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص١٩٥.

(3) Goitein : Amediterrane an society P. 226.

ويبدو أن صقلية كانت تستورد خام الكتان ثم تعيد تصديره مصنوعًا مرة أخرى إلى مصر أوانها تستخدم ما تستورده للاستهلاك المحلي، وتصدر إنتاجها من الكتان الفاخر.

(4) Goitein : opt cit. P. 226.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ص١٥٢-١٥٣، ليدن ١٩٦٧م.

(٦) ناصر خسرو : سفر نامة ص٣٨.

وكان إنتاج دبيق من الجودة حتى أن الحلة منها كان يصل ثمنها في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) إلى خمسمائة دينار[١] كما كانت منسوجات شطا ودمياط لها سوقها حيث كان الثوب من إنتاجها يبلغ في أسواق مصر بمبلغ ٣٠٠ درهم أي بعشرين دينارًا[٢].

وكانت الحكومة الفاطمية تحتكر الشب والنطرون، وتبيعه لتجار الروم في الإسكندرية لاستخدامه في الصباغة[٣]. وكان الفائض عن حاجة الروم يباع بسبعين درهمًا للقنطار[٤].

ثانيًا : الواردات :

كانت التوابل والعطور من أهم واردات مصر. وكان يرد إلى مصر في العصر الفاطمي كميات كبيرة من التوابل، من ساحل ملبار وجزر الهند الشرقية وشبه جزيرة الملايو، وبلغ من كثرتها أنها كانت تترك في أسواق عيذاب بدون حراسة[٥].

وكان الفلفل يرد إلى ثغر عيذاب، ولم تكن هناك ضوابط لسعره، فأحيانًا يرتفع ارتفاعًا كبيرًا وأحيانًا ينخفض انخفاضًا مفاجئًا في وقت متقارب، وكان ارتفاع أسعار الفلفل في أسواق مصر يرجع لعاملين : أولهما قلة الكمية المجلوبة منه. وثانيهما مدى حاجة تجار المغرب إلى هذه السلعة. وقد تراوح سعر قنطار الفلفل في المتوسط ما بين عشرة

---

(1) Ashtore (Eliyahu) : Le cout de la vie dans I' Egypt Medieale. P. 62 (Journal of the Economic and social Hist of the orient. V, III, part, I, 1960)

(2) opt cit . P. 147.

(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٣٢٨ طبعة عزيز سوريال عطية.

(٤) نفس المصدر : ص٣٣٤.

(٥) ابن جبير : رحلته ص٤٠، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦١٥.

وخمسة وعشرين دينار. وكان سعر الحملة [١]. يتراوح ما بين خمسين ومائة وخمسة وعشرين ديناراً. خلال القرنين الخامس والسادس الهجري (الحادي والثاني عشر الميلاديين) [٢].

وفي فترة الحروب الصليبية ارتفع سعر القنطار إلى خمسة وعشرين دينار لقلة الكمية المجلوبة منه[٣]. ووصل سعر القنطار من الفلفل الأبيض في النصف الأول من القرن الخامس الهجري إلى مائة وخمسة دنانير، وهو سعر يزيد أكثر من الضعف بالنسبة للفلفل الأسود[٤].

أما الدارصيني (القرفة) فكان سعرها يصل إلى سعر الفلفل أو يزيد قلقلاً حيث كانت تجارتها مربحة، وبلغ ثمن القنطار منها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري اثنى عشر ديناراً ونصف، وبيع الرطل منها في السوق بمبلغ خمسة دنانير وربع دينار[٥].

---

(١) الحملة : تساوي ثلثمائة رطل مصري. ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٢٦٥.

(2) Ashtor (Eliyahu) : Histoire des prix des salaires dans l'orient Medievale. P.139 (Paris 1969).

وكانت أهمية الفلفل بالنسبة للغرب كبيرة، حيث كان القحط أو كثرة الجليد تؤدي إلى عدم توافر الغذاء للأعداد الكبيرة من الأغنام والماشية فيضطرون إلى ذبح الكثير منها. وكانوا يلجئون إلى حفظ لحومها من الفساد باستخدام الفلفل والبهار.

(3) Ashtor : Materiaux pour l'Histoire des prix dans l''Egypte Medievale. P. 161 (Jesho, V, IV, 1963)

(4) ibid.

والفلفل الأبيض يدخل في الأدوية ولا يدخل في الأغذية. الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ص٢٢.

(5)Ashtor : Histoire des prix. P. 164.

وكانت مصر تستورد المسك من جزر الـــهند الشـــرقية وبـــلاد الملايو[١]. ووصل سعر الزجاجة منه في النصف الثاني مــــن القـــرن الخامس الهجري ٥,٣ ديناراً[٢].

وأستورد الكافور من ساحل زنجبار[٣]، وبيع المد منـــه بثمانيـــة دنانير[٤]. وأجوده ما حلا ذوقه وعذب ريحه فلم تظهر فيه نفطية[٥].

أما العود فكان يجلب من جزر الهند الشرقية وبـــلاد الملايـــو[٦]، وبيع الرطل منه بمبلغ ٥,٢٨ درهم[٧]. وجلب العنبر أيضًا مـــن جـــزر الهند الشرقية وبخاصة من جزيرة جاوة[٨]. وأجود ما جلب من شـــحر عمان، ثم المغربي، وأحسنه المند[٩]. أما اللبان فأستوردته مصـــر مـــن شحر عمان[١٠]، ومن سومطرة استوردت اللبان الجـــاوي[١١]. وكـــان متوسط سعر القنطار ستة عشر ديناراً، ووصل أعلى سعر لـــه اثنيـــن

---

(١) حسن إبراهيم حسن : الدول الفاطمية ص٦١٦، وأعظم مواطنة بلاد التبت، ويفـــوق غيره من المسوك جودة وثمنًا. ابن حوقل : المسالك والممالك ص٣٢٧، ص٣٣٧.

(2) Ashtor : Hist des prix P. 164.

(٣) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص٦١٦و

(4) Ashtor : opt cit PP. 140, 179.

والمن = ٨١٢,٥ جرام.

(٥) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ص١٩.

(٦) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص٦١٦، وجلب من سوقطري أجود أنواعه.
He yd : Histoire du commerce, T, II, P. 561.

(7) Ashtor : Hist des prix P. 141.

(٨) انظر ما كتبه الجاحظ في التبصرة بالتجارة ص١٦، ص٢٥ في بـــاب فـــي معرفـــة الطيب، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص٦١٦.

(٩) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ص١٩.

(١٠) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(11) Heyd : opt cit, Tom, II, P. 580.

وثلاثين ديناراً، وذلك في النصف الأول من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) (١) أما خشب الصندل فقد تراوح سعر المن منه ما بين ثلاثين وأربيعين ديناراً(٢).

وكانت مصر تستورد الحرير من الهند والصين، فضلاً عما كان يرد إليها من جزيرة صقلية وبلاد الأندلس (شبة جزيرة آيبيريا). وكان لتجارة الحرير نظام خاص، فتجار الغرب كانوا يدفعون لتجار الشرق (من المصريين) ثمن السلعة حريرًا بدلاً من الذهب وبلغ رطل الحرير في الثلاثينات من القرنين الخامس والسادس الهجريين دينارين، وكان سعر رطل الحرير المغربي في أسواق مصر ديناراً ونصف، والحرير الصقلي دينارين ونصف في منتصف القرن الخامس الهجري، ولهذا كانت الأرباح الناتجة من تجارة الحرير أقل منها في تجارة الفلفل، ويرجع ذلك إلى قلة الكمية المصدرة منه، وكثرة عدد المشتغلين بتجارته(٣)..

أما الجواهر والأحجار الكريمة. فقد عظم الإقبال على التحلي والتزين بها في العصر الفاطمي، ولذا كانت تجارته رابحة في العصور الوسطى. ففي القرن الخامس الهجري كان سعر الدرهم من اللؤلؤ يساوي ٤٠,٧ دينار(٤). كذلك بلغ رطل المرجان سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م

---

(1) Ashtor : Histoire des prix. P. 174.

وكان اللبان وخشب الصندل يستخدمان في البخور.

(2) opt cit : P. 164.

والمن يساوي مائتان وستون درهما. أي ما يساوي ٨/١٢ ٣١، أوقية بالمصري.

ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٤٥٥.

(3) Goitein : A Mediterranean society. P.P. 222-23-24.

(4) Ashtor : Le cout de La vie dans L 'Egypte Medivale P. 221, (Journal of the Economic and social History of thr arient, V, III, part, I, 1960)

وخير أنواعه العماني المستوى الجسد، الشديد التدحرج والاستواء.

الجاحظ التبصرة بالتجارة ص١٢.

حوالي دينار ونصف[١]. أما اللؤلؤ كان النفيس منه بسرنديب وكيش وعمان والبحرين وأفخره ما يوجد ببحر القلزم[٢]. وكان الياقوت من الأحجار المشعة، ومن خواصه أنه إذا خرج من النار برد بسرعة[٣]، وكان الفص الحسن الشكل السالم من الثقوب والتشعير والعيوب، أحمر قاني اللون رطبًا، يساوي وزن المثقال منه أربعمائة دينار، ونصف المثقال يساوي خمسين دينارًا، وثلث المثقال خمسة عشر دينارًا وربع المثقال ست دنانير[٤]، كما جلب الماس من جزيرة سيلان وساحل أفريقيا الجنوبي الشرقي[٥].

وكانت مصر تستورد الأخشاب، وخاصة خشب الساج لصنع المحاريب والأبواب للمساجد والقصور من شبة جزيرة الملايو[٦]. وكان

---

(1) Ashtor : opt cit P. 221.

وكان المرجان يجمع من تونس وبعض شواطئ أوربا ثم يرسل إلى مصر ليصدر منها إلى بلاد الشرق المختلفة، وقد وردت في إحدى رسائل الجنيزة شكوى لتاجر من الإسكندرية بسبب تأخر وصول المرجان من بلاد الروم والغرب إلى مصر.

Goitein : A mediterranean socity of the High middle ages. P. 47.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى جـ٢، ص٩٥-٩٦.

(٣) نفس المصدر : جـ٢، ص٩٨.

(٤) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ص١٤.

ويعتبر السغير Sapphire (الياقوت الأزرق) من الجواهر التي تزين بها الملوك أصابعهم سونيًا. ي. هاو : في طلب التوابل ص١٨، مكتبة النهضة ١٩٥٧.

(٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦١٥.

كان زمرد مصر له شهرة كبيرة في بلاد الهند والصين، ومن أصنافه الذبابي والريحاني والسلقي والصابوني. سلسلة التواريخ ص١٤٧ طبع رينو، التيفاشي: أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ص١٥ (فرنسا ١٨١٨م).

(٦) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص٢٦١.

المتجر الحكومي يشتري لحسابه الخشب والحديد والرصاص والمعادن التي ترد إلى الديار المصرية، ويقوم المتجر ببيعه للتجار مقابل ربح بسيط، وعند حاجة الدولة لأي من هذه المواد، سواء لبناء المراكب أو لعمارة الحصون وخزائن السلاح، كانت تشتريها بأسعار عالية تصل أحياناً إلى الضعف من نفس التجار الذين اشتروها من المتجر، فيتحقق لهم من وراء ذلك أرباحًا طائلة من الحكومة[١].

أما عن المواد الغذائية. فلم تكن سفن التجار الأوربيين تصل إلى مواني مصر خالية، ولكنها كانت تحمل معها منتجات أوربا التي اشتهرت بها. وكان لها أسواقها، وكان الجبن أكثر ما تطرحه السفن فقد كانت مصر تستورد من الجبن كميات كبيرة من بلاد أوربا ومن صقلية وكريت وبلاد الروم[٢]. كما حمل البنادقة في سفنهم اللحوم والأسماك المجففة[٣]. أما اللوز والفستق فكان الفاطميون يحصلون عليه من مواطنه كالهند والشام والمغرب[٤]. وكذلك كان يرد من الشام مقادير كبيرة من الفواكه التي تنمو هناك، كما كان التمر هندي يجلب من جزر الهند الشرقية[٥].

---

(١) النابلسي : لمع القوانين المضية ص٤٥-٤٦، نشر كلوركاهن دمشق ١٩٦١م.

(2) Goitein : A mediterranean society. P. 46.

(٣) شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية ص٣٥.

(٤) ذكر البكري : المغرب ص٤٧، أن قفصه أكثر بلاد القيروان فستقًا ومنها يحمل إلى مصر.

(٥) بوركهارت : رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان ص٢٢٦. ترجمة فؤاد اندراوس، القاهرة ١٩٥٩م.

٥ – المنشآت والمرافق التجارية
(القايسر – الفنادق – الخانات – الوكالات)

كان من أثر نشاط الحركة التجارية في مصر أن عملت الحكومة الفاطمية على تهيئة السبل أمام التجار، حتى يستطيعوا مزاولة أعمالهم بسهولة ويسر. ولذا فقد أقيمت لهم منشآت تجارية تخدم نشاطهم. منها القياسر والفنادق والخانات والوكالات.

القياسر[١] :

كانت القيسارية مجموعة من المباني العامة، بها حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن وكان في بعض القياسر مساجد لتجار المسلمين، ويعلوها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر[٢].

وكانت القيسارية تعرف باسم منشئها، كقيسارية ابن ميسر، أو باسم ما يباع فيها كقيسارية العصفر أو قيسارية العنبر[٣]. ومن القياسر التي ترجع إلى العصر الفاطمي بالفسطاط.

قيسارية المحلى[٤]. وكانت سكن الصوافين (تجار الصوف) بسوقي الغرابليين والعطارين، وكانت تشتمل على ستة أبواب، وكان

---

(١) قيسارية : بمعنى سوق، واصل الكلمة بالرومية Caesaria وهي بناية محكمة تخزن فيها البضائع والنفائس الأجنبية : ابن مماتي : قوانين الدواوين ص٤٥٧.

لويس برنارد : النقابات الإسلامية ص٦٩٦، مجلة الرسالة العدد ٣٥٥ القاهرة ١٩٤٠م، ترجمة : عبدالعزيز الدوري.

(٢) المقريزي : خطط جـ٢، ص٨٧، ص٨٩، جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٦٠-١٦١.

(٣) المقريزي : خطط جـ٢، ص٨٦، ص٩١.

(٤) نفس المصدر : جـ٢، ص٨٦.

يباع فيها سائر أنواع الصوف والخيش وغيره، يبتاعه تجار القاهرة في أيام أسواق مصر (اليومية والاسبوعية) [١].

قيسارية ابن ميسر الكبرى : بسوق وردان بالفسطاط[٢]، أدركها المقريزي وهي عامرة يباع فيها القماش الجيد من الكتان الأبيض والأزرق والطرح، ويمضي إليها تجار القاهرة يومي الأحد والأربعاء لشراء تلك الأصناف[٣].

قيسارية ابن ميسر الصغرى : وكانت بسوق القشاشين بالفسطاط، وكان يباع بها الصناديق وماشاكلها، وكان بها جماعة من أعيان التجار[٤].

قيسارية ابن أبي أسامة : وكانت على يسار السالك إلى بين القصرين، وقفها الشيخ أبو الحسن علي، صاحب ديوان الإنشاء في أيام الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م[٥].

قيسارية ابن يحيى : وكانت تجاه باب قيسارية جهاركس، أنشأها القاضي هبة الله ابن يحيى التميمي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٦م[٦] هذا إلى جانب قيسارية العصفر[٧]، وقيسارية الشرب[٨].

---

(١) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٤، ص٣٧-٣٨.

(٢) نفس المصدر : جـ٤، ص٣٨.

(٣) المقريزي : خطط جـ٢، ص٩١، وكان لها خمسة أبواب.

(٤) ابن دقماق : الانتصار جـ٤، ص٣٩.

(٥) المقريزي : خطط جـ٢، ص٨٥-٨٦.

(٦) نفس المصدر : جـ٢، ص٩٠.

(٧) نفس المصدر : جـ٢، ص٨٩، عرفت بذلك من أجل أن العصفر كان يدق بها.

(٨) نفس المصدر : جـ٢، ص٨٦.

الفندق[١] :

وهو بناء ضخم مربع على شكل الحصن، يتألف من عدة طوابق، وفي الدور الأرضي توجد المخازن والحوانيت التي تطل على فناء داخلي فسيح يسمح بتعبئة البضائع وتفريغها، بينما تضم أدواره العليا مساكن التجار، الذين كانوا ينامون فيها، ويغلقون غرفهم، بإقفال رومية[٢].

تميزت الإسكندرية بوجود فنادق للتجار الأجانب الذين يقيمون في مصر، وكان لكل طائفة منهم فنق واحد[٣]، فيما عدا طائفة البنادقة التي كان لها فندقان[٤].

ويحتوي الفندق عادة على كنيسة صغيرة، يقيم فيها التجار شعائرهم الدينية، كما كان به فرن لصناعة خبزهم وقاعة خاصة يصرح لهم فها بشرب النبيذ. وكانوا عادة يختارون أحد أفراد الجالية للإشراف على تنظيم الإقامة في الفندق ويمثلهم أمام السلطات الحاكمة، ويطلق على هذا الشخص اسم الفندقي[٥].

---

(١) الفندق : كلمة من أصل يوناني Pandokeion وتقابلها في الإيطالية Fondace وكان الفندق في بيزنطة يعرف باسم Mitata : آدم متز : الحضارة الإسلامية جـ٢، ص١٠٥.

جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي جـ١، ص١٠٥.

(٢) أدم متز : الحضارة الإسلامية جـ٢، ص٣٢٧،

Hryd : Hist du commerce. Tom, II, PP. 430 – 431.

(٣) كلودكاهن : تجارة القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين ص٨٧٢.

من أبحاث النوة الدولية لتاريخ القاهرة، القاهرة ١٩٧١م.

(٤) شارل ديل : البندقية جمهورية أرستقراطية ص٥٩.

(٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٦٠.

ولم يكن للأجانب حق ملكية الفنادق، فهي أبنية مصرية، وضعت تحت تصرفهم تسهيلاً لإقامة تجارهم في البلاد وقيامهم بالصفقات التجارية[١].

لم يقتصر وجود الفنادق على المواني فحسب، بل انتشرت داخل البلاد. ومن الفنادق التي ذكرها المقريزي[٢]، فندق بلال المغيثي : حيث تباع صناديق الذهب والفضة، وفندق الصالح، وفندق ابن قريش، وفندق دار التفاح، حيث ترد إليه الفواكه التي تنبت في بساتين ضواحي القاهرة، وتنقل منه إلى سائر أسواق القاهرة. ويروى ابن جبير[٣] انه نزل في فندق أبى الثناء في زقاق القناديل بالقرب من جامع عمر بن العاص. وكان بالفسطاط حي يقيم به تجار الروم[٤]، عدا الفنادق القديمة التي كانت بها قبل العصر الفاطمي مثل فندق حوى بن حوى بعقبة النجارين، وفندق ابن حرمة بأول سوق العداسين[٥] وفندق الدبابليين، الذي تحول بعد العصر الفاطمي إلى قيسارية عرفت بقيسارية الصنادقية[٦].

---

(1) Heyd : Hist du commerce. Tom, II, P. 431.

(٢) المقريزي : خطط جـ٢ ، ص ٩٢ ، ص ٩٤ ، وذكر ابن دقماق أنه كان بالفسطاط ستة عشر فندقًا لبيع أصناف الفواكه والتجارة والمصنوعات : الانتصار جـ٤، ص٤٠-٤١.

(٣) ابن جبير : رحلته ص١٣، تحقيق : حسين نصار.

(4) Heyd : opt cit : Tome, I, P. 58.

كذلك خصصت الحكومة الفاطمية حيًا خاصًا للأوربيين على مقربة من باب النصر يقيم فيه تجارهم عند ما يفدون إلى مصر.

أحمد دراج : الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوربية ص١٢١، من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة الجزء الأول مارس – إبريل القاهرة ١٩٦٩م.

(٥) ابن دقماق : الانتصار جـ٤، ص٤٠.

(٦) المقريزي : خطط جـ١، ٣٧٣.

وكان بقوص فندق ينسب لابن العجمي، كذلك كان بعيذاب فنــدق. وقد نزل فيهما ابن جبير وهو في طريقه إلى الحج[١]، كما كانت هنــاك فنادق بمحلة صرد[٢] والبجوم[٣] والكريون[٤].

وكان التاجر يدفع نظير الإقامة في الفندق درهمًــا عــن الليلــة الواحدة[٥]. فلم تكن الفنادق مستغلة للتجار، بل هي في خدمتهم، والدليـل على ذلك أن دخل الفندق الكبير في العاصمة القاهرة، أيام الفاطميين، لم يصل إلى أكثر من مائة دينار في الشهر[٦].

ولا شك في أن أعداد الفنادق قد تزايدت في العصر الفاطمي، بسـبب نشاط حركة التجارة وإقبال التجار الأجانب على ارتياد أسواق مصر.

الخــــان :

والخان عبارة عن مبنى ضخم يحتوي على مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة، ويتوسط الخان فناء كبير على هيئة رواق مغطـــى، حيث يحفظ التجار بضائعهم. وفيه يجد التجار المأوى لــــهم ولدوابـــهم خلال رحلتهم[٧].

---

(١) ابن جبير : رحلته ص٣٧، ص٤٢.

(٢) محلة صرد : من أعمال الغربية.

(٣) البجوم : من البلاد المندرسة وكانت بالقرب من ادكو.

(٤) ابن حوقل : المسالك ص٨٩-٩٠-٩١.

والكريون : مركز كفر الدوار

(5) Ashtor : Histoire des prix. P. 224.

(6) opt cit : P. 88.

(٧) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة جـ١، ص٣٧ (١٣٢٢هـ).

عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ الفتح الإسلامي، حتــى سـقوط الخلافة العباسية، رسالة دكتوراه – جامعة القاهرة ص ١٨٦ .

وقد كثرت الخانات بمصر في العصر الفاطمي[١]، وكانت عبـــارة عن دور كبير المساحة بها حجرات كثيرة، وتسع الدار الواحدة ثلاثمائـة وخمسين شخصًا[٢]، ومن أهم الخانات التي ترجع إلى العصر الفاطمي، خان مسرور حيث كانت تباع مهمات الأساطيل، وخان السبيل لإيـــواء أبناء السبيل والمسافرين بغير أجر، وخان الخليلى[٣].

الوكلات :

وتشبه الوكالة الفندق في نظامها، بل كان يطلق عليها أحيانًا اســـم الفندق، وكان الاختلاف الوحيد بينها وبين الفندق، أن الوكالة مقصـــورة على نزول التجار القادمين من بلاد الشرق الإسلامي[٤].

وكان يعلو الوكالات رباع تشتمل على بيوت كبـــيرة[٥]. اتخذهـــا تجار الشرق سكنًا لهم ومكانًا لحفظ أموالهم وودائعهم، وتتم فـــي هـــذه الوكالات عمليات البيع والشراء بالجملة والتجزئة، وتوزيع ما يرد إليـــها على الأسواق، كما كانت تتم فيها الأعمال المصرفية[٦].

لم يكن إنشاء الوكـــالات مقصـــوراً علـــى الحكومـــة، بـــل أن تجار المسلمين كانوا أحيانًا يقيمون وكـــالات خاصـــة بـــهم. وكـــانت هذه الوكالات بمثابـــة مخـــازن لبضائعـــهم، ومنـــازل يـــنزلون بـــها،

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٦٢٠.

(٢) ناصر خسرو : سفر نامة ص٥٨، ص٦٣، وقد بلغ إيجار أحدها في الفسطاط اثنـــى عشر الف دينار في العام.

(٣) المقريزي : خطط جـ٢، ص٩٢-٩٣-٩٤.

(٤) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص١٦٠.

(٥)المقريزي : خطط جـ٢، ص٩٢.

(6) Goitein : Amedterranean society. P. 346

عندما يقيمون بمصر، وكذلك فعل تجـــار مصـــر فـــي بـــلاد الشـــام والعراق والحجـــاز(١).

ومن هذه الوكالات التي ترجع إلى العصـــر الفـــاطمي. وكالـــة الحراني، التي أنشئت في الفسطاط في القرن الخامس الهجري (الحـــادي عشر الميلادي) (٢) والوكالة الآمرية، التي أنشأها المأمون البطـــائحي، وزير الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م في القاهرة للتجار الوافدين من العراق والشام(٣)، وكذلك وكالة ابن ميسر التي أنشأها ســـنة ٥٣١هـ/١١٣٧م(٤).

ولم يقتصر إنشاء الوكالات على المدن الكـــبرى مثـــل القـــاهرة والفسطاط والإسكندرية، بل كانت منتشرة أيضـــا فـــي بعـــض المـــدن الصغيرة(٥).

وكان صاحب الوكالة أو المشرف عليها يسمى وكيل التجـــار أو شيخ التجار(٦)، وكان يسكن بالقرب من الوكالة، ولهذا الوكيـــل أهميـــة

---

(١) ابن ميسر : أخبار مصر ص٦٢.

(2) Goitein : opt cit 192.

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ص٦٢.

(٤) ابن ميسر : ص٨٠.

(5) Goitein : Amediterranean society PP. 189-190.

(6) Goitein : opt cit. P. 343.

تشير وثائق الجيزة إلى ابن ذكرى كوهين شيخ التجار اليهود بالقاهرة، عـــاش فـــي الربع الأول من القرن السادس الهجري.

Goitein : New Lights on the beginning of the Karimi merchants. P. 176. (J.R.A.S., I, II, 1958).

كبرى بالنسبة لتجار الشرق، وخاصة في فترة غيابهم عن البلاد، فهو يسهل استلام بضائعهم، وإجراءات نقلها وتخزينها، لحين عودة هؤلاء التجار إلى البلاد، كما كان التجار يودعون لديه ما يخشون عليه من أموالهم وودائعهم، وكان لديه قوائم بأسماء كبار التجار، وقوائم بأسعار التوابل والسلع المختلفة في الأسواق[١] وكانت له نسبة محددة يتقاضاها عن البضاعة التي تخزن في وكالته[٢].

---

(1) Goitein : Amediterranean society, P. 188.

(2) opt cit. P. 191.

كما كان يتقاضى عمولة عن الصفقات التي يعقدها أثناء غياب هؤلاء التجار أيضاً، وكانت تصل إلى ٢%.

الفصل الرابع

المكوس والضرائب والمعاملات المالية

١ - المكوس والضرائب.

٢ - الموازين والمكاييل والمقاييس.

٣ - دور الضرب والعملة.

٤ - الصكوك والسفاتج.

الفصل الرابع

المكوس والضرائب والمعاملات المالية

١ - المكوس والضرائب

كانت المكوس[١]. وهي الرسوم المفروضة على التجارة الداخلية والخارجية وعلى الصناعة[٢] من وضع أحمد بن المدبر الذي ولي خراج مصر بعد سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م. وقد سبق الفاطميين في فرض هذه المكوس. فقرر على الكلأ الذي ترعاه البهائم مالاً سماه المراعي كما قرر مالاً على ما يستخرج من البحر سماه المصائد. وعرفت هذه الأموال بالمرافق والمعادن[٣]. فلما ولي أحمد ابن طولون أبطل هذه المظالم، ثم أحياها الفاطميون وأصبحت تعرف بالمكوس[٤].

---

(١) المكوس : مفردها مكس وهي الضرائب التي فرضها الولاة في العصور المختلفة خارجًا عن العشر والزكاة والجزية وجزية أهل الذمة. وأصل كلمة مكس آرامي استعملها اليهود بمعنى واجبات، دفع، ضرائب. وعرف المقريزي كلمة مكس بأنه دراهم تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية، وأن أصل المكس في اللغة الجباية، أما كلمة المقس فإنه اسم قرية على ساحل النيل شمال القاهرة، وكانت تعرف بأم دنين، وسميت المقس لأن الماكس كان يقعد بها ليستخرج المكس.
Cahen (claude) Dunees et commerce dans Les portes mediternaneed de I'Egypt. P. 217.)Arabica 7. 1967).
المقريزي : خطط جـ٢، ص١٢١، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص٥٣.

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص٥٥٠.

(٣) المقريزي : خطط جـ٢، ص١٠٣، الكندي : فضائل مصر ص٥٣.

(٤) المقريزي : خطط جـ١، ص١٧٣.

وقد وجد الفاطميون في مصر نظامًا ماليًا دقيقًا منذ الفتح العربي، زاده الطولونيون والإخشيديون اتقانًا. حتى أن كلاً من جوهر والمعز لم يدخلان عليه شيًا من التحسين[١].

وكانت ضريبة المكس تعتبر من أهم الضرائب التي تميز ذلك العصر. وهي تدل في معناها الضيق على الضريبة التي تؤخذ على السلع الواردة والصادرة الموجودة في المواني. أما معناها الواسع فتدل على ضريبة غير مباشرة تفرض على بعض السلع عند ورودها إلى المدن[٢].

وبالغ الفاطميون في فرض الرسوم التي جرى تحصيلها بالفسطاط والقاهرة، فبلغ من كثرتها في زمانهم أن كانت تؤخذ من اثنتين وسبعين جهة[٣].

ولا شك أن كثرة الضرائب ربما كان مرجعها رغبة الدولة في استعادة جزء مما أنفقته على الفتح حيث اشتد الاستخراج لكثرة ما أنفقه المعز، لأنه لما قدم إلى مصر كان يظن أن الأموال وفيرة فوجدها قد فرقتها مؤن مصر وكثرة عساكرها. فكان يستخرج في اليوم الواحد نيف

---

(١) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعز لدين الله أمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر ص١٦٩.

(٢) عبدالمنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر جـ١، ص١١٧، ١٩٥٣م، ولنفس المؤلف : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص٤١.

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى جـ٣، ص٤٠٠. حسنين محمد ربيع : النظم المالية في زمن الأيوبيين والمماليك ص١٧، القاهرة ١٩٦٤م.

وخمسون ألف دينار، واستخرج في يوم مائة وعشرون ألف دينار معزية(١).

وكانت المكوس تفرض في الثغور، وعند مداخل البلاد ومخارجها منذ القدم حيث تفرض ضرائب على الملاحة في الأنهار على السفن، ولا يصرح بعبورها إلا بعد أداء الضرائب(٢) وكانت تفرض بيعذاب مكوس تجبي على البضائع الواردة من الحبشة وزنجبار واليمن بطريق البحر(٣)، وذكر ابن جبير أن مقدار مكس الحاج الذي كان يجبى في عيذاب على عهد الفاطميين سبعة دنانير ونصف دينار(٤)، وبلغت ثمانية دنانير في بعض الأحيان(٥)، ولم يكن يجبى بعيذاب سوى الزكاة فقط(٦)،

---

(١) ابن ميسر : أخبار مصر ص٤٥ – ٤٦.

ومن الأرقام التي أوردها ابن ميسر نجد فيها كثير من المبالغة، حيث أن مجموع هذه الأموال لو جمعت على مدار السنة لبلغت (٣٦) مليونًا من الدنانير، وهذا شيء لم تبلغه جباية مصر في عهد الفاطميين. وأغلب الظن أن هذه الآلاف إنما هي دراهم لا دنانير.

حسن إبراهيم حسن، وعلى إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ص٣١٦.

(٢) أنطون زكري : النيل في عهد الفراعنة والعرب ص٩٤-٩٥، القاهرة ١٩٢٦م.

وكانت مدينة بيلاق مرسى لأساطيل النيل عند حدود مصر الجنوبية، حيث يتبين من بعض النقوش أن المراكب كانت تدفع قبل مرورها مقدارًا من الفضة أو المواشي أو الأشياء المصنوعة أو حبوبًا، أو ما يفي موئة عمال القنطرة مدة تسعة وعشرين يومًا.

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه ص٧٢، أحمد دراج : عيذاب ص٥٧، مجلة نهضة أفريقيا العدد التاسع أغسطس ١٩٥٨م.

(٤) ابن جبير : رحلته ص٢٦، تحقيق : حسين نصار.

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص٥٦.

(٦) أحمد دراج : عيذاب ص٥٦، مجلة نهضة أفريقيا.

كما أخذت المكوس عند **قطيه** من بلاد العريش من الذين يعبرون ذلك الطريق[١].

وكان فقهاء المسلمين لا ينظرون إلى هذه الضرائب بعين الرضا، لأنها ضرائب غير شرعية[٢].

ومن المحتمل أن يكون هذا هو السبب الذي حمل الخليفة الحاكم بأمر الله على إسقاط بعض المكوس سنة ٣٨٧هـ/٩٩٦م، وأما أن يكون رغبة منه في التخفيف على الناس وتنشيط التجارة[٣].

وكان من النظم المتبعة أن يؤخذ العشر في الإسكندرية ودمياط من التجار الأجانب على البضائع القادمة من البلاد الأوربية إلى مصر مرة كل عام[٤]، وكان يؤخذ من أهل الذمة الخمس، وقد أشار ابن مماتى إلى ذلك في حديثه عن الخمس فقال أنه "عبارة عما يستأدى من تجار الروم الواردين على الثغر بمقتضى ما صولحوا عليه، وربما بلغ ما يستخرج منهم ما قيمته مائة دينار يصل إلى ٣٥ دينارا، وربما انحط عن العشرين ويسمى كلاهما خمسا"[٥].

---

(١) وكان الكاشف من قبل الحكومة المصرية يأخذ خفارة الأموال والخيل والدواب التي للتجار، سعاد ماهر : محافظات الجمهورية في العصر الإسلامي ص١٨٨، فصلة من مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة المجلد ٢١، العدد الأول ١٩٥٩م.

(٢) عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين ص٢٠٦، القاهرة ١٩٤٨.

(٣) المقريزي : خطط جـ١، ص٢١٢، ابن ميسر : أخبار مصر ص٥٤.

(٤) المقريزي : خطط جـ١، ص٢١٣.

(٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٢٦. وتعتبر العشور والأخماس من الضرائب غير المباشرة.

إبراهيم فؤاد على : الموارد المالية فى الإسلام ص ٣٤٣ القاهرة ١٩٧٠.

وقد تراوحت المكوس على سلع الأوربيين ما بين ١٠%، ٢٥%، ٣٥%، وكانت ضريبة الوارد تؤخذ على البضاعة التي تباع فعلاً، أما التي لا تجد لها سوقاً فلا يدفع عنها أصحابها ضريبة وارد، ويجوز لهم أن يعيدوا تصديرها دون دفع مكوس، على أن لا يكون من بينها الحديد والخشب والقار، والتى كان عليم أن يبيعوها للحكومة بسعر السوق(١).

وكانت الدولة تأخذ أحياناً نصف العشر على البضائع التي تكون في حاجة إليها لكى تشجع التجار على حملها إلى البلاد وخاصة المواد الغذائية مثل القمح والزيت(٢).

واستمرت المكوس من أهم مصادر الدخل التي اعتمدت عليها الدولة الفاطمية، حيث اشتط الفاطميون في جمعها. وكان عمالهم في الموانى يعاملون التجار والحجاج القادمين إلى البلاد والخارجين منها معاملة سيئة، فقد تحدث ابن جبير عن المتاعب التي لقيها هو ومن معه في أخميم وقوص ومنية ابن الخصيب حيث ذكر أن الإجراءات الجمركية كانت غاية في القسوة والشدة(٣)، وكذلك ما لقيه في ميناء الإسكندرية من أمناء السلطان من دقة التفتيش حتى أن الأمناء أدخلوا أيديهم في أوساطهم بحثاً عما يكونوا قد أخفوه، ثم يستحلفوهم بعد ذلك إذا ما كان لديهم شئ غير ما وجدوا(٤).

وكان المكس على البضائع التي يجلبها التجار الكارمية في البحر الأحمر من جهة الحجاز يجبى في موانى عيذاب والقصير والطور

(١) السيد الباز العرينى : مصر فى عهد الايوبيين ص٢٠٧، ص ٢٠٨.

(٢) المقريزى : خطط ج٢ ص ١٢١.

(٣) ابن جبير : رحلته ص ٣٨، ص٣٩.

(٤) نفس المصدر: ص٧، ص٨.

والقلزم[١]. وعند وصول إحدى سفن الهند إلى أحد موانى مصر في البحر الأحمر، كان على تاجر الشرق أن يتوجه إلى مقر المكس الذي يشرف عليه مقرر المكس وعدد من الموظفين يسجلون ما معه من البضائع، وبعد ذلك يقدرون المكس المقرر عليها حيث يدفعها التاجر[٢]، ثم تنقل السلع من الديوان إلى وكالات القاهرة والفسطاط حيث يجرى بيعها أمام سماسرة معينين من قبل الحكومة، وذلك بعد أن تستوفى الحكومة حاجتها من السلع التي تريدها وخاصة الحديد والخشب والقطران وغير ذلك من السلع التي يحتاجها المتجر العام في القاهرة[٣].

هذا عن المكوس التي فرضت على التجارة الخارجية. أما في داخلية البلاد فقد كثرت الضرائب غير المباشرة وزيد بعضها لنقصان الخراج وكثرة مصروفات الدولة وعجز دخلها عن الوفاء بما يحتاج إليه السلطان مما يضطره إلى استحداث أنواع من الجباية يفرضها على البياعات والأثمان وأعيان السلع في أموال المدينة، وربما زادت تلك الجبايات في أواخر أيام الدولة فتكسد الأسواق[٤].

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج٣ ص ٤٦٨، ص٤٦٩.

(2)Goitein : From-the mediterranean to india. P.189.(Speculum XXIX 1959).

وكان تجار اليهود الذين يعملون فى تجارة الشرق يدفعون إلى جانب المكوس المفروضة على بضائعهم جزية تسمى "جعلية"، ولم يكن يعفى منها أحد حتى الذى يتغيب فى الخارج أو يموت، فكان أهله يدفعون عنه تلك "الجعلية".

Goitein : Evidence on the muslim polltax from non muslim sources . pp.282-283 (Journal of the Economic and social His of orient)

(٣) الباز العرينى : مصر فى عهد الايوبيين ص٢٠٧، ص٢٠٨ القاهرة ١٩٦٠م.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٢٦٦ ، بولاق ١٣٢٠هـ.

ولاشك أن نظام الضرائب المتعددة يتميز بغزارة الحصيلــه مــن حيث أنه يصيب جميع نواحى النشاط الاقتصادى . غير أنه قد يــترتب على التغالى في تعدد الضرائب خطر يحيق بالاقتصاد القومى عن طريق تعدد ادارات الضرائب وبالتالى زيادة نفقات الجباية وإرهاق الناس[1]

ولكى نرى كيف جمع الفاطميون المكوس والضرائب نجد أنهم لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وجعلوا عليها مكسا أو ضريبة. ففي الإنتاج الزراعى نتبين من الإحصاء التي نقله ليــن بــول[2] عــن ابن مماتى[3] الضرائب التي فرضت على أنواع المحاصيل الزراعية، فقد بلغت الضريبة المفروضة على القمح والشعير من ٢,٥ إلى ثلاثة أرادب للفدان، والفول كذلك، والحمص والجلبــان والعــدس ٢,٥ أردب للفدان (ويرجع انخفاض الضريبة أما لقلة إنتاجه أو لتشــجيع النــاس على زراعته) وقصب السكر: قصب الرأس ٥ دنانير والخلفة ديناران و قراريط[4]، والنيله ٣ دنانير للفدان، العنب والفاكهة ٣ دنانير للفدان.

ومن مراجعة بيانات المكوس التي ألغاها صلاح الدين الأيوبي ٥٦٩هــ /١١٧٣م[5] نجد العديد من الرسوم والضرائب المفروضة على

---

(١) إبراهيم فؤاد على، الموارد المالية فى الإســلام ص ٣٣٩-٣٤٠ معــهد الدراسات الإسلامية القاهرة ١٩٧٠.

(٢) Lane poople : A history of Egypt, p.143.

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٥٨-٢٧٦.

(٤) قصب الرأس : الذى يقطع لأول مرة أما الخلفة : فهو القصب الذى يقطع لثــاني أو ثالث مرة.

(٥) المقريــزى : خطــط ج١ ص١٠٤-١٠٥ ويجعــل ابــو شــامة ذلــك فــى سنة ٥٦٧هــ/١١٧١م: كتاب الروختين فى تاريخ الدولتين ج١ ص٢٠٥.

مختلف أنواع البضائع والسلع، فبلغ مكس البهار وعمالته ٣٣,٣٦٤ ديناراً، فضلاً عن رسوم التفتيش عليه التي بلغت ٢١٧ دينارا ورسوم حمله ٢١٦ دينارا، وأخذ من فندق القطن رسوما بلغت ٢٠٠٠ دينارا، ورسوم الغلال ٦٧٦٨ دينارا، وبلغت رسوم الورق المجلوب للصناعة ٢٠٠ دينارا ورسوم الخشب الطويل والملح ٦٧٦ ديناراً.

وكانت هناك رسوم تفرض على البائعين نظير استخدامهم الأماكن المخصصة لهذا الغرض فبلغت رسوم سوق الغنم بالقاهرة ومصر ٣٣١١ دينارا، ورسوم سوق الجمال ٢٥٠ دينارا، وسوق الدواب بالقاهرة ومصر ٤٠٠ دينارا، وسوق السكريين ٥٠ دينارا ودار التفاح والرطب بمصر والقاهرة ١٧٠٠ ديناراً.

وفرضت رسوم السمسرة على أعمال البيع والشراء، فبلغت السمسرة على الأسواق المختلفة كأسواق الغنم والدواب والسمك والرقيق والكتان ٦٠٠ دينارا[١].

كما فرضت الرسوم على المتاجر والمصانع والمخازن والتفتيش عليها. فبلغ نفقات (ما فرض من رسوم) الصناعة عن البز الوارد ٥٩١٣ دينارا[٢] وكانوا يفرضون رسوما على الآلات نفسها في مجال الغزل والنسيج، وقد غالت الدولة في فرض المكوس على مدينتى دمياط وتنيس فحرمت على النساجين أن ينسجوا شيئا إلا بعد أن يختم عليه بختم السلطان[٣]، فكان حاصل رسوم ختم الشرب والدبيقى ١٥٠٠

---

(١) المقريزى : نفس المصدر ج١ ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) المقريزى : خطط ج١ ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢١٣.

دينار[١]، كما حرم عليهم أن يبيعوا شيئاً إلا على أيدى سماسرة من قبل الدولة[٢]، بلغت ١٠٠٠ دينار[٣]، كما أخذت الحكومة أيضاً رسوما على السفن بساحل النيل وحراستها، فبلغت رسوم حماية الغلات بدار المقس ودار الجبن ١٤٠ دينارا[٤].

كذلك فرضت الرسوم على المعديات من مصر إلى الجهات المجاورة، فبلغت رسوم معادى جزية الذهب وغيرها ٣٠٠ دينارا ورسوم معدية الجسر بالجيزة ١٢٠ ديناراً[٥].

ولاشك أن كثرة الرسوم التي فرضها الفاطميون على الصناعة والتجارة والمواصلات، لم تكن في صالح الاقتصاد الأهلى، ولا في صالح المستهلكين. إذ تؤدى إلى ارتفاع تكاليف الإنتاج وأسعار السلع تبعاً لذلك، كما كانت عقبة في سبيل نشاط التجارة. ولا أدل على ذلك من أن ما أسقط صلاح الدين وسامح به لعدة سنين آخرها سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م. بلغ ما يزيد على نيف ومليوني دينار ومليوني أردب[٦].

---

(١) المقريزى : نفس المصدر ونفس الصفحات.
(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢١٣.
(٣) المقريزى : ج١ ص ١٠٤ - ١٠٥.
(٤) نفس المصدر السابق.
(٥) نفس المصدر السابق.
(٦) المقريزى : خطط ج١ ص ١٠٥.

٢- الموازين – المكاييل – المقاييس

كانت الموازين والمكاييل(١) أداة التعامل في البيع والشــراء فــي أسواق المدن والقرى. وقيل أن المثقال(٢) منذ وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام(٣) ويساوى درهم(٤) ودانقان(٥).

وكان الرطل من وحدة الموازين في مصر. وهو اثنا عشر أوقيــة والأوقية اثنا عشر درهما(٦) والنش هو نصف الأوقية وهــو عشــرون درهما(٧)، والنواة خمسة دراهم(٨).

---

(١) أول من استخرج الأوزان والمكاييل فيدون الفيلسوف اليونانى : ايليا المطران: مقالتــه فى المكاييل والموازين ص ٢ مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٩ رياضة تيمور.

(٢) المثقال: أقدم وحدة للوزن عند العرب وهو يقابل سوليديوس solidius عند الرومان.
Ency of islam : Art : Mithkal.

(٣) المقريزى : أغاثة الأمة بكشف الغمة ص ٥٠ تحقيق زيادة والشيال.

(٤) الدرهم : مأخوذ من لفظ دراخمه (Drachime) اليونانية، وكان معروفاً فى الجاهليــة ومقداره ستة دوانيق، وقد اقر العرب مقدار الدرهم فى مصر على الــوزن اليونــانى وهو ٣,٥٤ جرام.
الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبه ص ١٦ هامش (٢).

(٥)الدانق : من الفارسية (دانه) أى حبه واستعمله العرب كوزن ثقله عشر حبــات مــن الشعير أو اربعون حبه من حبات الأرز : أغاثة الأمــة ص ١٠ حاشــية (١) وهــو ايضا. سدس الدرهم : ابن الرفعة: كتاب الايضاح والتبيــان فــى معرفــة المكيــال والميزان ص٨ مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٢ رياضة تيمور.

(٦) المقريزى : اغاثة الأمة ص ٤٩ والرطل : محرف عن اليونانيــة Litra والروميــه الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ص ٢٦ القاهرة ١٩٣٩.

(٧) المقريزى : اغاثة الأمة ص ٤٩ والنش : نصف الأوقية حولت صاده شــيئا فقيــل. نش: الكرملى : النقود العربية ، ص٢٧.

(٨) المقريزى : اغاثة الأمة ص ٤٩.

ومن الملاحظ أن الأرطال اختلفت تبعاً لما يوزن بها. فكان الرطل التي يوزن به الفحم والحطب والخشب غير التي يوزن بها العود والكافور والراوند والأدهان النفيسه والطيب[1]، ولذا نجد ارطالاً تنسب أما لنوع المادة التي توزن بها أو إلى البلدة التي تزن بها. فكان هناك بالإضافة إلى الرطل المصرى المعروف[2] وهو الرطل المستعمل في القاهرة والفسطاط.

الرطل الجروى	ويزن	٣١٢ درهما	
الرطل الليثى	"	٢٠٠ درهما	
الرطل الحريرى	"	١٢٠ درهما	وهو خاص بوزن الحرير
الرطل القليوبى	"	١٥٠ درهما	
الرطل الفيومى	"	١٥٠ درهما	
الرطل الفلفلى	"	١٥٠ درهما	لوزن الفلفل[3]
رطل اسيوط وطحا وطهطا	"	١٠٠٠	
رطل المحله	"	٤٠٠ درهما	
رطل دمياط	"	٣٣٠ درهما	
رطل سمنود	"	٣٠٠ درهما	

واختلفت أوزان الأوقية تبعا لاختلاف الأرطال.

---

(١) ايليا المطران : مقالة ايليا المطران فى الموازين والمكاييل ص٥ (مخطوط).

(٢) كان رطل حلب = ٧٢٤ درهم والأوقية = ٥٠ درهما.

كان رطل حمص = ٧٩٤ درهم والأوقية = ٦٧ درهما.

كان رطل حماه = ٦٦٠ درهم والأوقية = ٥٥ درهما.

الرطل البغدادى = ١٣٠ درهم .

ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٤٥٥ طبعة عزيز سوريال عطيه.

(3)Ratl Folfoli : H. Sauvaire : Materiaux pour sirvir a l'Histoire de la metrologie Musulmanes pp.307, ff. Paris 1879-1887.

فبينما كانت أوقية رطل مصـــر ١٢ درهمـــا وتـــزن ٣٧,٠٧٧٦ جراما.

كانت أوقية رطل قليوب والفيوم ١٢,٥ درهما وتـــزن ٣٨,٦٢٢٥ جراما.

وأوقية الرطل الليثى ١٦وثلثين درهما وتزن ٥١,٤٩٦٦ وثلثيـــن جراما

وأوقية الرطل الجروى ٢٦ درهما وتزن ٨٠,٣٣٤٨ جراما.

وأوقية رطل دمياط ٢٧ ونصف درهما وتزن ٨٤,٩٦٩٥ جراما.

وأوقية رطل فوه ٣٠ درهما وتزن ٩٢,٦٩٤٠ جراما.

وأوقية رطل المحلة ٣٣ وثلث درهما وتزن ١٠٢,٩٩٣٣ وثلـــث جراما

وأوقية رطل أســـيوط وطحـــا وطـــهطا ٣٣٦ درهمـــا وتـــزن ١٠٢٨,١٧٢٨ جراما[١].

وأستتبع اختلاف الأرطال تفاوت القناطير فالقنطار مائة رطل [٢]. وقد أفادت الحكومة الفاطمية من هذا الاختلاف فكانت تشترى الشب بالقنطـــار الليثى وتبيعه بالقنطار الجروى[٣] وتستفيد من الفارق في الميزان.

---

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٦١٨. وكان هناك أيضاً كسور الرطل فقـد ضرب فى عهد الحاكم بأمر الله ابتداء من النصف أوقية إلى الأوقية إلى ربع رطل.

Misollanea : Boids en plomb du khalife fatimite al Hakim Hiamrillah Erappe a misr en l'an 389. H. p.217 (Jesho Vol. V1, part 11, July 1963)

(٢) الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص١٥.

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٢٨.

ومن الموازين التي شاع استخدامها في مصر في العصر الفاطمي المن[١] ويساوى مائتين وستين درهما[٢].

وكانت صنج الموازين تصنع من الحديد، ويمنع استخدامها من الحجارة حيث كان المحتسب يتشدد في ذلك[٣]. ويبدو أنه إلى جانب استخدام صنج الموازين المصنوعة من الحديد كانت تستخدم صنج زجاجية[٤]وكان ذلك في عصور معظم خلفاء الفاطميين[٥]. إلا أنه لا يبدو أنها استخدمت في وزن البضائع الثقيلة، بل استخدمت لوزن نقود الذهب[٦].

---

(١) المن : وزن قدره رطلان انظر الخوارزمى (أبو عبدالله محمد بن احمد) كتاب مفاتيح العلوم ص١١ مطبعة الشرق ١٣٤٢هـ ، وابن الرفعة : كتاب الايضاح والتبيان فى معرفة المكيال والميزان ص١٤ مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٢ رياضة تيمور.

(٢) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٤٤٥ أى ما يساوى ٢١ أوقية بالمصرى.

وكان هناك أيضا الرطل الجزائرى وقد ورد فى بردية فى القرن الرابع الهجرى، ويبدو انه كان خاصا بوزن الجبن: جروهمان: أوراق البردى العربية ج٥ ص ١٥١ لوحة ٢١ ترجمة / مهدى علام دار الكتب ١٩٦٨.

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٣٣. وإذا عجز البائع عن إتخاذ الصنجة من الحديد، واستخدم صنجة من الحجر فعليه بتجليدها حتى لا تنحت من كثرة القرع ويراعيها المحتسب لئلا تتخذ من الخشب : الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبه ص ١٩ تحقيق / الباز العرينى.

(٤)كانت الصنج الزجاجية معروفة فى مصر ومستعمله منذ عهد البطالمة والرومان، وبعد الفتح العربى وفى عصر الولاة حيث وجدت صنجا تحمل أسماء بعضهم.

Miles : early arabic glass wieghts and stamps. P.3 (New York, 1948).

(5)Miscellanea : Poids en plomb du khalife fatimite Al-Hakim, p.216 (Jesho. Vol., VI part II July 1963).

(٦) عبد الرحمن فهمى : دراسات فى السكه فى مصر الإسلامية حتى قيام الدولة الفاطمية ص١٠١ رسالة دكتوراه/ جامعة القاهرة، وظهرت هذه الصنج الزجاجية بكثرة فى عهد الحاكم بأمر الله.

Lane Poole : A History of Egypt, pp.123-124.

وقد حملت الصنج الزجاجية ضمن كتاباتها ألقاب السكة الإسلامية من المعادن النفيسة من الذهب والفضة. فنقرأ على تلك الصنج : دينار – دينر – نصف دينر – ثلثين – ثلث درهم – فلس – قيراط – خروبه، وقد أدى اشتراك الصنج الزجاجية مع السكه في تسجيل هذه الألفاظ إلى التباس الأمر على بعض المستشرقين المشتغلين بعلم النميات حتى دفعهم ذلك إلى القول بأن هذه الصنج ما هى إلا عملة زجاجية Nummi viterai الا أنهم اقتنعوا بأن هذه الأقراص الزجاجية ما هى إلا عيارات وأوزان للسكة نفسها[١].

وكان من مميزات هذه الصنج الزجاجية أنه يمكن تنظيفها وملاحظة أى تآكل فيها حيث لا يتيسر ذلك في الصنج المعدنية، وكانت هذه الأوزان أما قطع مستديرة أو أسطوانية مخروطية الشكل. ويبدو أن استخدام هذه الأوزان كان خاصا بمصر[٢].

المكاييل :

أما عن المكاييل فإنها كانت تختلف من مكان إلى آخر أسوة بالموازين، فتختلف وحدة الكيل وهى القدح من مكان إلى آخر، كما يختلف الأردب تبعاً لذلك. والقدح[٣] المصرى يزن ٢٣٢

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص٢٠٥.

(٣) القدح : كان أصل معناه موضوعا للسوائل، وهو باللاتينية Cadus. الأب انستاس : النقود العربية وعلم النميات ص ٣٩ حاشية (٢).

درهما من البر[١]، والويبة تساوى ١٦ قدحـا[٢] أى ما يساوى سـدس أردب[٣] أما الأردب[٤] فإنه يساوى ٩٦ قدحا[٥]، وهو ست ويبـات[٦]. ويبلغ في بعض البلاد المصرية إحدى عشرة ويبة أو مائة وست وسبعين قدحا[٧].

ومن المكاييل الأخرى التي ورد ذكرها في كتابات مـؤرخي ذلـك العصر . الحملة : وهى تساوى ثلثمائة رطل مصرى، والتليس ويساوى مائة وخمسين رطلا[٨] أو ثمان ويبات[٩]. والبطه وهى كيل يسع خمسين

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٥ وهو يساوى ١/١٦ مـن الويبـة أو ١/٤٤ كيلو جرام تقريبا : جروهمان : أوراق البردى العربية ج١ ص ١٢٠ ويبلـغ وزنـه حاليا ما يعادل واحد ونصف كيلو جرام تقريبا (الكيلو : ١٠٠٠ جـرام = ٢٧ أوقيـة زنة ١٢ درهم للأوقية).

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٥.

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ج٦ ص١٢٠. وهو ما يساوى خمسة عشر منـا : المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٢٨٤.

(٤) الأردب : من الأرامية (أردبا) وباللاتينية ارتبا Artaba، وهو مكيال ضخم بمصـر يضم أربعة وعشرين صاعا. ويقال أن أصله مكيال فارسى. وأن كان الأب انسـتاس يظن أنه من وضع المصريين الاقدمين: النقـود العربيـة وعلـم النميـات ص ٥٢ حاشية(٣) .

(٥) القلشندى: صبح الأعش ج٣ ص٤٤٥.

(٦) المقدس : أحسن التقاسيم ص ٢٨٤، الكرملى : النقود العربية وعلم النميـات ص ٥٢ حاشية (٣).

(٧) القلقشندى : صبح الاعشى ج٣ ص٤٤٥.

(٨) ابن مماتى : قوانين الدوواين ص ٣٦٥.

(٩) المقدس : احسن التقاسيم ص ٢٨٤.

رطلا[١] والغرارة وتسع أردب ونصف[٢] ، والغسلة وتسع سبعة أردب[٣]. وكذلك كانت الأقساط تستخدم في الكيل، فمن وثيقة بردية من كشف حساب عطار كان هناك مكيال اسمه القسط، واستنتج محقق الوثيقة أن القسط عيار زنته ٤٨ أوقية[٤]، وكان الكوز من المكاييل أيضا ويسع ثلاثين رطلا بالبغدادى، وكذلك الدورق ويسع خمسة عشر رطلا بالبغدادى، والمخال ثلاثون رطلا بالبغدادى[٥]، كذلك كان العدل وهو حمل بعير ويقدر بنحو ستين صاعا[٦]، وكان القفيز من مكاييل الأشياء اليابسة[٧]، كالحبوب وسعته ما يقرب من ربع أردب[٨].

ومن الجدير بالذكر أنه كانت هناك دار للعيار، يحتاط للرعية في موازينهم وصنجهم ومكاييلهم[٩] وكان المحتسب أو نائبه يحضر إلى دار

---

(١) ابن مماتى : نفس المصدر ص٣٦٥ وهو أناء على صورة البطة : ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ص ١٨٥.

(٢) ابن مماتى : نفس المصدر ص ٣٦٥ وهى وحدة للحبوب تسع اثنى عشر كيلا : الشيزرى : نهايته الرتبة فى طلب الحسبه ص ١٧ هامش (٩).

(٣) ابن مماتى : نفس المصدر ص ٣٦٥.

(٤) جروهمان: أوراق البردى العربية ج٦ ص ١١٤،١١٥.

(٥) ايليا المطران : مقالته فى المكاييل والموازين ص٧ مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٩ رياضة تيمور والرطل البغدادى يساوى ١٣٠ درهما: ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٤٥٥ .

(٦) الشيزرى : نهاية الرتبة ص١٣ هامش (١) ويسمى العدل باسم الوسق أيضا.

(٧) الشيزرى : نهاية الرتبة ص ١٧ . ويساوى ثمان مكاكيك والمكوك مقداره صاع ونصف.

(٨) المقريزى:إغاثة الأمة ص٥٢ وهو أيضا مقياس للأرض مقداره مائة وأربعين ذراعا. Ency of islam: Art : Kafiz.

(٩) أى تضبط فيها الموازين والصنج والمكاييل على النماذج المعتمدة الرسمية للدولة.

العيار لينظر في المعايير المختلفة عند وضعها ، فإن كانت تتفـــق مـــع النماذج الصحيحة التي أقرتها الحكومة أقرها، وإلا أعادها وكانت الصنج والموازن والمكاييل لا تباع إلا في هذه الدار، كما كان يستدعى التجـــار إليها لاختبار صنجهم ومكاييلهم وموازينهم فيأمر بتغيير ما أصبح غـير صالح منها للاستعمال[١].

المقاييس:

كانت وحدة الأرض في مصر الفدان . وهو عبارة عن أربعمائـــة قصبة حاكمية . والقصبة الحاكمية ستة أذرع وثلثـا ذراع[٢]، وخمســة أذرع بالنجارى[٣]، وقد وجدت في الوجــــه البحـــرى قصبـــة تســمى "السندفاوية" نسبة إلى مدينة سندفا القريبة من المحلة الكبرى وهى أطول من القصبة الحاكمية بقليل[٤].

وكان الذراع الأصلى أو الشرعى أربعة وعشـــرين إصبعـــا[٥]، ويسمى أيضاً بالذراع المرسلة[٦]، أو الذراع المأمونى [٧]، وهناك الذراع

---

(١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٣٣، ص٣٣٤، المقريزى : خطـط ج١ ص ٤٦٤ وقد أنشئت دور العيار فى مصر منذ ولاية قرة بن شريك (٩٠-٩٦ هـــــ /٧٠٩ - ٧١٥م) الشيزرى : نهاية الرتبة ص٢٠.

(٢) المقريزى : خطط ج١ ص ١٠٣ ويقاس الفدان عشرين قصبة طـولا فـى عشـرين قصبة عرضا.

(٣) المقريزى: نفس المصدر ونفس الصفحة، ابن مماتى: قوانين الدواوين ص ٢٧٩.

(٤) القلقشندى: صبح الأعشى ج٣ ص٤٤٥ ، ص٤٤٧.

(٥) المقدس : أحسن التقاسيم ص٦٥.

(٦) المسعودى : التنبيه والإشراف ص ٣٥ ليدن ١٨٩٤م.

(٧) ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأحصار ج١ ص ٢٣ تحقيـــق / أحمد زكى دار الكتب ، ١٩٢٤م.

"الهاشمى" وهو ذراع المساحة ويقدر بذراع وربع بالمرسل[١]. ويرى فان برشم أن الذراع التي ذكره المقريزى في خططه هو الذارع البلدى وهو وحدة المقاييس المصرية وطوله ٥٧,٨ سم[٢].

ومن المقاييس العربية التي كانت معروفة في مصر في العصر الفاطمى. الميل والفرسخ والغلوة. والميل : أربعة آلاف ذراع[٣]، بالذراع المرسلة وثلاثة آلاف ذراع بذراع المساحة وهى الذراع الهاشمية[٤] أما طوله بالأمتار فقد اختلفت تقديراته بين ١٨٤٨ مترا[٥]، ١٩٧٣,٢ مترا، ١٩٧٢,٨ مترا. ويصل به البعض إلى نحو كيلو مترين. ويرجع الخلاف في حساب تقديرات الميل بالأمتار إلى اتخاذ ذراع مقياس النيل Nilometer المشهور بالقاهرة كوحدة للقياس، وتتجاوز النصف متر، وهى الذراع التي كان يستعملها المصريون في مساحة الأرض وقياس النهر[٦].

---

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان ج١ ص٣٥. وهو بذلك ١٣٢ إصبعا أى ما يساوى ٦١,٦ سم محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية فى الدولة الإسلامية ص٣٠٧ الطبعة الثالثة، دار المعارف ١٩٦٩.

(٢) كريسويل : تأسيس القاهرة ص٣٠٥ حاشية (٢) ترجمة السيد محمود رجب المقتطف نوفمبر ١٩٣٤.

(٣) ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص٢٢ ليدن ١٨٩١م،المقدس: ص٦٦ ياقوت الحموى : معجم البلدان ج١ ص٣٨.

(٤) المسعودى : التنبيه والإشراف ص٣٥ ليدن ١٨٩٤.

(٥) الريس (محمد ضياء الدين): الخراج والنظم المالية ص٣١٩، ص ٣٢٠.

(٦) عبد العال عبد المنعم الشامى: مصر عند الجغرافيين العرب ص٥٨٤-٥٨٥ رسالة ماجستير / جامعة القاهرة.

الفرسخ : ذكر ابن رسته أن كل ثلاثة أميال فرسخ وكل فرسخ اثنا عشر ألف ذراع[١] ويذكر المسعودى أن الفرسخ أربعة أميال بميل (وحدته) ثلاثة آلاف ذراع[٢]، أما المقدس فينص على أن الفرسخ اثنى عشر ألف ذراع والميل ثلث فرسخ[٣].

الغلوة : ذكرها ابن رسته بقوله " والغلوة خمس مائة ذراع، والفرسخ أربعة وعشرون غلوة"[٤]. ونظراً لأنها مسافة محددة فإنها لا تذكر كثيراً في المسافات إلا عندما تتقارب مراكز العمران، ومن ثم يقال عن بعض هذه المراكز أنها على غلوة من غيرها على نحو ما يذكر ابن حوقل أحياناً[٥].

---

(١) ابن رسته : الأعلاق النفيسة ص٢٢ ليدن ١٨٩٢م.

(٢) المسعودى : التنبيه والإشراف ص٢٥، ص٢٦ ليدن ١٨٩٤م.

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ص٦٥، ص٦٦.

أما تحديد طول الفرسخ بالأمتار فنجده مقدراً بنحو ٥٥٠٠ مترا، أو ٥٥٤٤ مترا أو ٥٩١٩ مترا نظير حسان سعداوى : نظام البريد فى الدولة الإسلامية ص١٦٨ مكتبة مصر القاهرة ١٩٥٣، الريس: الخراج والنظم المالية ص٣١٩، نلينو (كرلو) وعلم الفلك، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ص٢٦٥ حاشية (٣) طبع روما ١٩١١.

(٤) ابن رسته : الأعلاق النفسية ص ٢٢ ليدن ١٨٩٢م. أورد ابن فضل الله العمرى مقدارها بثمن ميل أى ٤٠٠ ذراع : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ج١ ص٢١ حاشية (١) تحقيق / أحمد زكى دار الكتب ١٩٢٤.

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ص٢٤٩ ، ص ٢٥١ ليدن ١٩٦٧. أما طولها على أساس الذراع الشرعى المقدر بنحو ٤٦,٢ سم تصبح الغلوة ٢٣١ متراً.

٣- دور الضرب والعملة

كانت العملة من وسائل المعاملات التجارية التي يحتاج إليها الناس في تقدير مختلف أنواع السلع[١]. وكان التعامل في مصر منذ أوائل القرن السابع الميلادى بالدنانير الذهب، التي كانت سائدة في الدولة البيزنطية وكانت تسمى بالقيصرية[٢]. وظلت تتعامل بالدنانير في عهد تبعيتها للخلافة الأموية والعباسية[٣]. فلما ولى أمورها أحمد بن طولون ضرب دنانير ذهبية عرفت بالأحمدية[٤]، وقد انتشر التعامل بها ولقيت تقدير الناس لنقاوتها[٥]، وحافظ الأخشيديون على النسبة العالية التي كانت للدنانير الأحمدية في دولة بنى طولون[٦].

---

(١) الدمشقى : الإشارة إلى محاسن التجارة ص٥.

(٢) الدينار : وحدة العملة الذهبية الإسلامية القديمة. وهو مشتق من كلمة ديناريوس اللاتينية، ولم يغير الإصلاح الذى أدخله عبد الملك بن مروان من عيار العملة الذهبية التى عرفها العرب، ووزنه الشرعى ٤,٢٥ جرام إلا إذا نص صراحة على أن وزنه غير ذلك.

زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ص٤٢، دائرة المعارف الإسلامية : مادة دينار.

(٣) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٦٢.

(٤) المقريزى : النقود الإسلامية ص١٣ القسطنطينية ١٢٩٨هـ.

ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ص٩٨-٩٩ تحقيق / زكى محمد حسن .

(٥) كانت نسبة الذهب ٩٨% من وزنها .

Ashtor : Histoire des prix. P.76.

(٦) إذ أن النسبة القانونية بين وزن الذهب الصافى الموجود فى الدنانير الأخشيدية ووزنها الكلى هو ٢٣,٥ من العيار القيراطى (٢٤ قيراط) أو ٩٧٩,٢ من العيار الألفى. وهو أعلى وصلت إليه السكة الإسلامية الذهبية فى مصر.

عبد الرحمن فهمى : دراسات فى السكة فى مصر الإسلامية ص ١٧١ رسالة دكتوراه / جامعة القاهرة.

ظل الدينار في مصر قاعدة التعامل حتى بعد الفتح الفاطمى، غير أن جوهر القائد بادر إلى سك دنانير جديدة[١] أطلق عليها اسم المعزية[٢]. وقد استطاع الفاطميون بفضل الذهب التي أحضروه[٣] معهم أن يحلو مشكلات النقد التي واجهت حكام مصر قبلهم من الإخشيديين[٤]. فقد أدى ازدياد جودة عملة الإخشيديين أن أقبل الناس على اختزانها حتى قل تداولها وكثر التعامل بالدراهم والفلوس[٥].

---

(١) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٦٢. ومن الجدير بالذكر أنه ظهر في مصر دينار فاطمى يرجع تاريخ ضربه إلى سنة ٣٤١هـ عليه اسم المعز لدين الله، ويرجح أنه واحد من مجموعة الدنانير التذكارية التى يحتمل أنها ضربت فى مصر الأخشيدية على نسق الدنانير المعزية لكى تقدم هدية للمعز عند قدومه إلى مصر.
Lane Poole : Catalogue of Arabic coins . p.152.
عبد الرحمن فهمى : دراسات فى السكة فى مصر الإسلامية ص ١٨٤ رسالة دكتوراه جامعة القاهرة.

(٢) يقول العينى أن جوهراً أسماها "الشوكية:" عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ص ٢٣١، ص ٢٣٤ مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ.

(٣) أشارت كثير من المصادر إلى أن ما حمله جوهر من بلاد المغرب كان حمل خمسة عشر ألف جمل وبغل تحمل صناديق الأموال وأوانى الذهب، بالإضافة إلى ما صهر من ذهب على هيئة أرحاء الطواحين حمل فوق ظهور الجمال : الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ص ٤٨ (مخطوط)، ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ص ١٠٢، العينى : عقد الجمان ص ٢٣١، ص٢٣٤ (مخطوط).

(٤) عبد الرحمن فهمى وآخرين:القاهرة : تاريخها – فنونها – آثارها ص ٥٣٩ .وقد قدر بعض المؤرخين ما أحضره من سبائك الذهب بثلاثة وعشرين مليوناً من الدنانير.

(٥) عبد الرحمن فهمى : دراسات فى السكه ص ١٧٢ رسالة دكتوراه/ جامعة القاهرة . كان الأخشيد نفسه يكتنز الأموال حيث كان له سبع مطامير فى كل مطمورة مليون دينار من الدنانير الأخشيدية والمقتدرية والمكتفية والمتقية والمغربية ومطمورة من خلط دنانير العراق.
ابن سعيد:المغرب فيحلىالمغرب ص١٩٦ تحقيق زكى محمد حسن القاهرة ١٩٥٣.

وعلى الرغم من إصدار جوهر للدنانير المعزية، إلا أن الحكومة الفاطمية لم تمنع التعامل بالدينار الراضى (نسبة إلى الخليفة العباسى الراضى بالله) والدينار الأبيض، أو الدنانير والدراهم التي ضربت في عهد الأمين والمأمون وسميت بالرباعيات [١].

ومما يجدر ملاحظته أن الفاطميين في مصر وضعوا نظاما ماليا جديدا يتفق وسياستهم المذهبية فعملوا على التقليل من قيمة النقد التي كان متداولا في مصر برفع قيمة النقود التي تحمل أسماء الخلفاء الفاطميين [٢]. من ذلك أنه لما قدم الخليفة المعز لدين الله من بلاد المغرب سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م. عهد إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن بالإشراف على الخراج. فامتنع يعقوب بن كلس أن يأخذ إلا ديناراً معزيا فاتضع الدينار الراضى وانحط ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار، وخسر الناس كثيراً من أموالهم في الدينار الأبيض والدينار الراضى [٣]، وكان صرف الدينار المعزى خمسة عشر درهما ونصف [٤].

---

(١) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٦٢. ويقول أنها سميت بالرباعيات لأن وزنها كان أربع حبات. ومن مراجعة الجدول الذى أورده على مبارك فى الخطط التوفيقية ج٢٠ ص ٩٩ نجد أن الدنانير التى ضربت فى عهد الأمين والمأمون والراضى كانت جيدة العيار والوزن حيث كان متوسط وزنها ٤,١٠ جرام تقريبا.

(٢) حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله ص ١٧٣.

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ص ٤٥، المقريزى : النقود الإسلامية ص١٤.

(٤) المقريزى : النقود الإسلامية ص١٤.

ساوى الدينار المعزى فى قيمته الدينار الأغلبى، فكانت قيمة الدينار المعزى ٤,١٩ جرام ووصل أعلى وزن له ٤,٢٣ جرام، كما تميز بأن كمية الذهب التى كانت به ظلت خالصة طوال العصر الفاطمى.

Goitein : The Exchange of gold and silver money in Fatinid and Ayyubid times p.41. (Journal of the Economic and social hist. of the orient, V.III, 1965).

من هذا يتبين لنا أن الحكومة الفاطمية حملت الناس على أن يتعاملوا بالدينار المعزى الفاطمى، وأن يتركوا ما بأيديهم من الدنانير الأخرى، رغم أن تلك الدنانير إذ ذاك كانت أكثر وزناً وأشد نقاوة من الدينار المصرى. فكان وزن الدينار الراضى ٤,٢٥ جرام بينما لم يبلغ الدينار المعزى هذا القدر [١].

وكان أهم ما يميز العملة الفاطمية العبارة التي تدل على جودتها، فكان ينقش عليها عبارة "عال" أو "غال غاية"[٢] وهذه العبارة هى العلامة أو الرمز التي يبين صرف العملة على المعيار الرسمى[٣]. كما حرص الفاطميون على إضفاء صبغتهم الشيعية على العملة، ففى دينار ضرب سنة ٣٦١هـ/٩٧١م في عهد الخليفة المعز لدين الله نقش عليه.

"بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر في جمادى الأولى سنة إحدى وستين وثلثمائة" "دعا الإمام معد لتوحيد الإله الصمد".

"المعز لدين الله أمير المؤمنين"

---

(١) أورد على مبارك فى الخطط التوفيقية ج٢٠ ص ١٠٤ جدولا بأوزان الدينار المعزى فى عهد المعز نجد أنه انخفض إلى أدنى وزن له سنة ٣٦٣ هـ /٩٧٣م حيث بلغ ١,٠٢٠ جرام. وكان يتراوح عادة بين ٣,٤٦٠-٤,٢٣٠ جرام.

(2)Lane Poole Cata of Arabic coins pp.182, 186, 197.

(٣) عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ج١ ص ١٢٨. (ومن وثيقة بردية لعقد زواج سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م يرد ذكر أربعة دنانير مستنصرية جياد العيون).

جروهمان : أوراق البردى العربية ج١ ص ١٠٠ ترجمة / حسن إبراهيم حسن، دار الكتب ١٩٣٤.

"على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين"[١].

كذلك لم تخل الدنانير التى ضربت في عصر العزيز بالله والحاكم بأمر الله والمستنصر بالله من تلك العبارات ذات الصبغة الشيعية[٢].

لم تكتف الحكومة الفاطمية بأن يكون الدينار المعزى[٣] وحدة التعامل، فأصدرت دراهم[٤] جديدة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، حيث تزايد أمر الدراهم سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م فبلغت أربعا وثلاثين درهما بدينار، ونزل السعر واضطربت أمور الناس، فرفعت تلك الدراهم وأنزل من القصر عشرين صندوقا فيها دراهم جديدة وزعت على الصيارف، وقرئ سجل بمنع التعامل بالدراهم الأولى وترك من في يده شئ منها ثلاثة أيام، وأن يورد جميع ما يتحصل منها إلى دار الضرب، فاضطرب الناس وبلغت (الدراهم القطع والمزايدة) أربعة دراهم بدرهم جديد، وتقرر أمر الدراهم الجدد على ثمانية عشر درهما بدينار [٥].

ولا يخفى علينا هنا أن الحكومة الفاطمية كانت تحقق غرضين في وقت واحد. أولهما أن تعمل على سحب العملة التي تحمل رمز المذهب السنى، وتفرض عملتها التي تحمل شعار المذهب الشيعى.

---

(1)Lavoix (Henri) catalogue des monmaies musulmanes de la bibliothique national. P.98.

(2) Lane Poole : Catalogue of Arabic coins pp.156, 158, 163, 178.

(٣) ظهر إلى جانب الدينار المعزى الدينار العزيزى نسبة إلى الخليفة العزيز بالله الفاطمى
Goitein : A Mediterranean society. P.237.

(٤) الدرهم:من وحدات العملة الفضية فى نظام السكة عند العرب، وهو باليونانية دراخمة وبالفارسيةدرم، وهو أيضا من وحدات الأوزان. دائرة المعارف الإسلامية: مادة درهم.

(٥) المقريزى : النقود الإسلامية ص١٤، إغاثة الأمة : ص٦٤.
جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٦٣.

وثانيهما: أن تفيد من الفرق في ثمن الدنانير التي انخفض سعرها نظراً لتخلص الناس منها وتهيئة الناس لاستقبال العهد الجديد في ظل السياسة والأنظمة الشيعية[١].

ويضرب الدراهم في عهد الحاكم بأمر الله تحولت مصر بشكل واضح إلى نظام المعدنين[٢] (Bimetallic system) فأصبحت الدراهم سكة قانونية، ومن الطبيعي أن يكون الإقبال على الدنانير والدراهم أول الأمر في المدن والمراكز التجارية، وذلك لأن أهل الريف كانوا يسيرون على نظام المقايضة في معاملاتهم التجارية[٣].

ومما يجدر ذكره أن سياسة الخلافة العباسية المعادية للدولة الفاطمية في مصر انعكس أثرها على العملة، فقد حاولت الخلافة العباسية فرض نوع من الحصار الاقتصادى على مصر، وذلك حينما أمر الخليفة العباسى القائم بأمر الله سنة ٤٢٧هـ /١٠٣٥م بترك التعامل بالدنانير المصرية فعدل الناس عنها إلى غيرها [٤]، وكان من أثر ذلك أن قل الذهب الوارد إلى العراق والذى كان يستورد على الأغلب من مصر، إلا أن موقف هذا الخليفة كان له أثره المعاكس، حيث أدى موقفه هذا إلى المحافظة على رصيد مصر من الذهب[٥].

---

(١) عبد الرحمن فهمى : فجر السكة العربية ص٢٠٢، القاهرة ١٩٦٥.

(٢) ومنذ ذلك الوقت صارت الفضة تضرب نقوداً فى مصر سميت باسم المسودة وبها كانت معاملة أهل مصر والقاهرة والإسكندرية : المقريزى: إغاثة الأمة ص٦٤.

(٣) عبد الرحمن فهمى : فجر السكة العربية ص٢٠٢، ص٢٠٣.

(٤) آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج٢ ص٣١٨، ص٣١٩. ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج٩ ص ٣٠٨.

(٥) عبد العزيز الدرى : تاريخ العراق الاقتصادى ص٢٢٥ بغداد ١٩٤٨.

اقتدى الفاطميون في مصر بالعباسيين في بغداد. فكان العباسيون يضربون أنواعاً من الدنانير كبيرة الحجم والوزن في مناسبات كثيرة إما للكتر (للاختزان) وإما للصلة والإهداء، وكان الواحد منها يزن مائة مثقال ومثقال[١]. أما الفاطميون فسكوا دنانير صغيرة يساوى الدينار منها ربع الدينار الذهب، كذلك كانت تضرب في مصر في العصر الفاطمى دنانير في مناسبة أول العام (الهجرى) تعرف باسم الغرة، وهى من الدنانير المدورة[٢]، كما كان رؤساء الأقباط في مصر يضربون في خميس العدس[٣] خراريب من ذهب يفرقونها على أرباب الدولة، وكان ما يضرب من هذه الخراريب نحو خمسمائة مثقال[٤].

وكان الطلب دائما على العملة الحديثة العهد، ففى سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م نجد أن الدينار المعزى بيع بثلاثة أرباع الدينار العزيزى (نسبة إلى العزيز بالله)، إلا أنه رغم مرور أكثر من ثمانين عاما على سك الدينار المعزى فقد كان مطلوبا في عهد الخليفة المستنصر[٥].

---

(١) ناصر السيد محمود النقشبندى : الدينار الإسلامى فى المتحف العراقى ج١ ص ٣٤ بغداد ١٩٥٣.

(٢) المقريزى : خطط ج١ ص ٤٤٥، عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج١ ص١٢٨.

(٣) خميس العهد هو الخميس الذى يحتفل فيه النصارى بانجيلهم، وهو أحد الأعياد التى بقيت فى عهد الفاطميين مشاركة للنصارى فى شعورهم الدينى. ولفظ عهد استبدلت خطأ بلفظ عدس وسماه أهل الشام خميس الأرز والبيض، وسمى بخميس العهد لأن المسيح أخذ العهد على تلاميذه بألا يتفرقوا.

حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية حاشية (٣) ص٦٤٨.

(٤) ابن اياس : تاريخ مص ج١ ص ٥٩.

(5)Goitein : A mediteranean society p. 237.

والدينار نوعان : نوع ضرب في مصر، ونوع جلب من الخارج. أما الدنانير المصرية فتوزن بالمثاقيل وكل سبعة مثاقيل تزن عشرة دراهم، والمثقال ٢٤ قيراط، والقيراط سبع حبات شعير. أما الدينار الفرنجى المجلوب من بلاد الروم والفرنجة فكان يساوى ١/٢ ١٩ قيراط مصرى. والدينار المصرى يساوى أحياناً عشرين درهما، وتبلغ قيمته في بعض الأحيان ١/٢ ٢٨ درهما أما الدينار الفرنجى فيساوى سبعة عشر درهما[١].

والدراهم نوعان : الدراهم النقرة والدراهم السوداء. والدرهم الأسود ثلث درهم نقرة أى أن الدرهم النقرة يساوى ثلاثة دراهم سوداء[٢] وكان الدرهم النقرة هو أساس التعامل بالنسبة لتجار أعالى البحار. وكان هؤلاء التجار يبحثون عن الفضة النقرة ويشترونها من الأسواق[٣].

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٦٠٥.
وكان على أحد وجهى الدينار الفرنجى صورة ملك الدولة الأجنبية وعلى الوجه الآخر صورة القديسين بطرس وبولس وتسمى هذه العملة بالدوقات وهى عملة البندقية لأن أميرهم يسمى دوقا.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٣ والدراهم السوداء هى التى أمر بضربها الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣ وهى الفضة السوداء المشهورة بالآمرية. السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ج٢ ص ١٥٥.

(3)Goitein : A mediterranean society p.368.

أما الفلوس فإنها تختلف عن الدراهم في أنها غير مطبوعة علـــــى السكة[١] ولاشك أنه كان للفاطميين فلوسهم فمن الوثائق البرديـــة التـــي ترجع إلى القرن الرابع الهجرى) العاشر الميلادى) نجــــد أن أســـعار بعض الحاجيات كانت تنخفض إلى أجزاء من الدنـــانير تبلـــغ "ســـدس الدينار" كان الدفع فيها يتم بالفلوس، كما كانت تحدد أجور بعض العمال بالدرهم وأجزاء الدرهم فتبلغ ربع درهم أحيانا، فقد وصلت أسعار بعض الأقمشة إلى قيراط. ومن الطبيعى أن يكون تقدير أجزاء هذه الدراهـــم والقراريط بالفلوس، أما عن النسبة بين نوعى السكة الرئيسية من الدينار والدرهم وبين الفلوس فهى غير محددة لأنها نسبة جزئية[٢]، ومن أنواع هذه الفلوس كان الدانق[٣].

وكان في أسواق مصر في فترة الحروب الصليبية الدنانير الصليبية حيث قلد الصليبيون في عملتهم العملة التي وجدوها في المنطقة التي أسسوا فيها إماراتهم. فسكوا دينارهم على نسق الدينار الفاطمى، وقلدوا الدينـــار

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج٣ ص ٤٤٣.

الفلس : اسم العملة النحاسية أخذت من كلمة ابلس اليونانية، وأن كان يبدو أن أصــــل الكلمة لاتينى من Follis كما أطلق أيضا على القراطيس وهو ستة فلوس.

بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص٣٦، عبد المنعم ماجد : تـــاريخ الحضـــارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص ٤٣ ١٩٦٣.

(٢) عبد الرحمن فهمى : فجر السكى العربية ص٢٠٣.

(٣) الدانق لفظ قديم فى الفارسية القديمة، استعمله العرب فى الجاهلية للدلالة علـــى وزن معين فى النقد، ثم استعمل فى العصر الإسلامى كوزن ثقله عشر حبات من الشـــعير أو أربعين حبة من حبات الأرز أو ثلاث قراريط وثمن قيراط. المقريـــزى : إغاثـــة الأمة ص ١٠ حاشية (١).

المستنصرى والدينار الأمرى، وكانت نسبة الذهب في الدينار الفاطمى أعلى منها في الدينار الصليبى[١].

كذلك حفلت أسواق مصر في العصر الفاطمى بكثير من العملات الأجنبية، حيث كان الدفع يتم أحياناً بالدينار الصورى، والبيزنطى، كما تدفقت العملات الذهبية والفضية من الغرب على مصر خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وخاصة من تونس ثمناً للبضائع الواردة من بلاد الشرق[٢].

وصدرت إلى مصر كميات كبيرة من الفضة المغربية في سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م حتى أن دراهم القيروان كانت تشترى من أسواق الفسطاط، وفى سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م أرسل تاجر تونسى إلى مصر دنانير بالرمو بدلا من دنانير المهدية لأنه لا يأمل أن تجد دنانير المهدية سوقها في الفسطاط[٣].

وكان لوزن الدينار أهمية كبرى فكلما زاد وزنه دل ذلك على غنى الدولة ورفاهيتها وعنايتها بالعملة حتى تكسب ثقة الناس. ويتسع نطاق تداولها. أما إذا نقص وزن الدينار فإن ذلك. يدل على اضطراب الحالة الاقتصادية في البلاد. وفى هذه الحالة يعمد الخليفة إلى إنقاص

---

(1)Ehrenkrautz: Arabic Dinars struk by the crusaders. P.178.(Journal of the Economic and social Hist of the orient V.VIII, part 11, 1964).

(2)Goitein : The Exchange of gold and silver money in Fatimid and Ayyubid times. Pp.45-46 (Journal of the Economic and social Hist of the orien. V, 111, 1965).

(3)Goitein : A mediterranean society. P.235.

وزن العملة حتى يقلل من نفقات الدولة فتنخفض رواتـــب الموظفيـــن ويزيد مقدار الضرائب(١).

ويتضح لنا من كتب السكة(٢) إلى أى حد أثرت الأحداث السياسـية في أحوال البلاد الاقتصادية، الأمر التي انعكس بوضوح علـــى العملـــة. فنجد في بداية الحكم الفاطمى في مصر أن أوزان الدنانير تصل إلى اعلى معدل لها في عهد المعز لدين الله (٣٦٢هـ-٣٦٥هـــ /٩٧٣-٩٧٥م). وكذلك ما أحضره هو نفسه عند قدومه إلى مصر سنة ٣٦٢هـــ/٩٧٤م من بلاد المغرب. إلا أننا نجد في دنانير سنة ٣٦٣هـ، ٣٦٥هـــ/٩٧٤، ٩٧٥م انخفاضا يصل بهما إلى ٠,٠٢٠ جرام، ١,٠٠٠ جرام (٣). وفـــي عهد المستنصر نجد في أعقاب الشدة المستنصرية التي اســـتمرت ســـبع سنوات (٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٥-١٠٧٢م) والتى كـــان مـــن أســـبابها انخفاض مياء فيضان مياه النيل، والفتن العنصرية داخل البلاد أن أوزان الدنانير تبدأ في الانخفاض ابتداء من سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م وحتى ســـنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م) حيث كان متوسط وزنها ٣,٧٨١ جرام. كذلك نجـــد في أعقاب حكم المستعلى وبداية عهد الخليفة الآمـــر بأحكـــام الله وزن الدينار ينخفض انخفاضاً شديداً ففى سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م يصـــل وزن

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٦٠٥.

(2)Lavoix (Henri) : Catalogue des monnaies musulmanes de la biblioteque national Egypt et syrie, pp.88-9, 31-170 (Paris 1896).

- حسن إبراهيم حسن / الدولة الفاطمية ص ٦٠٦-ص٢٠٧.
- على مبارك : الخطط التوفيقية ج٢٠ ص١٠٤-١٠٥، بولاق ١٣٠٦هـ.

(٣) من مراجعة الدنانير التى ضربت فى هذه السنة نجد أنها لم تكن الوحيدة التى ضربـت فى هذه السنة، ونرجح أن تكون هذه الدنانير مما ضرب فى المناسبات، وخاصـــة أن عهد المعز لم تحدث به أزمات اقتصادية.

الدينار إلى ١,٠٣٠جرام، كما نلحظ أنه في السنوات الأخيرة من حكمه (٥١٦-٥٢٤هـ /١١٢٢-١١٢٩م) كان متوسط وزن الدينار ٣,٧٩١ جرام[١].

دور الضرب :

دار الضرب هى التي تضرب فيها السكة[٢] أو العملة حيث يسبك فيها ما يحمل إليها من الذهب[٣]، وكانت دور الضرب في مصر حتى استولى الفاطميون عليها سنة ٣٥٨هـ /٩٦٩م. في الفسطاط والإسكندرية واتريب والفرما ونبروه[٤].

وفى عهد الطولونيين ضلت دار الضرب في الفسطاط تقوم بعملها. وكان لتشدد ابن طولون في تلخيص عيار ديناره وتنقيته في إقبال الناس على التعامل بالدنانير دون غيرها[٥] فكان الدينار الأحمدى من أحسن

---

(١) وهى السنوات التى احتدم فيها الصراع بين الخليفة الآمر ووزيره إلا فضل بن بدر الجمالى حيث تخلص الآمر منه سنة ٥١٥ هـ /١١٢١م إلا أن هذه الخليفة لم يلبث أن قتل سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٣-ص٢٠٤ بيروت ١٩٠٨، ابن ميسر : أخبار مصر ص٧٤.

(٢) السكة : لفظة كانت اسما للطابع أى للحديدة المتخذة لذلك، ثم صارت تطلق على أثرها، وهى النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم، وهى علامة السلطان، ثم صارت تطلق أخيراً على القيام على ذلك وهى الوظيفة ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٧ بولاق ١٣٢٠هـ.

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ص٣٣١، المقريزى : خطط ج١ ص١٧٨.

(٤) ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ص٢٩ تحقيق / عبد الرحمن فهمى.

(٥) الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ص ٧٤-٧٥.

الدنانير الإسلامية وأثقلها وزنا. فأقبل الناس على التعامل به في أسواق الشرق إقبالاً كبيراً[١].

ظلت دار الضرب في الفسطاط[٢] تصدر العملة باسم ولاة الاخشيديين. واستمر الأمر كذلك حتى قيام الدولة الفاطمية، حيث اعتمد عليها الفاطميون في مسكوكاتهم. ومما يجدر ذكره أنه ضرب بهذه الدار ديناراً معزيا يحمل عبارات المذهب الشيعى سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م. ويشير لينول إلى أن التاريخ واسم دار الضرب واضحين على الدينار، رغم أن مصر لم تكن قد فتحت على يد الفاطميين حتى سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م[٣].

---

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج٢ ص ١٧١. كانت الإسكندرية من أهم دور الضرب فى مصر قبل الفتح العربى وبعده، ورغم قيام دار الضرب فى الفسطاط إلا أن دار الضرب بالإسكندرية ظلت قائمة حتى العصر الفاطمى حيث ظهر اسمها على دنانير مصر الفاطمية.

ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ص ٣٠.

Miles : Fatimed coins. P.50 , Lane Poole : Catalohue of Arabic coins. P.194.

(٢) سجلت اسم دار الضرب التى بالفسطاط على الدنانير منذ عام ١٩٩هـ/٨١٤م. ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ص ٣١.

(3)Lane Poole : catalogue of Arabic coins. P.152.

ومعنى هذا أن نفوذ الفاطميين وتأثيرهم فى مصر قبل الفتح الفاطمى قد وصل إلى قلب دور الضرب حتى تضرب فيها دنانير على النسق الفاطمى ترحيباً بالمعز عند قدومه إلى مصر.

عبد الرحمن فهمى : دراسات فى السكة فى مصر الإسلامية ص١٨٤ رسالة دكتوراه / جامعة القاهرة.

دار الضرب بالقاهرة :

لم يكن لهذه الدار وجود قبل العصر الفاطمى[١] فقد بنيت في أيـــام الوزير المأمون البطائحى في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله ســـنة ٥١٦ هـــ /١١٢٢م ومكانها بالقشاشين قبالة البيمارستان المنصـــورى قـــرب الجامع الأزهر[٢] وسميت بالدار الآمرية[٣].

كانت هذه الدار أول دار للضرب والعيار أنشأها الفاطميون، وكان يضرب بها الدنانير والدراهم والفلوس، كما كان يصنـــع بـــها الصنـــج الزجاجية والرصاصية اللازمة للأوزان.

وانتشرت دور الضرب في ولايات الدولة الفاطميـــة مثـــل أيلـــه والرملة وعسقلان وطبرية وصور وعكا وحلـــب ودمشـــق والمهديـــة والمنصورية وصقلية[٤].

أما في داخل البلاد المصرية فقد استمرت دور الضرب التي كـــانت موجودة قبل العصر الفـــاطمى[٥]. وكـــان يضـــرب بـــدار الضـــرب بالإسكندرية[٦] بعض الدنانير والدراهم التي كان ينقش عليها اسم (مصـــر الفسطاط) حيث كانت دار الضـــرب بالفســـطاط لا تســـتطيع أن تفـــى

---

(١) ابن بعرة : كشف الأسرار العملية ص ٣١.

(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٤ ص ٥٣.

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ص٦٢، المقريزى : خط ج١ ص ٤٤٥.

(4)La ne Poole : Catalogue of Arabic coins . p.152.

(٥) ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ص ٢٩ . تحقيق / عبد الرحمن فهمى.

(٦) المقريزى : خطط ج١ ص١١٠.

وقد وجد ديناراً فاطميا مضروبا بهذه الدار وعليه كلمة 'عال غاية' وهـــى علامـــة الجودة التى تحدد سعر الدينار فى السوق.

Lane Poole : op.cit. p.197.

باحتياجات البلاد منها . وقد عثر على نقود تحمل اسم الإسكندرية منذ سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م وحتى سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م[١]، كما وجد اسم المعزية القاهرة يتردد على الدنانير الفاطمية ابتداء من سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م إلى سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م[٢]، والقاهرة المحروسة على دينار ضرب سنة ٣٩٤هـ /١٠٠٣م [٣]. وإلى جوار هذه الدور كانت هناك دار للضرب في مدينة قوص وقد ضربت بها الدنانير في سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م وسنة ٥١٩هـ/١١٢٥م[٤].

ومما يجدر ذكره أن البلاد التي كانت تتخذ بها دور الضرب وسك النقود تمثل حواضر الأقاليم التي يقيم بها أمراء الولايات، حيث تكون الدواوين ومقر الحكومة الإقليمية وهناك ناحية أخرى توضحها كتب السكة، وهى السنة التي ضربت فيها النقود لأول مرة، كما تبين السنة التي انقطع فيها ضرب النقود بمدينة من المدن[٥].

وكانت دور الضرب تؤدى خدمات جليلة للدولة لا تقل شأنا عما تؤديه مصارف الإصدار (البنوك) اليوم. فهى تسك المقادير اللازمة من العملة للتعامل وتنشيط التجارة، فكان إنتاجها يزيد ويقل حسب الحاجة، حتى تنتظم العلاقة بين النقد المتداول والسلع المعروضة في السوق، كما كانت تتدخل إذا دعت الضرورة لتثبيت أسعار النقد حتى لا تحدث

---

(1) Miles : Fatimid coins . p.50.

(2)Miles : Fatimid coins, p.51. Lane Poole : cat: of Arabic coins, pp.192,199.

(3) Miles, op.cit., p.50.

(٤) المقريزى : خطط ج١ ص١١٠، Miles: op. cit.

(٥) حيث يدل ذلك على التاريخ الذى انتهت فيه أهمية المدينة.

حسن إبراهيم حسن:تاريخ الدولة الفاطمية ص٢٩١،تاريخ الإسلام السياسى ج٤ ص ٣٤١.

أزمات مالية، وكانت تحدد سعرا لكل نقد حفظا للتـــوازن ومنعـــا لأى اضطراب. ومن أمثلة ذلك ما حدث في عهد الحاكم بأمر الله[١].

وكان يتولى الإشراف على دار الضرب فـــي الدولـــة الفاطميـــة، قاضى القضاة تعظيما لشأنها ولعل السبب في إشراف القاضى علـــى دار الضرب، هو ضمان شرعية الدنانير والدراهم من حيث جواز العيـــار والوزن[٢] ويقيم القاضى لمباشرة ذلك من يختاره من نـــواب الحكـــم[٣] والموظفين ومنهم متولى دار الضرب التي كان له سلطة مباشرة علـــى العمال لا تتعارض وإشراف القاضى من الوجهة الإدارية[٤] فضلاً عـــن مشارف[٥] وشاهد[٦] ونقاش[٧] ومقدم[٨] وضراب[٩] وسباك[١٠].

---

(١) ففى سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م سحبت الحكومة الفاطمية الدراهم التـــى هبطـــت قيمتـــها وأنزلت بدلاً منها دراهم جديدة وحددت سعرها بالنسبة للدينار فبلغت ثمانيـــة عشـــر درهما بدينار. المقريزى : النقود الإسلامية ص١٤، إغاثة الأمة ص ٦٤.

(٢) ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ص ٣٣.

(٣) المقريزى : خطط ج١ ص٤٤٥، الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ص١١٦.

(٤) ابن بعرة : نفس المصدر ص ٣٣.

(٥) المشارف ' وعمله حفظ جميع حواصل الدار من فضة وذهب وعدد وآلات وصنـــج العيار وختم الأقداح وختم الاتون وتحرير وزن العيار للذهب والفضة وتقدير تكلفـــة ذلك. ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ص ٩٠.

(٦) عمل الشاهد : أن يشهد على جميع ما حوت الدار بما فيه من أعمال ومباشرة ذلـــك وتقدير تكلفته (وعمله كمراجع للحسابات) ابن بعرة : ص ٩٠.

(٧) النقاش : مهمته نقش السكة ويمهر فى ذلك حتى لا يقلد نقشه: نفس المصدر ص ٩٠ -٩١.

(٨) المقدم : أهم أعماله حفظ عيار الذهب والفضة بالدار.

نفس المصدر : ص٣٤، ص٩١، ص٩٢.

(٩) الضراب : مهمته الختم على السكه المصبوبة بخاتم المعدن قبـــل أن تـــبرد . نفـــس المصدر : ص٣٧، ص٩٢.

(١٠) السباك : واختصاصه أن يحضر وزن النحاس قبل طرحه فى البوتقه، والفضة فـــى حال السبك. نفس المصدر : ص ٣٦، ص ٩٢.

٤- السفاتج والصكوك

ارتبطت الصرافة ارتباطاً وثيقاً بالحركة التجارية للأسواق حيث كانت تقام للصرافة[١] سوق عقب كل سوق تجارية، فيسوى التجار حساباتهم مع بعضهم البعض،وتحرر الوثائق بالرصيد الباقى على أن تدفع في السوق التالى[٢].

وكانت المعاملات المالية الضخمة تتطلب وسائل للدفع مأمونه من الضياع خفيفة الحمل وبعيدة عن متناول اللصوص. ومن هذه الوسائل السفاتج والحوالات[٣] وهو نظام فارسى الأصل دخل العالم الإسلامى حين وفد تجار الفرس إلى بغداد في العصر العباسى الأول واستخدموا فيها هذا النظام المالى المتبع عندهم منذ أمد بعيد، وانتقل هذا النظام من بغداد إلى مصر[٤].

وكان الناس يدخلون السوق ويودعون لدى الصراف ما معهم من دنانير ويأخذون سفتجه أى خطاب اعتماد بهذا المبلغ، ثم يشترون ما يريدون ممن يشاؤن من التجار، ولا يدفعون شيئا. وإنما تقيد اثمان ما

---

(١) تشير وثائق الجنيزة إلى أنه كانت هناك دار للصرف بالفسطاط، وتوجد وثيقة تتحدث عن أحد الصيارف ويدعى إبراهيم عاش فى منتصف القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى).

Goitein : A mediterranean society. P.238.

(٢) مصطفى عبدالله الهمشرى : الأعمال المصرفية والإسلام ص٢١ رسالة ماجستير / جامعة القاهرة.

(٣) السفاتج : مفردها سفتجه وهى كلمة فارسية معناها ورقة مالية أو خطاب ضمان. محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص ١٦٣.

(4)Nardi : industry and commerce under the Abbassids. Pp.28-29 (Jesho IX, 1966).

يشترونه في السفتجه وفى دفتر التاجر. وفى نهاية اليـــوم أو الأســبوع تكون المقاصة فيدفع الصراف إلى التجار أثمان مــا اشــتراه التــاجر ويخصمها من السفتجه ويعطى للتاجر الباقى. وكان التجار يفضلون ذلك حتى تكون أموالهم في أمان.

وكثر استعمال السفاتج في القرن الرابع الهجرى[١]، حيــث لجــأ التجار إلى استعمالها حيث كان يكتبها لهــم الجهابذة[٢] والصرافــون بقيمة المبالغ يأخذونها منهم قابلة للصـــرف فــي أى بلــد مــن عملائهم[٣].

وفى العصر الفاطمى استخدمت السفاتج للتعامل التجــارى بيــن عاصمة مصر (القاهرة) ومدن الأقاليم المجاورة، كما يظهر في وثــائق الجنيزة حيث كانت السفتجه تأخذ طابع العملة كما يحدث فــي فلســطين وسوريا وكذلك بين القاهرة وبغداد، فقد أرسلت سفتجه مــن طرابلــس بليبيا إلى الفسطاط بمبلغ مائتين دينار سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م[٤].

---

(١) عرفت مصر استخدام السفاتج قبل مجئ الفاطميين إليها. فقد ورد ذكر ســفتجه فــى بردية ترجع إلى سنة ٣٤٦ هـ/٩٥٨م يقول فيها عيسى بن الحسن اللبان أنه قبــض من جميل مرقورة ابن مينا الجهبذ ثلاثة وعشرين دينارا إلى أن أكتب له بها سفتجه. جروهمان : أوراق البردى العربية ج٦ ص ١٨١.

(٢) الجهابذة : كانوا أما من التجارة أو الصيارفة أو المشتغلين بالأعمال المالية.
- عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص ١٥٩ بغداد ١٩٤٨.
- جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٦٣.

(٣) جمال سرور : نفس المصدر ونفس الصفحة.

(4)Goitein : bankers and accounts from the Eleventh century A.D.P. 29 (Journal of the Economic and social Hist of the orient vol, IX 1-11 November 1966).

وكانت الصكوك[١] تستعمل كوسيلة من وسائل دفع المال. والصك أمر بدفع مقدار معين من النقود إلى الشخص الوارد اسمه فيه، وقد استخدمت الصكوك منذ صدر الإسلام، حيث كانت الأرزاق والرواتب تدفع بها أحيانا. فكان عمر بن الخطاب أول من صك وختم أسفل الصكاك[٢].

وزاد استخدام الصكوك في القرنين الرابع والخامس الهجرى (العاشر والحادى عشر الميلادى). وأظهرت لنا وثائق الجنيزة نظام التعامل بها. فكان الشخص يرسل الصك إلى التاجر واسم السلع التي يريدها وثمنها، وتحمل الوثيقة توقيعه، فيرسل له التاجر ما يريد ويحتفظ بهذه الصكوك ثم يسلمها له ويأخذ منه ثمن ما أخذ من بضائع[٣].

وكان لتجار أسوان وكلاء في عيذاب لتسهيل التجارة واستقبال السلع، ويذكر ناصر خسرو أنه لما أراد مغادرة أسوان في طريقه إلى عيذاب، أخذ من تاجر في أسوان يدعى أبو عبدالله محمد بن فليج كتابا إلى وكيله في عيذاب جاء فيه "اعط ناصرا ما يريد وهو يعطيك صكا للحساب "فلما انفق ناصر ما معه من مال في عيذاب، أعطى الورقة للوكيل فأعطاه ما أراد بعد أن أخذ منه صكا بذلك، وقام الوكيل بدوره بإرسال الصك إلى أسوان[٤].

---

(١) كلمة صكك : هى الأصل الحالى لكلمة شيك وهو فى الأصل سند الدين.
Goitein : op.cit., p.29.
محمد على حيدر : الأوضاع الاقتصادية فى العراق والمشرق ص ٢٨١ رسالة دكتوراه/ جامعة القاهرة.

(٢) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٦٣.

(3) Goitein : Bankers and Accounts. P.28 (Journal of the Economic and social Hist vol.IX, part 1-11, 1966) p.26.

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ص٧٤.

لم يكن التعامل بهذه الصكوك مقصوراً على أفراد الشعب فحسب، بل كانت الحكومة أيضاً تتعامل بها، كما كانت الصكوك في بعض الأحيان تكتب وتصرف على بيت المال أو على التجار والصرافين، الذين كانوا يتقاضون عمولة نظير ذلك تبلغ درهما على كل دينار[١] كما جرت العادة أن يوقع على الصك شاهدان من العدول[٢]، كما لم يحدد تاريخ معين لاستيفاء (تسديد) الصك [٣].

أدى التعامل بالسفاتج والحوالات والصكوك إلى ظهور طبقة ليس لها اشتغال إلا بشئون المال وهم الصيارفة، الذين اكتسبوا ثقة الناس في التعامل، فكانوا يودعون أموالهم من الذهب والفضة عند الصراف، التي كان يعطى كل من يودع عنده شيئا من الذهب وثيقة يوضح فيها أن حامل هذه الوثيقة له كذا وكذا من الذهب وديعة عنده، ثم تدرج الأمر إلى أن أصبح الناس يتعاملون بهذه الوثائق في البيوع ووفاء الديون وتصفية الحسابات[٤]. وقد قام الجهابذه والصرافون في ذلك العصر مقام البنوك[٥] فكانوا يقومون بالاحتفاظ بما يودع لديهم من أموال لتكون تحت طلب مودعيها، وتحويل العملات المختلفة إلى العملة الموحدة،

---

(1)Goitein : op. cit., p. 28.

آدم متز ء الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج٢ ص ٣٧٤.

(٢) يذكر ابن حوقل : أنه رأى بأوذغشت صكا باثنين وأربعين ألف دينار بين اثنين من أهل سجلماسة وقد شهد عليه العدول. المسالك والممالك ص ٤٢ ليدن ١٨٧٠م.

(٣) حورية عبد المجيد سلام : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمى ص١٣٤ رسالة ماجستير / جامعة القاهرة.

(٤) مصطفى الهمشرى : الأعمال المصرفية والإسلام ص ٢١، ص٢٢ رسالة ماجستير/ جامعة القاهرة.

(٥) جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٦٣. وكان لكل جهبذ صكوكه التى تحمل شارته.

تحت طلب مودعيها، وتحويل العملات المختلفة إلى العملة الموحدة، ونقل الأموال من مكان إلى آخر نظير أجر يدفع سنوياً[١] ثم ظهر بالتجربة للصيارفة أن الذين يودعون أموالهم عندهم لا يستردونها منهم إلا بنسبة زهيدة تساوى ١٠% والباقى يظل محفوظا لديهم في صناديقهم فبدأوا ينتفعون بها سواء بالقرض أو ما يخلقونه على قوة الذهب[٢] كما بدءوا يشجعون الأغنياء على إيداع أموالهم لمدد طويلة نظير فائدة سنوية لهم، وعلى هذا تطورت فكرة الأمانة « الإيداع » عند الصيارفة في عمليات البنوك، فبعد أن كان الصيرفى مجرد حارس للنقود، اصبح يقبل الودائع ويمنح القروض[٣].

---

(١) الهمشرى : نفس المصدر ص ٢٢، ص ٢٣ رسالة ماجستير / جامعة القاهرة.

(٢) أى يقومون ما لديهم من الذهب المودع بالعملة السائدة ويدخلون بها فى الصفقات التجارية كأنها أموالهم.

(٣) الهمشرى : الأعمال المصرفية والإسالم ص ٢٣، ص٢٤. رسالة ماجستير / جامعة القاهرة.

المصادر العربية والأجنبية



مصادر الرسالة

مرتبة حسب حروف الهجاء لأسماء المؤلفين

أولاً: المخطوطات العربية :

(١) ابن الأخوة (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٩م) محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة معالم القربة في أحكام الحسبة – مخطوط بدار الكتب رقم ٦٧٩٠ف.

(٢) الأزدى (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) العلامة جمال الدين أبو الحسن على بن ظافر أخبار الدول المنقطعة-مخطوط بدار الكتب رقم ٨٩٠ تاريخ.

(٣) ايليا المطران

مقالة ايليا المطران في المكاييل والموازين – مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٩ رياضة – تيمور.

(٤) ابن بسام التنيسى : محمد بن أحمد

الأنيس الجليس في أخبار تنيس – مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٨٥٢ أدب و ٤١١٤٥ عمومية.

(٥) ابن الرفعة : أبو العباس أحمد

كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان – مخطوط بدار الكتب رقم ٣١٢ رياضة – تيمور.

(٦) ابن زولاق (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) أبو محمد الحسن بن إبراهيم

فضائل مصر وأخبارها وخواصها – مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٩١ تاريخ.

(٧) القضاعى (ت ٤٥٤هـ/١٠٦٢م) القاضى أبو عبدالله محمد بن سلامة بن خضر الشافعى المذهب.
عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف – مخطوط بدار الكتب رقم ١٧٧٩ تاريخ .
(٨) العينى (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين محمود
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان – مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ.

ثانياً : المصادر العربية:

(٩) ابن الأثير (٦٣٠هـ /١٣٣٨م) على بن أحمد بن ابى الكرم
الكامل في التاريخ – ١٢ جزءا القاهرة ١٣٥٣هـ.
(١٠) الإدريسى (٥٤٩هـ/١٢٥١م) محمد بن عبد العزيز الشريف
صفة المغرب وأرض السودان ومصر مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق ليدن ١٨٦٦م، روما ١٨٧٨م.
(١١) الأدفوى (٧٤٨هـ/١٣٤٨م) كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب الشافعى
الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد – القاهرة ١٩١٤م.
(١٢) الاصطخرى (ت في النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى) ابو اسحق إبراهيم بن محمد
مسالك الممالك – ليدن ١٩٦٧م ونسخة حققها محمد جابر عبد العال الحسينى القاهرة ١٩٦١.
(١٣) اوتيخا (٣٢٨هـ/٩٤٠م) سعيد بن البطريق
تاريخ يحى بن سعيد– نشر كراتشوفسكى وفاسيليف باريس ١٩٢٤.

(١٤) ابن أبى اصبيعة (٦٦٧هـ/١٢٧٠م) موفق الدين ابو العباس أحمد بن القاسم الخزرجى.
عيون الأنباء في طبقات الأطباء – شرح وتحقيق / نزار رضا مكتبة الحياة – بيروت ١٩٦٥.
(١٥) البكرى (٤٨٧هت/١٠٩٧م) أبو عبيد عيدالله
المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب – طبعة دى سلان الجزائر ١٨٥٧م.
(١٦) ابن بعرة : منصور بن بعرة الذهبى الكاملى.
كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية – تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن فهمى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.
(١٧) البغدادى (٦٢٩هـ/١٢٣١م) عبد اللطيف البغدادى
الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر مطبعة وادى النيل ١٨٦٩م.
(١٨) التنوخى (٣٨٤هـ/٩٩٤م) أبو على الحسن بن على بن محمد بن أبى الفهم
كتاب جامع التواريخ (نشوار المحاضرة وأخبارة المذاكرة) مطبعة أمين هندية – مصر ١٩٢١.
(١٩) ابن تغرى بردى (٨٧٤هـ/١٤٩٦م) جمال الدين بن يوسف بن تغرى بردى
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – الجزء الرابع والخامس طبعة دار الكتب ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م.

(٢٠) ابن تيمية (٧٢٨هـ/١٣٢٠م) تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بـن عبد السلام

الحسبة في الإسلام – القاهرة ١٣١٨هـ.

(٢١) الثعالبى (٤٢٩هـ/١٠٣٧) أبو منصور عبد الملك

لطائف المعارف تحقيق ابراهيم الابيارى، حسن كامل الصيرفى دار إحياء الكتب العربية – مؤسسة عيس البابى الحلبى.

(٢٢) فقه اللغة وسر العربية تحقيق / مصطفى السقا إبراهيم الإبيـارى وعبد الحفيظ شلبى – القاهرة ١٩٥٤ الطبعة الثانية.

(٢٣) ابن جبير (٦١٤هـ/١٢١٧م) أبو الحسن محمد بن أحمد

رحلة ابن جبير – تحقيق الدكتور / حسين نصار القاهرة ١٩٥٥م.

(٢٤) ابن الجيعان (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) شرف الدين أحمد

التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية القاهرة ١٨٩٨م.

(٢٥) أبو حامد الأندلس (٥٦٥هـ/١١٧٠م)

تحفة الألباب ونخبة الإعجاب باريس ١٩٢٥.

(٢٦) ابن حوقل (٣٨٠هـ/٩٩٠م) أبـو القاسم محمد البغـدادى الموصلى.

المسالك والممالك والمفاوز والمهالك .

نشر دى غويه ليدن ١٨٧٣م

(٢٧) صورة الأرض ليدن ١٩٣٨، ١٩٦٧م.

(٢٨) ابن خرداذبه (٣٠٠هـ/٩١٢م) ابو القاسم عبدالله بن أحمد

المسالك والممالك ومعه نبذة من كتاب الخـراج وصنعـة الكتابـه لقدامة بن جعفر ليدن ١٨٨٩، ١٩٦٧م.

(٢٩) ابن خلدون (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) عبد الرحمن بن محمد
المقدمة بولاق ١٣٢٠هـ الطبعة الثالثة.

(٣٠) ابن خلكان (٦٨١هـ/١٢٨١م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم
وفيات الأعيان القاهرة ١٢٨٣هـ.

(٣١) ابن دقماق (٨٠٩هـ/١٤٠٦م) محمد بن ايدمر العلائى
الانتصار لواسطة عقد الأمصار – الجزء الرابع والخامس بولاق ١٣٠٩هـ، الطبعة الأولى.

(٣٢) الدمشقى (من علماء القرن الخامس الهجرى) أبو الفضل جعفر ابن على الدمشقى
الإشارة إلى محاسن التجارة – مطبعة المؤيد ١٣١٨هـ.

(٣٣) الدمشقى (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) شيخ الربوة شمس الدين أبو عبدالله.
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر – ليبزج ١٩٢٣م.

(٣٤) الدوادارى (الفه سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٠م) أبو بكر عبدالله بن أيبك
كنز الدرر وجامع الفرر الجزء السادس الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية تحقيق / صلاح الدين المنجد – القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

(٣٥) ابن رسته (٢٩٥هـ/٩٠٧م) أبو على أحمد بن محمد بن أسحق.
الأعلاق النفيسة ليدن ١٨٩٢، ١٩٦٧م.

(٣٦) ابن الزيات (٨١٤هـ/١٤١١م) شمس الدين محمد بن الزيات

الكواكب السيارة في ترتيب الزياة للقرافتين الكبرى والصغرى المطبعة الأميرية ١٩٠٧م.

(٣٧) ابن سعيد (٦٧٣هـ – ١٢٧٥م) على بن موسى المغربى

المغرب في حلى المغرب، الجزء الأول القسم الخاص بمصر تحقيق / زكى محمد حسن، سيدة إسماعيل كاشف، شوقى ضيف، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣م.

(٣٨) النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة تحقيق / حسين نصار مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م.

(٣٩) سليمان التاجر

رحلة سليمان التاجر وفيه ذيل لأبى زيد حسن السيرافى طبع على يد الأستاذ / رينو Rienaud تحت عنوان سلسلة التواريخ مع مقدمه وترجمه باللغة الفرنسية باريس ١٨٤٥م.

(٤٠) السيوطى (٩٤١هـ/١٥٠٥م) عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة – جزءان مطبعة الوطن ١٢٩٩هـ.

(٤١) الشيزرى (٥٨٩هـ/١١٩٣) عبد الرحمن بن نصر

نهاية الرتبة في طلب الحسبه – تحقيق / السيد الباز العرينى القاهرة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

(٤٢) أبو صالح الأرمنى (٥٦٩هـ/١١٧٣) أبو المكارم جرجس بن مسعود

تاريخ الشيخ ابى صالح الأرمنى المعروف بكنائس وأديرة مصر – نشر وترجمة ايفتس اوكسفورد ١٨٩٥م.

(٤٣) الظاهرى : غرس الدين خليل بن شاهين

زبدة كشف الممالك اعتنى بنشره وتصحيحه بولس راويس

باريس ١٨٩٤م.

(٤٤) ابن ظهيرة

الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة تحقيق / مصطفى السقا وكامل المهندس دار الكتب ١٩٦٩م.

(٤٥) ابن عبد الحكم (٢٥٧هـ/٨٧١م) عبد الرحمن بن عبدالله

فتوح مصر وأخبارها ليدن ١٩٢٠.

(٤٦) ابن عبدربه (٣٤٩هـ/٩٤٠م) شهاب الدين احمد

العقد الفريد، بولاق ١٢٩٣هـ.

(٤٧) ابن العبرى (جريجوريوس)

تاريخ مختصر الدول – تحقيق الأب صالحانى اليسوعى بيروت ١٨٩٠م.

(٤٨) أبو الفدا (٧٣٢هـ/١٣٣٢م) عماد الدين إسماعيل بن محمد

تقويم البلدان باريس ١٨٣٠م اعادت طبعه مكتبة المثنى – بغداد.

(٤٩) – المختصر في أخبار البشر المطبعـــة الحسـينية – الطبعـة الأولى.

(٥٠) – ابن فضل الله العمرى (٧٤٩هـ/١٣٤٩م) شهاب الدين أبـو العباس

مسالك الابصار في ممالك الأمصار – الجزء الأول نشر / أحمـد زكى دار الكتب ١٩٢٤م.

(٥١) القزوينى (٦٨٢هـ/١٢٨٣م) أبو بكر زكريا بن محمد

أثار البلاد وأخبار العباد – دار صادر – بيروت ١٩٦٩م.

(٥٢) القلقشندى (٨٢١هـ/١٤١٨م) أبو العباس أحمد

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء – ١٤ جزءا القـاهرة ١٩١٣-١٩١٧م

الكندى (٣٥٠هـ-٩٦١م) أبو عمر محمد بن يوسف

(٥٣) كتاب الولاة وكتاب القضاة مهذب ومصحح بقلم رفـن كسـت بيروت ١٩٠٨م .

(٥٤) فضائل مصر تحقيق الدكتـور / إبراهيـم العـدوى القـاهرة ١٩٧١م.

(٥٥) ابن محشرة (٥٩٨هـ/١٢٠١م) كاتب مراكشى مجهول.

الاستبصار في عجائب الأمصار نشره وعلق عليه الدكتور / سـعد زغلول عبد الحميد الإسكندرية ١٩٥٨.

(٥٦) ابن مخرمه (٩٤٧هـ/١٥٢٤م) ابو عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد

تاريخ ثغر عدن – ليدن ١٩٣٦م.

(٥٧) المقدسى (٣٨٧هـ/٩٩٧م) شمس الدين أبو عبدالله محمد الشافعى البشارى

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – ليدن ١٩٠٦، ١٩٦٧م.

المقريزى (٨٤٥هـ/١٤٤١م) تقى الدين أحمد بن على

(٥٨) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار طبعة بولاق ١٢٧٠هـ، طبعه بيروت ١٩٥٩م.

(٥٩) اغاثة الأمة بكشف الغمة تحقيق / محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال القاهرة ١٩٤٠م.

(٦٠) اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الخلفاء تحقيق / جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٤٨م.

(٦١) النقود الإسلامية القسطنطينية ١٢٩٨هـ.

(٦٢) ابن مماتى (٦٠٦هـ/١٢٠٩) الأسعد بن مماتى

قوانين الدواوين تحقيق/ عزيز سوريال عطية القاهرة ١٩٤٣م.

(٦٣) ابن ميسر (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) محمد بن على بن يوسف بن جلب

أخبار مصر طبعة هنرى ماسيه القاهرة ١٩١٨م.

(٦٤) النابلسى (عاش أواسط القرن السابع الهجرى) أبو عثمان النابلسى الصفدى الشافعى.

تاريخ الفيوم وبلاده القاهرة المطبعة الأهلية ١٨٩٨م.

(٦٥) ناصر خسرو (٤٨١هـ/١٠٨٨م)

سفر نامه ترجمة يحيى الخشاب القاهرة ١٩٤٥م.

(٦٦) ياقوت الحموى (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) شهاب الدين عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى.

معجم البلدان ١٠ أجزاء مطبعة السعادة القاهرة ١٩٠٦ الطبعة الأولى .

(٦٧) يحيى بن سعيد الأنطاكى (٤٥٨هـ/١٠٦٦م).

صلة كتاب اوتيخا (التاريخ المجمع على التحقيق والتصديق) بيروت ١٩٠٩م.

(٦٨) اليعقوبى (٢٨٢هـ/٨٩٥م) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح

كتاب البلدان ليدن ١٨٩٢،١٩٦٧م وطبعة قبيت القاهرة ١٩٣٧م.

ثالثا: المراجع العربية الحديثة :

(٦٩) البراوى : الدكتور إبراهيم راشد

حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين – القاهرة ١٩٤٨م الطبعة الأولى .

(٧٠) إبراهيم فؤاد على

الموارد المالية في الإسلام – معهد الدراسات الإسلامية القاهرة ١٩٧٠.

(٧١) إحسان عباس

العرب في صقلية، دار المعارف ١٩٥٩.

(٧٢) أسد رستم

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ٥أجزاء دار الكشوف.

(٧٣) انطون زكرى

النيل في عهد الفراعنة والعــرب – مطبعـــة المعـــارف القـــاهرة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦ الطبعة الأولى.

(٧٤) بارتولد (ف)

تاريخ الحضارة الإسلامية ترجمة / حمزة طـــاهر دار المعـــارف القاهرة ١٩٤٢م.

(٧٥) بوركهارت

رحلات بوركهارت في النوبة والسودان ترجمة / فؤاد انـــدراوس القاهرة ١٩٣٧، ١٩٥٩م.

(٧٦) جاستون فييت

المواصلات في مصر في العصور الوسطى ترجمة / محمد وهبى مقال في كتاب في مصر الإسلامية مطبعـــة المقطـم والمقتطف ١٩٣٧م.

(٧٧) جروهمان (آدولف)

أوراق البردى العربية في دا رالكتب المصرية الأجزاء مـــن الأول إلى الرابع ترجمة الدكتور / حسن إبراهيم حسن دار الكتب ١٩٥٥.

الجزء الخامس ترجمة وتعليق الدكتور / محمد مـــهدى عـــلام دار الكتب ١٩٦٨.

الجزء السادس ترجمة وتعليق الدكتور/ عبد العزيـــز الدالـــى دار الكتب ١٩٧٠.

(٧٨) جورج فضلو حورانى

العرب والملاحة في المحيط الهندى في العصور القديمـــة وأوائـــل العصور الوسطى. ترجمة الدكتور/السيد يعقوب بكر مكتبة الأنجلو.

(٧٩) جوستاف جرونباوم

حضارة الإسلام ترجمة / عبد العزيز توفيق جاويد.

(٨٠) جوستاف لوبون

حضارة العرب ترجمة / عادل زعيتر دار الكتب – مطبعة الحلبـى – الطبعة الرابعة.

(٨١) حسن الباشا

الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربيـــة – دار النهضـــة العربية ١٩٦٦.

(٨٢) حسن إبراهيم حسن بالاشتراك مع على إبراهيم حسن

النظم الإسلامية القاهرة ١٩٣٩م.

(٨٣) حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف

المعز لدين الله امام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولـــة الفاطميـــة مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧.

(٨٤) حسن إبراهيم حسن

تاريخ الدولة الفاطمية – مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانيـــة ١٩٥٨ والطبعة الثالثة ١٩٦٤م.

(٨٥) حسن إبراهيم حسن

تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ٤ أجـــزاء مكتبة النهضة ١٩٦٧.

(٨٦) حسن حسنى عبد الوهاب
ورقات في الحضارة العربية – القسم الثانى مكتبة المنار – تونس ١٩٦٦م.
(٨٧) حسنين ربيع
النظم المالية زمن الأيوبين والمماليك – مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٨م.
(٨٨) الخربوطلى : الدكتور على حسنى
البحر المتوسط بحيرة عربية – دار المعارف ١٩٦٣.
(٨٩) الدورى : الدكتور عبد العزيز
تاريخ العراق الاقتصادى، بغداد ١٩٤٨.
(٩٠) دراسات في العصور العباسية المتأخرة.
(٩١) الريس / محمد ضياء الدين
الخراج والنظم المالية في الدولة الإسلامية دار المعارف ١٩٦٩ الطبعة الثالثة .
زكي محمد حسن
(٩٢) كنوز الفاطميين دار الكتب القاهرة ١٩٣٧.
(٩٣) فنون الإسلام القاهرة ١٩٤٨.
(٩٤) زيدان : جورجى
تاريخ التمدن الإسلامى – ٥ أجزاء دار الهلال ١٩٠٢-١٩٠٦م
سرور : الدكتور محمد جمال الدين
(٩٥) النفوذ الفاطمى في جزيرة العرب – القاهرة ١٩٥٠.
(٩٦) الدولة الفاطمية في مصر – دار الفكر العربى ١٩٦٦.

(٩٧) سياسة الفاطميين الخارجية – دار الفكر العربى ١٩٦٦.

(٩٨) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق – دار الفكر العربى ١٩٦٧ الطبعة الثانية.

(٩٩) السيد عبد العزيز سالم

تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامى دار المعارف ١٩٦٩الطبعة الثانية.

(١٠٠) سيدة إسماعيل كاشف

مصر في عصر الاخشيديين – القاهرة ١٩٥٨.

(١٠١) شارل ديل

البندقية جمهورية ارستقراطية - تعريب / أحمد عزت عبد الكريم، وبرفيق اسكندر – القاهرة ١٩٤٨.

(١٠٢) الشيال: الدكتور جمال الدين

مجمل تاريخ دمياط ١٩٤٩.

(١٠٣) تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى دار المعارف ١٩٦٧.

(١٠٤) شيشولم (ج.ح) مترجم من الإنجليزية

الجغرافيا التجارية – جزءان مطبعة المعارف القاهرة ١٩١٢، الطبعة الأولى .

(١٠٥) عبد الرحمن فهمى

فجر السكة العربية دار الكتب ١٩٦٥.

(١٠٦) عثمان الكعاك
الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط – معـــهد الدراســات العربية / جامعة الدول العربية.
(١٠٧) العربى : محمد عبدالله
الملكية الخاصة وحدودها في الإسلام ، المجلس الأعلـــى للشـــئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
(١٠٨) العرينى : الدكتور السيد الباز
مصر في عهد الأيوبيين.
(١٠٩) على شافعى
وادى النيل كما وصفه النابلس – مطبعة مصر ١٩٤٠.
(١١٠) على مبارك
الخطط التوفيقية – ٢٠ جزءا بولاق ١٣٠٦هـ.
(١١١) الكرملى : الأب استاس مارى
النقود العربية وعلم النميات – القاهرة ١٩٣٩.
(١١٢) لويس : أرشيبالد
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط – ترجمـــة / ماجد : الدكتور عبد المنعم .
(١١٣) نظم الفاطميين ورسومهم في مصر جزءان القاهرة ١٩٥٣.
(١١٤) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصـــور الوســطى – مكتبــة الأنجلو ١٩٦٣.
(١١٥) ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر – دار المعـــارف ١٩٦٨.

(١١٦) متز : آدم.
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ترجمة / محمد عبد الهادى ابو ريدة جزءان القاهرة ١٩٤٠-١٩٤١.
(١١٧) محمد رمزى
القاموس الجغرافى
القسم الأول الخاص بالبلاد المندرسة ١٩٥٣-١٩٥٤.
القسم الثانى الجزء الأول والثانى ١٩٥٤-١٩٥٥.
(١١٨) مشرفة : الدكتور عطية مصطفى
نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين – دار الفكر العربى ١٩٤٨ طبعة اولى.
(١١٩) مؤنس : الدكتور حسين
رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود – القاهرة ١٩٦٤.
النقشبندى : ناصر السيد محمود
(١٢٠) الدينار الإسلامى الجزء الأول بغداد ١٩٥٣.
(١٢١) الدرهم الإسلامى الجزء الأول بغداد ١٩٦٩.

رابعا: الدوريات والبحوث :

(١٢٢) احمد السيد دراج
الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوربية من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس – أبريل ١٩٦٩.
(١٢٣) عيذاب
مقالة في مجلة نهضة أفريقية العدد التاسع والعاشر يوليو – أغسطس ١٩٥٨.

(١٢٤) أحمد زكى
صفحة من تاريخ الحياة المصرية – مجلة المقتطف اكتوبر ١٩١٧.
(١٢٥) برنارد لويس
النقابات الإسلامية – ترجمة / عبد العزيز الدورى مجلة الرسالة العددان ٣٥٥-٣٥٦ القاهرة ١٩٤٠م.
(١٢٦) التميمى (ر)
النظم والطرق التجارية بين الشرق والغرب قبل الحروب الصليبية مجلة المتقطف مارس – أبريل ١٩٤١.
(١٢٧) حورية عبده سلام
الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمى رسالة ماجستير / كلية الآداب / جامعة القاهرة.
(١٢٨) سليمان مصطفى زبيس
المامة عن أحوال القاهرة الاقتصادية وعلاقاتها مع الخارج في عهد الفاطميين من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس – ابريل ١٩٦٩ الجزء الثانى.
(١٢٩) سعاد ماهر
محافظات الجمهورية العربية المتحدة في العصر الإسلامى فصلة من مجلة كلية الآداب / جامعة القاهرة المجلد ٢١ – العدد الأول ١٩٥٩.
(١٣٠) الشاطر بصيلى عبد الجليل
الكارميه – مقالة بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ١٣ سنة ١٩٦٧.

(١٣١) صبحى لبيب

التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد الرابع – العدد الثانى مايو ١٩٥٢.

(١٣٢) عبد الرحمن زكى

صناعة السيوف الإسلامية في الشرق الأدنى في العصور الوسطى مستخرج من المجلد الخامس من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

(١٣٣) عبد الرحمن فهمى محمد

دراسات في السكة في مصر الإسلامية حتى العصر الفاطمى رسالة دكتوراه/ جامعة القاهرة.

(١٣٤) عبد العال عبد المنعم الشامى

مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجرى رسالة ماجستير/ جامعة القاهرة.

(١٣٥) قسطنطين زريق

التجارة الإسلامية وأثرها في الحضارة مقالة في مجلة المقتطف ديسمبر ١٩٣٥.

(١٣٦) عطيه القوصى

تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام وحتى سقوط الخلافة العباسية رسالة دكتوراه ١٩٧٣.

(١٣٧) كريسويل:

تأسيس القاهرة مجلة المقتطف نوفمبر ١٩٣٤.ترجمةالسيد محمود رجب.

(١٣٨) محمد على حيدر

الأوضاع الاقتصادية في العراق والمشرق رسالة دكتوراه / جامعة القاهرة (٣٣٠-٤٥٠هـ).

(١٣٩) محمود على مكى

التشيع في بلاد الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد المجلد الثانى العدد ١-٢ لسنة ١٩٥٤.

(١٤٠) محمود محمد على الحويرى

أسوان في العصور الوسطى رسالة ماجستير / جامعة القاهرة.

(١٤١) مصطفى عبدالله الهمشرى

الأعمال المصرفية والإسلام رسالة ماجستير من كلية دار العلوم/ جامعة القاهرة.

(١٤٢) دائرة المعارف الإسلامية.

خامسا: المراجع الأجنبية :

1- Adler : Jewish Travellers (London 1930).
2- Amari (Michael) : I Diploma. Arabi, Bibliothica Arabo sicula (Leipzig 1887).
3- Arkell: A History of the sudan from the earliest time to 1821 (London 1955)
4- Ashtor (Eliyahu) : Historie des prix et des salaires dans l'orient Medievale (Paris 1969).
5- Beazley (C.R) : The dawn of moderm Geography. (Vol.2. 1897).
6- Chau-Ju-Kua : A work on the chines and Arab trade in the 12th and 13 th centuries, entitled chu-fan-chi. Translated by Fr. Hirth and W.W. Rockhill. St. petersburg 1912.
7- Depping : Historie du commerce entre le elevant et l'Europe.
8- Goitein (S.D): A mediterranean society of the High midlle Ages.

(New York 1967).
9- Goitein : A tentative bibliography of Geniza Documents. (Paris 1964).
10- Goitein : Studies in islamic history institutions. (Leyden 1966).
11- Gosse (Philip) : The History of piracy (London 1932).
12- Heyd (W) : Histoire duccommerce du levant au moyen Age. (Leipzig 1923).
13- Hitti : ({hilip. K) : History of the Arabs. (London 1940).
14- Jean Maspero et Gaston Wiet : Matériaux Pour sirvir à la geographie de l'Egypte (le Caire).
15- Klunzinger (C.B.) : Upper Egypt its people and it products. (London 1878)
16- Lane Poole (stanley) : Catalogue of Arabic coins, Preserved in the Khedivial Library. (London 1897).
17- Lane Poole : A history of Egypt in the middle ages. (London 1901).
18- Levoix (Henri) : Catalogue des monnaies musulmanes de la bibliotheque nationale. Egypte, et syrie. (Paris 1896).
19- Mann (jacob) : The Jews in Egypt and Palestine under the fatimid capliphs (Oxford 1920).
20- Miles (George. C.) Fatimid Coins. (New York 1951).
21- _____ Early Arabic glass wieghts and stamps. (New York 1948).
22- Newbegin (Marion) : Mediterranean land, an introduction study in human and Historical geography. (London 1928, 1943).
23- Weit (gaston) : Histoire de la nation Egyptienne l'Egypte Arabe. (T.IV. Paris 1937).

سادساً : الدوريات الأوربية :

24- Ashtor : (Eliyahu) : Materiaux pour l'Histoire des prix dans l'Egypte medivale (Journal of the Economic And social history of the orient. Vol, VI. Part 11, July 963).
25- Ashtor : Le cout de la vie dans l'Egypte medievale (Journal of the Eco, and social Hist of the orient vol, III, part 1, April 1960).
26- Cahen (Claude) : Douanes et commerce dans les parts Mediterranean de l'Egypte medievale (Arabica 7. 1967).
27- Cahen : Le régine des impots dans la fayyum ayyubide (Arabica, III, 1956).
28- Goitein (S.D.) : From the mediterranean to indie, Documents on the trade to india. (Speculum XXXIX No, 2, part 1, April 1963).

29- Goitein : Evidence on the muslim poll-tax from non muslim soures (Jesho, V. VI, part 1, 1963).
30- Goitein : Bankers and Accounts from the Eleventh century A.D. (Jesho V. IX, part 1-11 November 1966)
31- Goitein : Letters and Documents on the india trade in medievale time (islamic culture, London, 1963).
32- Goitein : New Lights on the beginning of the Karimi merchant (Journal of the Royal Asaitic society, I, 11, 1958)
33- Kruger : Genoese trade with N.W. Africa in the 12th century (Speculum vol8, 1933).
34- Lewis (B.) : The Fatimid and the route to india (Revue de la Faculté des science Economiques de l'universite d'istantbul. v,11, 1949-1950).
35- Miesellanea : poids en polmb du khalife fatimite Al-Hakim Bi Amr illah. Frappe à Misr en l'an 389 H (Journal of the Economic and social Hist of the orient. Vol, Vi, Part 11, July 1963).
36- Shaw (W B.K) : Darb El Arbain : Sudan Notes and record vol, XII, 19[illegible]).
37- Encyclopedia of islam. (London 1913).

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث

التجارة الخارجية

الفصل الرابع

المكوس والضرائب والمعاملات المالية

رقم الإيداع ٥٢٢٧/٢٠٠٠
I.S.B.N. 977-05-1742-9

الزهراء كمبيو سنتر
طباعة – نشر – إعلان
ت : ٢٩٦٠٦٦٧